

مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية

مجلة

مجمع اللغة العربية

على الشبكة العالمية

العدد الثاني – ذو القعدة ١٤٣٤هـ سبتمبر ٢٠١٣م

مجلة علميّة، محكّمة، تُعنى بنشر البحوث والدّراسات في اللّغة العربية، ونشر قرارات المجمع وتنبيهاته ومقالاته وفتاويه

(تصدر كلَّ أربعة أشهر)

أهداف المجلة

- تهدف المجلة إلى نشر البحث العلميّ في مجالات اللّغة العربية بجميع علومها، ونشر قرارات المجمع وتنبيهاته ومقالاته وفتاويه اللّغوية، كما تهدف إلى جمع ومتابعة قرارات المجامع السابقة، وتوصيات المؤتمرات والندوات العلمية .. والمفضّل للنشر لديها من البحوث هو:
  - الدّراسات التي تخدم اللّغة العربية تيسيرًا، وتقريبًا، وترغيبًا، وتصفية.
  - البحوث المعنيّة بدراسة تأصيل وتصحيح وتعريب وترجمة وشرح الألفاظ والأساليب واللهجات والمصطلحات.
  - التراث المحقق.

منهاج نشر البحث العلميّ والمقال في المجلة :

١- أن يكون ذا أصالة وجدّة، مبنيًّا على قواعد البحث العلمي، وأن لا يزيد عن ٧٠ صفحة.

٢- أن لا يكون منشوراً ومقدّمًا للنشر في جهة أخرى، وأن لا يكون مُستلاً من بحث سابق للمؤلّف.

٣- أن يقدّم صاحب البحث نبذة موجزة بسيرته العلمية، وملخّصًا عن بحثه باللّغتين (العربية والإنجليزية).

٤- تخضع البحوث الواردة إلى المجلّة للتحكيم العلمي.

٥- يمنح ذوو البحوث المنشورة مكافأة رمزية.

٦- كلّ رأي مقرون بالدّليل أو النظر .. يسعُ المجلّة قبوله، وما كان دون ذلك فمسؤوليته على قائله أو ناقله.

ثمن المجلة: في المملكة العربية السعودية والبلاد العربية ٢٠ ريالا. وفي خارج الوطن العربي: ٦ دولارات.

الاشتراكات السنوية للأعداد الثلاثة: للأفراد ١٥٠ ريالا أو ٥٠ دولارا في الخارج، للهيئات والمؤسسات والدوائر الحكومية ٣٠٠ ريال، أو ١٠٠ دولار في الخارج.

ترسل الاشتراكات بشيك بنكي باسم: **مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية**.

ترسل البحوث باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :

المملكة العربية السعودية - ص ب: ٦٥٥٩ مكة: ٢١٩٥٥

هاتف وفاكس: ١٢٥٤٠٢٩٩٩ ٠٠٩٦٦ – جوال: ٥٥٤٠٢١٩٩٩ ٠٠٩٦٦

E.M: m-a-arabia@hotmail.com WEB: www.m-a-arabia.com



الهيئة الاستشارية

المحتويات

• فاتحة المجلّة: صدى الإصدار الأوّل	٩
القسم الأول: القرارات والتنبيهات	١١
القرار الثاني: ضبط العلم المختوم بـ (ويه)	١٢
التنبيه الثالث: لا تقولوا: مِفْصل .. وقولوا: مَفْصل	٢٥
القسم الثالث: البحوث	٣٥
• بقايا الألفاظ التركية في المحكية اليمنية، أ. د. عباس السوسوة	٣٧
• عبرات المنفلوطي .. دراسة فنية، د. عبد الناصر بدري أمين	١٠٥
• العربية .. تاريخ عريق ومآثر سامية، أ.د. فوزي الشّايب	١٥٧
• منهج القراءة والشرح عند الشيخ محمود شاكر من خلال كتاب: طبقات فحول الشعراء، عبد الحميد العُمري	٢١٩
القسم الثالث: المقالات	٢٦١
• مقياس المقاييس، أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظّاهري	٢٦٢
• اللّغات والكتابات الجزيرية، أ.د. عبد الرحمن السليمان	٢٧٧
• لغة أهل العراق في المعجمات العربية القديمة، د. علي خلف العُبيدي	٣٠٦
• التقديم والتأخير في ألفية ابن مالك .. رؤية نصّية، أ.د. عبد السّلام حامد	٣١٦
• الكميان أو الكمي بدل التّدخين، أ.د. عبد القادر سلامي	٣٢٤
القسم الرابع: أنت تسأل .. والمجمع يجيب	٣٣١
• سؤال عن ضبط راء المبرد	٣٣٢
• سؤال عن (العصلجة، واللحلحة)	٣٣٤
• سؤال عن إعراب قوله تعالى: ﴿فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾	٣٣٦



- سؤال عن معنى قوله تعالى: ﴿والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر﴾ ٣٣٨
- سؤال في حكم إثبات (ابن) بين العَلَمين ٣٤٠
- سؤال عن صحة قول القائل: أعطيت كتابًا لمحمّد ٣٤٢
- سؤال عن الفرق بين التمهيد والمدخل والتوطئة في البحوث العلمية ٣٤٥
- استفسار عن الفرق بين: هذا غلامٌ أحسن منه رجلٌ، و: هـذا غلامًـا أحسن منه رجلاً. ٣٤٨
- سؤال في جواز حذف الألف من كلمة (مائة). ٣٥٠
- سؤال في أصل كلمة (هَجْولة). ٣٥٣
- سؤال في سبب عدم الاحتجاج بشعر المتنبي ٣٥٥
- سؤال في موافقة بعض ألفاظ النّسبة لباب النّسب ٣٥٩
- سؤال عن عبد القاهر الجرجاني، وأثره في علم البلاغة ٣٦١
- سؤال عن فصاحة ما يستوي فيه الرّفع والنّصب في باب الاشتغال ٣٦٣
- استفسار حول الطرق الصحيحة إلى تقوية أسلوب الإنشاء والخطابة ٣٦٥

صدى الإصدار الأول

نحمد الله تعالى على توفيقه وفضله، وتيسيره وطَوله، ونصلي ونسلم على رسوله الأمين، وعلى آله الطيبين، وصحابته أجمعين .. وبعد:

فبفضل من الله ونعمة صدر العدد الأول من المجلة في شهر رجب المحرّم (١٤٣٤هـ)، وتلقته القلوب قبل الأيدي، فقد كان نشرُه في الشبكة أَثرى وأسْرى، وكان لنشره الورقي حظوةٌ وحفاوةٌ .. وقد أمدّنا المحققون المدققون بآراء لا يسعنا إلا أن نأخذ بأحسنها، ونزجي إليهم الشكر الوافر العاجل، ومن ذلك ترجمة معلومات المجلة، وأسماء هيئتها الاستشارية إلى اللغة الإنجليزية، وبعض اللّمسات الفنية، كما اقترح آخرون أمورًا لا تزال موضوع الدّراسة، كما رأينا أن يكون للفتاوى اللّغوية لجنة دائمة تصدر عنها الفتوى، وسنأخذ بهذا في العدد الثّالث وما بعده، وجمهور ما وردنا من ثناء على المجلة، يتمثّل في أمرين:

أحدهما: الهيئة الاستشارية المشتملة على صفوة عالمية (بكسر اللام وفتحها) معتبرة، في فنون العربية وما يتعلق بها.

والآخر: اشتمال المجلة على أنواع أخرى من فنون القول في اللّغة، تفيد القارئ، وتُقصي الملل، وتُدني موضوعاتها من قلب القارئ، إضافة إلى الغرض الأصلي للمجلة، وهو ما تحويه من بحوث علمية محكّمة.

وقد تضمن هذا العدد - بفضل الله وعونه - بحوثًا رصينة، أخذنا في



تحكيمها بمبدإ الحزم والصرامة، وجهدنا أن تخرج في أحسن تقويم، كما يتضمن القرار الثاني للمجمع، عن الأعلام المختومة بـ (وَيْـه) وكيفية النطق بها، مع تنبيه وفتاوى لغوية في مسائل، يحتاج إليها الدارس والباحث والمثقَّف .. ولا يفوتنا أن نزجي وافر الشّكر وجزيله إلى كلّ من كتب إلينا، مُثنيًا، وشاكرًا، ومهنئًا، ومسرورًا بالإصدار الأوّل، وفي طليعة ذلك خطاب صاحب السّمو الملكي الأمير خالد الفيصل، أمير مكة، أيّده الله، فقد كان خطاب سموه أوّل خطاب يشرف به المجمع في سياق الرّدود على خطابات الإهداء، وذلك غير مستغرب على مَن يشهد لبيانه البيانُ، بالبراعة والذّوق والجمال .

نشكر لسموه هذه اللّفتة السّامية، كما نشكر مباركة معالي وزير الثقافة والإعلام، ووزير التّعليم العالي، ومديري الجامعات، وسائر مباركات المهنئين أجمعين .. ومن جميل ما تضمّنه بعض خطابات وبرقيات المباركين شكر الرّاعي الفخري للمجمع والمجلة، **سعادة الشّيخ مشعل ابن سرور الزّايديّ**، ونحن نشكرهم على شكرهم، ونسجل له الشّكر مضاعفًا، على دعمه المتواصل، ونسأل الله أن يبارك في المجمع، ومجلته، وراعيه، والقائمين عليه، وأن يوفقنا لخدمة العربية، وأن يجعلنا من الصّادقين فيما نقول ونفعل.

رئيس تحرير المجلة

رئيس المجمع

د. عبد العزيز بن علي الحربي

القسم الأول:

القرارات والتنبيهات



أولاً: القرار

الموضوع الثاني

ضبط الأعلام المختومة بـ (ويه)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد؛

فقد عرض رئيس مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية على مجلسه موضوع ضبط الأعلام المختومة بـ(ويه) في جلسته الأولى بتاريخ ١٤٣٣/٧/١٢هـ وشرح فيها بإيجاز الخلاف الحاصل بين الأوساط العلمية في ذلك ، فقرر المجلس أن يكلّف أحد الباحثين بالمجمع وهو الباحث: يوسف الأشبح، عضو المجمع المؤازر، لبحث المسألة علميا، فكتب فيها بحثا وافيا مفصلا.

وبعد انتهاء الباحث من إعداد البحث في نحو (٢٠٠صفحة) أحيل على عدد من أعضاء المجمع العاملين والمشاركين والمؤازرين، وهم :

معالي الشيخ د. صالح بن عبدالله بن حميد (عضو المجمع المشارك)

أ.د. عبدالرحمن بودرع (نائب رئيس المجمع)

أ.د. سعد حمدان الغامدي

د. عبدالله بن محمد بن مهدي الأنصاري

أ.د. محمد جمال صقر

أ.د. عبد الرحمن بن حسن العارف

أ.د. عباس السوسوة

أ.د. إبراهيم الشمسان

أ.د. صادق عبدالله أبو سليمان

وكذلك عضو المجمع المؤازر: أ. يوسف الأشبح.

وقد أدلى كلّ واحد من الأعضاء بدلوه في المسألة، وأبدى رأيه الذي انتهى إليه، ثم أحال رئيس المجمع الموضوع برمته إلى عضو المجمع الدكتور عبدالله بن محمد بن مهدي الأنصاري ،للاطلاع على ما كتب في ذلك من قبل الأعضاء والباحث، وإعداد ملخص مركز في الموضوع، فوفى بذلك وقدَّمه للمجمع بتاريخ ١٦/١١/١٤٣٤هـ فاستحسنه رئيس المجمع ونائبه وسائر الأعضاء المعنيين .. ونحن نورد قول كلّ واحد من الأعضاء، ونحيل إلى البحث الملخص المعدّ من قبل الباحث يوسف الأشبح، المنشور في مجلة المجمع في إصدارها الأول في صفحة ٩٨-١٣٥[1]، ثم نتبع ذلك بالقرار الذي انتهى إليه أعضاء المجمع الذين عُنوا بالموضوع.

(١) أراد الباحث أن يهضم حقه في عدم ذكر اسمه على البحث المنشور بالمجلة ، فوافقناه على ذلك هناك، ولكننا نرى ذكر اسمه الآن؛ حفظًا لحقّه وجهده، وفقه الله تعالى ونفع به.



قال أ.د. عبدالرحمن بودرع (نائب رئيس المجمع):

اطلعْتُ على القَرار الموجَز، بشأن اختلاف اللغويين والمحدثين في النطق بالأعلام الْمختومة بـ(ويه)، وتبيَّنَ لي ما ظهَرَ لأخي رئيس المَجمَع، يحفظه الله، من النتيجَة التي توصّلَ إليها المجمَع، ومفادُها ترجيح مذهبِ اللُّغويين في هيئة النطق بالأعلام المَختومة بـ(ويه)، لقوة مستندهم وصحة مصادرهم، وليس لي في ذلِك من مَزيد مراجعَة وفضْل نظرٍ، وإنما القولُ في المسألة ما انتهى إليه نظَر المجمعِ موفَّقاً مَشكوراً، وجَزاكم الله خيراً كثيراً في الدّنيا والآخرة، وحفظكم وسدّد خُطاكم،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

أخوكم نائب ئيس المجمع

أ.د. عبد الرحمن بودرع
أستاذ اللغة واللسانيات
لسانيات النص وتحليل الخطاب
جامعة عبد المالك السعدي كلية الآداب
تطوان - المغرب هـ : 06 62 39 60 94

عبدالرحمن بودرع

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقال أ.د. محمد جمال صقر عن البحث:

سِيبَوَيْهِ ونِفْطَوَيْهِ وعَمْرَوَيْهِ ...، أعلام على علماء كبار خدموا الثقافة العربية الإسلامية خدمة جليلة، قَصَّرْنا عن شأو علومهم، فلا نُقَصِّر عن ضبط أسمائهم!

إن أسماءهم هذه وأشباهها، مركبة تركيبا مزجيا: [(سِيب، وَيْـه)، و(نفْط، وَيْه)، و(عَمْرو، وَيْه)]- بُنِيَتْ فيه أجزاؤها الأولى على الفـتح، وأجزاؤها الآخرة على الكسر. ويجـوز لمـن أراد بـأيٍّ منـها أيَّ شـخص مُسمًّى به من غير تعيين، أن يبنيه على الكسر وينونه تنوين تنكير، هكذا: سِيبَوَيْهٍ، نِفْطَوَيْهٍ، عَمْرَوَيْهٍ.

ولقد منعها بعض العرب من الصرف، هكذا: [(سِـيبَوَيْهُ، نِفْطَوَيْـهُ، عَمْرَوَيْهُ، رفعـا)، و(سِـيبَوَيْهَ، نِفْطَوَيْـهَ، عَمْرَوَيْـهَ، نصـبا)، و(سِـيبَوَيْهَ، نِفْطَوَيْهَ، عَمْرَوَيْهَ، جرا)]، فلم يُتابَعْ عليه كثيرا، حتى جرى طائفة قليلـة من المُحَدِّثينَ على ضبط هـذه الأسمـاء ضـبطا آخـر ألـزمهم منعهـا مـن الصرف، ضموا فيه آخـر الجـزء الأول، وأتبعـوه الـواو ممـدودة واليـاء مفتوحة والهاء معجمة، هكذا: [(سِيبُويَةُ، نِفْطُويَـةُ، عَمْرُويَـةُ، رفعـا)، و(سِيبُويَةَ، نِفْطُويَةَ، عَمْرُويَةَ، نصـبا)، و(سِـيبُويَةَ، نِفْطُويَـةَ، عَمْرُويَـةَ، جرا)]؛ وإنما فَرُّوا من شُبْهَة التفجع في "وَيْه"، التي استفاد منها ابن دريد في هجاء نفطويه خصمه، قائلا:

أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِنِصْفِ اسْمِهِ   وَصَيَّرَ الْبَاقِي صُرَاخًا عَلَيْهْ

و إنّ هذا البيت لجدير وحده بحملهم على ذلك!

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقال أ.د. سعد حمدان

أرى أن ما كتبه د عبد الله الأنصاري كان ملخِّصا كافيا شافيا وقويا في مسألة العلم المركب المختوم بـ (ويه)، وأنـه يمكـن أن يصـدر المجمـع



تنبيهًا يشير فيه إلى طرق نطقها عند المحدّثين وغيرهم مع اقتراح تبني طريقة اللغويين في نطقها، ولا إشكال في أن يقرّ من رغب في طريقة المحدِّثين عليها.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقال أ.د. عباس السوسوة:

ليس لي مزيد فضل على القرار؛ وأوافق عليه، سائلا المولى - عزّ وجلّ - أن يوفقكم إلى كل خير.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقال أ.د. صادق عبدالله أبو سليمان:

كنت أعددتُ العُدة لكتابة مقالةٍ في هذا الموضوع بعد اطلاعي على عزم مجمعكم العتيد استصدارَ قرارٍ مجمعيٍّ بشأن نطق المقطع (ويه)، ولما ضاق الوقتُ بي لأسباب كثيرة؛ أهمها انشغالي بإعداد محاضرات لطلبتي، وتكرار انقطاع الكهرباء في بلدنا، ورأيت همةَ إخوةٍ أفاضلَ لبوا نداء سلامة العربية، وعزمكم على استصدار قرارٍ ونشره في العدد الثاني من المجلة رأيت أن أدلي بهذا الدلاءِ المختصر:

إن ما كتبه العلماءُ الأفاضل- بحقٍّ- كافٍ وشاف.

إن القرار يصفُ واقعاً؛ ويعبِّرُ عن إجماعِ أهلِ جمهورِ أهلِ اللغةِ العربيةِ وأهلِها في نطقِ هذا المقطع بفتح ما قبل الياء اللينة، وإن كان من عامةُ معاصرينا مَن ينطق المقطع(وِيْه) كما في: (سِيْبِوِيْه) بواوٍ مكسورةٍ ممالة، ومع هذا فإنه لا يغفِلُ نطقَ علماءِ الحديث المؤيَّد عندهم بالمعنى المكروه، وبنطق أهل الفارسية.

ونحن نرى أن التأرجح بين النطقين لم يحسم المسألة، ونرى أنْ يتضمن القرار نصًّا يفيد إعمامًا لنطق اللغويين والنحاة؛ لأننا - ما نزال - حين نتحدث عن التعريب نسير على ما سار عليه أسلافنا فنشترط أنْ نسيرَ على طرق العرب في تعريبهم. ونرى أن هذا الشرط مسوِّغٌ آخرُ يمكن أن يضافَ إلى مسوغاتِ العلماءِ الأفاضل في القرار.

وقد أرى أيضًا إهمال الإشارةِ إلى نطقِ المحدّثين لانحصاره في بعضهم، وليس جمهورهم؛ فمنهم اليوم من لَا يلتفت إلى هذا التفرد في النطق. فإذا كان جمهور أهل العربية إلا بعضاً من جماعة المحدّثين قد أجمع على هذا النطق فإنه لا ضرر- عندي- من إغفالِ الإشارةِ إلى نطقِهم في نص القرار، والاكتفاء بالإشارة إليه في نصوص مسوغات القرار.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقال معالي الشيخ د. صالح بن عبدالله بن حميد :

أرى أن تضبط هذه الأعلام بما هو مشهور، واعتمده أهل اللغة، على ضوء ما رآه الإخوة الأعضاء في بحثهم، لا سيما أن الألفاظ الأعجمية تقبل التصرّف فيها وتتسع لما لا يتسع له غيرها، وأُؤكد على عدم إغفال ما رآه بعض المحدِّثين، وأن يؤخذ به أو يشار إليه في ميدان التخصص، دفعا للنزاع إلى أن يشيع هذا الترجيح الذي اختاره المجمع وانتهى إليه.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

الملخص الذي كتبه د. عبدالله بن محمد مهدي الأنصاري :

إنّ لاحقة (ويه) التي ختمت بها بعض الأعلام اتفق أهل العلم على أنها في أصلها أعجمية فارسية، ولكن العرب نَقلتها إلى لسانها فنطقت بها واستعملتها، بسبب اختلاط أهلها بالعرب حتى تعرَّب كثير منهم،



فصاروا جزءا من العرب، فاستعملوها استعمالا عربيا، كما فعلوا في سائر الألفاظ التي نقلوها وعرَّبوها، وكان من سننهم في هذه الألفاظ الأعجمية الأصلِ أن يتصرفوا فيها بما يوافق اللسان العربي، ويُخضعوها لقوانين العربية؛ لتوافق لغتهم ويسهل عليهم نطقها وتجري بها ألسنتهم، وأمثلة ذلك كثيرة لا تكاد تُحصى، كما ذكر جمع من علماء العربية كأبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني وأبي منصور الجواليقي الذي خصص كتابه (المعَرَّب) لهذا الغرض، وغيرهم.

هذه اللفظة (ويه) في أصلها عند أهلها مكونة من ضمة طويلة وياء ساكنة مختلسة ثم هاء ساكنة، والضمة الطويلة هي المعروفة في العربية بواو المد، لأن رمزها في الكتابة واو مضموم ما قبلها، ثم تصرفوا فيها ونطقوها بطُرق فيها شيء من الاختلاف عن الأصل الأول، فتطور نطقها عبر الزمن إلى أن استقر على واو فياء فهاء (ويه) فتناولها العرب بما يوافق العربية، وقاسوها على بعض الكَلِم العربية المشابهة لها في النطق، مثل كلمة (وَيْهْ) اسما للصوت، واسما للفعل.

والكلمة على هذا أصبحت عربية محضة، ولم يبق من عجمتها إلا استصحاب الأصل فيها، والبحث فيها ينبغي أن يخضع لقواعد العربية، وما يجري لنظائرها فيها، ولا يُلتفت إلى النطق الأعجمي ولا إلى أصله؛ لأن الكلمة الآن تحولت إلى النطاق العربي، فيجب أن تُجرى عليها الأحكام العربية، كما هو شأن الأعلام الموجودة في القرآن وغيره.

وباستقراء ما كتبه علماء العربية عند تناولهم لأحكامها، وأوضاع نطقها التي استقر الناس عليها، والنظرِ إلى علة كلِّ وضع، يتلخص لنا ما يلي:

أولا: اعتبارها كلمة مستقلة من حيث الوضع، تلحق آخر الاسم، مرادًا بها نسبة ما تلحقه إلى مسماه، سواء أكان اللفظ الذي لحقته لقبا في أصله، أو اسما صريحا، عربيا أم أعجميا. فيقولون في: سليمان: سلمويه، وفي عمرو: عمرويه، وفي حمد: حمدويه، كما قالوا في: راه: راهويه، وفي: سيب: سيبويه، وفي درست: درستويه ... الخ. يلحقونها للنسبة، كما يقال: صاحب كذا، أو ذو كذا، كلحوق ياء النسب عند النسب، ولحوق تاء التأنيث عند التأنيث، فمعنى: عمرويه: المسمى : عمرو، أي صاحب هذا الاسم، أو المقصود بهذا الاسم، كما أن معنى راهويه: ذو راه، أو: صاحب راه، أو المنسوب إلى راه ... ونحو ذلك من المعاني المتقاربة، ويجمعها شيء واحد هو نسبة معناها إلى ما لحقته، فدلالتها واحدة لا تختلف، كما أن ما يشبهها في العربية مما سبق ذكره كل نوع منه كذلك.

ثانيا: نلحظ أنهم إذا ألحقوها باسم أو لقب تصرفوا فيه بحذف أو زيادة أو إبدال لتخفيف اللفظ وتناسب الأصوات، إذا لزم ذلك، كما فعلوا في سليمان: سلمويه، وإسماعيل: سمويه، وسعيد: سعدويه ... الخ.

ثالثا: أن لهم طرقا في نطقها، أشهرها اثنتان:

الأولى: اعتبار الكلمة بسيطة غير مركبة بناءً على ما استقرت عليه بأخرة، فحاولوا المحافظة على أقرب لفظ إلى الأصل الأعجمي، واعتبروها كأنها منقولة محكية على أصلها، فحافظوا على الضمة الطويلة وسكون الهاء وفتحوا الياء التي جيء بها بينهما؛ وهذا أقرب شيء إلى



الأصل الأعجمي، واختار هذا النطق طائفة من أهـل الحـديث لعنايتـهم بتوثيق الروايات، وضبط أصول الألفاظ، وهذا يلزم منه ضم ما قبل الواو وإن كان في أصله غير مضموم؛ ليوافق هذا أصلها الأعجمي، وهو كونها واوًا مدية(حركيـة) لا صـامتة، فقـالوا: حمْدُويَـهْ وخالُويَـهْ ... الخ. ولم يلتفتوا إلى التركيب، ولا إلى مـا توجبـه قـوانين العربيـة في اللفـظ، استصحابا للأصل الأعجمي، وتمسكا بما للأعلام من خصوصـية، وأنـه قد يكون فيها مالا يكون في غيرها، وهذا له نظائر في العربية. وفي هـذه الحال تبقى الكلمة على أصلها مبنية على سكون الهاء المفتوح ما قبلها.

وقد تفرع من هذه الطريقة اعتبار الهاء منقلبة عن تاء موقوف عليهـا، فكان ذلك علَّة لفتح ما قبلـها، وسـهله وجـود روايـات عليـه، ونظـائر أخرى، كما قيـل في (ابـن ماجـه) : ابـن ماجـةَ، ورُوِيَ في (نفطويـه) : نفطُويَة.

الطريقـة الثانيـة: اعتبـار الكلمـة مركبـة تركيبـا مزجيـا، كتركيـب خمسةعشـر، أو مركبـة كتركيـب تـاء التأنيـث مـع المؤنـث كشـجرة وناقة...إلخ. وبناء على هذا يجب فتح آخر الجزء الأول، فقالوا: خالَوَيْه، و(سِيبَ وَيه/ راهَ وَيْه....) كما هو شـأن المركـب المزجـي في العربيـة، وكذا شأن المركب مع تاء التأنيث، وجرى على هذا سواد أهل اللغة.

والجزء الثاني يحتمل على هذا الطريق وجهين: الأول: أن آخره ساكن: (ويْهْ) فحركوه بالكسر لالتقاء الساكنين، فهي حركة بناءٍ مجتلبة للتخلص من التقاء الساكنين مثل حركة الـذال في (يومئـذٍ) .. وقـوى هـذا اعتبـار (ويـه) صوتا، والأصوات مبنية. وعلّله بعضهم - كسيبويه رحمـه الله - بالزيـادة في

المنع من الصرف، وهي البناء، لكون الكلمة جمعت بين التركيب والعلمية والعجمة فقالوا: عمرَوَيْهِ وخالَوَيْهِ وحمدَوَيْهِ وشيرَوَيْهِ وخمارَوَيْـهِ ... وتنـوَّن عند التنكير كما ينوَّن نظائرها، نحو: إيهٍ وأفٍّ ... الخ.

الثاني: أنهم جوَّزوا أن يكون الجزء الثاني بمنزلة المضاف إليـه، لأن الملحوظ في هذه الكلمة كونها مكونةً من كلمتين كل واحـدة لهـا معـنى مستقل، ثم جُعلتا عَلَما على شخص، فكأن لاحقة (وَيْه) هنا مثل لاحقتي (أُوف) و(اتْـشْ) عنـد هـذه الأمـم الفارسـية، فيقولـون : مسـخادوفْ. وأحمدوفْ ... وسيلاديشْ . وبيقوبتشْ ... الخ. وهو بمنزلة ياء المتكلم، أو ياء النسب عندنا أيها العرب. ولذلك أضـافوا (ويـه) إلى : سـيب، و: نِفط، و: درست، و: عمْرو، و: زنجَ، وخالَ، وراهَ ... علـى أن (ويـه) كَلمة تعني معنىً مرادًا إضافته إلى كل واحد من هـؤلاء وأمثـالهم، كيـاء النسب، أو المتكلم ونحو ذلك. وبناء على هذا جعلوها مجرورة بالإضافةِ تصرفًا فيها بما يوافق لغة العرب في جر الاسم المضاف إليه، وهو إجراء جـائز في المركـب المزجـي أيضـا، ثم منعوهـا مـن الصـرف للعلميـة والعجمة، أو للعلمية والتركيب، وذهب إلى هـذا طائفـة مـن النحـويين كالكسائي رحمه الله. فقالوا: هذا عمرَوَيْـهُ وخالَوَيْـهُ وحمدَوَيْـهُ وشـيرَوَيْهُ وخمارَوَيْهُ ... ثم تفرع من هذا الوجه وجه آخر هو:

(وِيهْ) بواو مكسورة بكسـرة طويلـة ثم هـاء سـاكنة، فيقـال: سـيبَوِيهْ وعمْرَوِيهْ وراهَوِيهْ، وهو نوع مـن تصـرف النـاطقين في (وَيْـه) السـابقة، وسبب هذا نزوع حركة الـواو إلى مجانسـة اليـاء بعـدها، فكُسـرَتْ لأن الكسرة هي المجانسة للياء، وذلك أسهل أداءً على أعضاء النطق، وهـذا معروف باستفاضة على ألسنة الناطقين؛ للمجانسة الصوتية، ومنه قولهم:



علِيه وإلِيه وعلِيك ولدِيه...ونحو ذلك؛ للسبب نفسه. وقرئ في القراءات القرآنية المتواترة بكسر ما قبل الياء لهذه العلة الصوتية نفسها، ككلمات: (عيون، وغيوب، وشيوخ، وبيوت، وجيوب ..)(١) وكذلك قرئ فيها (عَسَيْتُمْ): عَسِيتُمْ، بكسر السين المفتوحة(٢) لأجل الياء بعدها.

تنبيه: النطق الأول (حمدُويَهْ) يترتب عليه ضم ما قبل الواو وجعلها مدةً له، وفي هذا تخفيف للنطق لتجانس الصوتين، فهو أخف من الانتقال من الفتح إلى الواو الذي يترتب على النطق الثاني، ولكن ضم ما قبل الواو يوجب التقاء واو مدية (ساكنة) بياء متحركة بعدها وكلتاهما أصل، والقياس هنا - بحسب قواعد اللغة العربية - قلب الواو ياء ثم الإدغام، فيقال: سِيبيَّه وراهيّه ودرستيّه ... الخ. وهذا خلاف ما هو شائع ومتعارف عليه، وفيه تغيير كبير قد يؤثر في علمية الكلمة، ولذلك رغب عنه اللغويون، واختاروا تحريك الواو فرارًا منه، ولأنّ تحريكها وإسكان الياء بعدها ينتقل به هذا الجزء من الكلمة إلى الأصوات العربية، وتحويل اللفظ الأعجمي إلى ما يوافق الألفاظ العربية غرض مقصود عند استعمال مثل هذه الكلمات.

وقد وردتْ آثار ونقول عن بعض العرب والعجم، لتعليل النطق الأول المنسوب للمحدثين، بعلل تعود إلى المعنى، لا يثبت منها شيء عند التحقيق، فلم يبق إلا ما تقدم من العلل اللغوية والتاريخية. والأصل في الأعلام الاعتماد على ما غلب وشاع استعماله؛ لأن اللفظ المتداول هو المعتمد في الدلالة على المسمى به، لأجل تعيينه، كما هو شأن سائر

(١) انظر السبعة لابن مجاهد ١٧٨.

(٢) انظر السبعة لابن مجاهد ١٨٦.

ألفاظ اللغة، فكل لفظ يُعد علما على معناه، شخصا كان أو جنسا، ولا يصرفه عنه إلا قرينة مصاحبة، وبناءً على هذا كانت الغلبة في هذا العلَم المختوم بـ(ويه) للوجه الثاني وفرعه ثم الأول؛ وهذه الغلبة تساندها الأدلة المقرونة بها وهي نقلية ولغوية وصوتية، سماعية وقياسية. هذه خلاصة البحث في هذه المسألة، والتفاصيل والأدلة والتحليل والتوثيق سيجدها القارئ في أصل البحث إن شاء الله.

والله تعالى أعلم بالحقائق.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقال الدكتور عبدالعزيز الحربي (رئيس المجمع) :

ما كتبه الإخوة الأعضاء الفضلاء كاف شاف، وخاصة ما جاء في ملّخص الدكتور عبدالله الأنصاري، و أودّ أن أشير إلى أنّ الباعث على البحث في هذه المسألة للانتهاء فيها إلى قرار أمران:

أحدهما: الخلاف الواقع بين أهل العلم، ولا سيما دارسي الشريعة بعلومها المختلفة، في كيفية النطق بها وتخطئة بعضهم بعضا، واستقرَّ في الأذهان عند كثير أن الضبط الصحيح للعلم المختوم بـ(ويه) بضم ما قبل الواو وفتح الياء، وشاع ذلك بين الخاصة من دارسي الشريعة والتزم به كثير من الخطباء على منابر الخطابة ، مع اعتقاد بعضهم أنّ النطق الآخر - وهو الشائع - غلط شائع.

الثاني: السَّير إلى تحقيق الهدف الذي نصبه المجمع أمامه، وهو (تيسير العربية وتقريبها) والتيسير في موضعه محمود ، دينا ، وعقلا،

وفطرة.. ومعلوم أن توحيد النطق باللفظ فيما تنازع فيه الناس خير من تعدد الوجوه مع تنازعهم .. وهذا هو نصّ القرار:

القرار الثاني

لمجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية

بشأن الاختلاف في النطق بالأعلام المختومة بـ(ويه)

في ١٨/١١/١٤٣٤هـ

يرى المجمع - بعد البحث والتحقيق - أنّ العلم المختوم بـ(ويه) كسيبويه، وراهويه، ونفطويه، يُضبط لفظًا وكتابة، بفتح الواو وفتحِ ما قبلها وسكون الياء، بعد أن تأكد لديه أن هذا الضبطَ هو الموافق للقياس، وَفْقَ المتبعِ في الأعلام التي نُقلتْ إلى العربية من أصول أعجمية، ولا يُغفل المجمعُ ما اختاره جماعة من المحدِّثين ومَن وافقهم حين يضبِطونه بسكون الواو مع ضمِّ ما قبلها وفتح ما بعدها، وقد تبيَّن أنه مخالف للقياس؛ ولذلك يرجِّح ما عليه أهل اللُّغة والنَّحو، لأنه الأشهر والأغلب، والأوفق لقوانين العربية، واللّغويون هم المرجعُ في ضبط الألفاظ على ما يوافق اللّغة، ولهم أن يجروها على سَنَن النطق العربي، ولأنه نقل إلينا عن أصحاب تلك الأعلام - وعلى رأسهم سيبويه - نطقُها على هذا الوجه ... هذا من حيثُ ضبطُه لغةً، وأما من حيثُ إعرابُه نحوًا، فإنَّ المجمعَ يختار مع الضبطِ المختارِ بناءَ الاسمِ على الكسر بناءً لازمًا .. والله الموفقُ للصَّواب، والهادي إلى صراطٍ مستقيم.

مجمع اللّغة العربية على الشبكة العالمية

ثانيا: التنبيه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وآله الطيبين، وصحابته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فقد اعتزم المجمع على إصدار سلسلة من التنبيهات على بعض الأخطاء الشائعة على الألسنة في ميادين الإعلام ومنابر الخطابة؛ تحقيقا للرسالة التي يسعى المجمع إلى تحقيق الأهداف الموصلة إليها، وسوف ينشرها المجمع تباعًا بعد موافقة الأعضاء المعنيين بعون الله تعالى وتوفيقه.

التنبيه الثالث للمجمع

لا تقولوا: مِفصَل.. وقولوا: مَفصِل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله الطيبين، وصحابته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين:

ينبّه المجمع إلى غلطٍ شائع يجري على الألسنة في لفظة (مِفصَل) بفتح الميم وكسر الصاد، على وزن (مِنبَر) اسمًا لملتقى كلّ عظمين من الجسد، والنطق به على الضبط المذكور لحن شائع، والصواب: نطقه بفتح الميم وكسر الصاد،(مَفصِل) على زنة (مَجلس).



وأمّا (المِفصَل) على وزن (مِنْبَر)؛ فهو اللِّسان.

والمجمع يحرص على هذا التّنبيه وأمثاله، حراسةً للعربية؛ وصونًا لألفاظها من اللحن والتشويه، وهو هدف كبير من أهداف المجمع التي رسمها؛ ليحقق من خلالها رسالته في خدمة لغتنا العربية الجميلة.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية

تعليقات أصحاب السعادة (أعضاء المجمع) على التنبيه الثالث

وردَ إلى المجمع من الأعضاء تعليقا على التنبيه الثالث ما يلي :

أولاً: اقترح طائفة من الأعضاء، ومنهم: أ. د. سعد حمدان، أن يُشار إلى معاني الْمَفْصِلِ الأُخر، وإلى أنّ المِفْصَل، بكسر الميم وفتح الصاد، تطلق على اللسان، وفيها لغة بفتح الميم وكسر الصاد.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وكذلك أ. د. فاروق مواسي، حيث قال: صدقتم في تحديد شكل (مَفْصِل) التي تعني ملتقى كل عظمين في الجسم، وكنت أود لو تفضلتم بالإشارة أيضًا إلى أن (المِفْصَل) تعني اللسان، وقد ذكرها حسان في شعره:

كلتاهما حلبُ العصير فعاطِني   بزجاجةٍ أرخاهما للمِفْصَلِ

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقال د. ريوقي عبد الحميد:

بعد ورود رسالة إلينا لتصحيح ما هو شائع يجري على الألسنة في لفظة (مَفصِل) بفتح الميم وكسر الصاد، اسما لملتقى كلّ عظمين من الجسد، حين ينطقونها بكسر الميم وفتح الصاد (مِفصَل) على وزن (مِنبَر). والنطق به على الضّبط المذكور لحن شائع، والصّواب: نطقه بفتح الميم وكسر الصاد، (مَفصِل) على زنة (مَجلس).



فإننا نؤكد هذا الطّرح الصّحيح السليم، بعد اجتهادنا في كتب اللّغة والمعاجم، فالأصح لفظ مَفصِل للدلالة على ملتقى عظمين من الجسد.

فقد اتفق أصحاب المعاجم والقواميس اللغوية: لسان العرب، مقاييس اللغة، الصحاح، القاموس المحيط ...، على: المَفْصِل: ملتقى عظمين من الجسد، أما (المِفْصَل) بالكسر فهو اللّسان.

فعن اللّيث: الفَصْل بَوْنُ ما بين الشيئين.

والفَصْل من الجسد: موضع المَفْصِل، وبين كل فَصْلَيْن وَصْل؛ وأنشد:

وَصْلاً وفَصْلاً وتَجْميعًا ومُفْتَرقًا   فَتْقًا ورَتْقًا وتأْلِيفًا لإِنسان

ابن سيده: الفَصْل الحاجِز بين الشيئين، فَصَل بينهما يفصِل فَصْلاً فانفصَل، وفَصَلْت الشيء فانفصَل أي قطعته فانقطع. والمَفْصِل، واحد مَفاصِل الأَعضاء، والمَفْصِل ملتقى عظمين من الجسد.

والمِفْصَل بالكسر هو اللسان؛ وأَنشد ابن بري بيت حسان:

كلتاهما حَلَب العَصِير، فعاطِني   بزُجاجة أَرخاهما للمِفْصَل

هذا في حدود علمنا، والله أعلم، شاكرين سعيكم في تصحيح هذا الخطأ الشائع، ووفقكم لخدمة اللغة العربية.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقال أ.د. عبدالرحمن بودرع (نائب رئيس المجمع):

توصلتُ بخطاب يُفيدُ: تنبيه المَجْمَع على خطأ شائع علـى الألسـنَة، وهو كسرُ ميم (مفصل) وفتحُ صادِها، وهو على غيرِ ما جَرى عليْه قياسُ العربيّةِ؛ فالصّوابُ كما نبّهتُم، بفَتح الميم وكسْرِ الصّاد، وقَـد جَـرى بـه السماعُ في شواهدِ العربِ وكَلامها بمَعانٍ عدّةٍ؛ فَقَد حَكـى الأزهـريّ في التّهذيب أنّهم أطلَقوا ماءَ المفاصِلِ، وهو جمع المَفْصِل، وأرادوا به صفاء الماء لانحداره من الجبال لا يمرُّ بتراب ولا بِطين، أو هو الماءُ يسيلُ مـن بين المَفْصِلين إذا قُطِعَ أَحدُهما من الآخر، ومـن مَعـاني المَفْصِـل بفـتح الميم وكسر الصاد أيضاً كلُّ مَكان في الجبل لا تَطلعُ عليه الشمس؛ فهـو مَفْرِق ما بين الجبل والسَّهْل، أو هو صُدوعٌ في الجبال يسيل منها الماء.

وقد ورَدَ اللفظُ به مفتـوحَ المـيم ومَكسـورَها في ديـوان حسّـان بـنِ ثابتٍ، في القَصيدَة الواحدة ولكن بمعْنييْن مُختلفَيْن:

إنّ التي نـاولَتْني فَرددْتُـها /// قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهاتِها لَم تُقْتَلِ

كلتاهُما حَلَبُ العصيرِ فَعاطني /// بزُجاجةٍ أرخاهُما للمِفْصَلِ

ولَقَد تُقلِّدُنا العَشيرةُ أمرَها /// ونَسودُ يومَ النائباتِ ونَعْـتَلي

ويَسودُ سيّدُنا جَحاجِحَ سادةً /// ويُصيبُ قائلُنا سَواءَ المَفْصِلِ

[ديوان حَسّان بن ثابت، شَرَحَه وكتبَ هوامشَه وقدَّم له: عبد أ. مهنّا، دار الكُتـب العلميّـة، بـيروت، ١٤١٤/١٩٩٤، ص:١٨٥، ومطلـعُ



القصيدَة: أسألْتَ رسمَ الـدّارِ أم لم تسْـألِ /// بـيْنَ الجَـوابي فالبُضَـيْعِ فحَوْمَلِ]

فالمِفْصَل، في بيت حسّان، بكسر الميم، هـو اللّسـانُ، وهـو بفـتح الميم المَفْرِق وموضع الفَصل والقَطْع؛ وهـو المَعْـنى المَشـهورُ. ومَعْـنى إصابَة المَفْصِلِ في البيت كقول المَثَل العربيّ: «إنّكَ لتُكثرُ الحَزَّ وتُخطـيءُ المَفْصِلَ» [مجْمَع الأمثال لأبي الفَضل الميْداني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المَكتبة العصريّة، بيروت، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص:٨٥]

والحزُّ القَطعُ والتأثير، والمفاصلُ الأوصالُ، وهذا المَثَلُ يُضرَبُ لمن يجتهدُ في السَّعي ثمّ لا يَظفرُ بالمراد. وفي مَثَـل آخَـر: «فُـلانٌ يُقـلُّ الحـزَّ ويُصيبُ المَفصِلَ».

وعليه، يَكونُ الـمَـفْصِلُ، بفتح الميم وكسرِ الصاد، بمَعْنى الـمَفرِق وموضعِ الفَصلِ والقَطعِ، والـمِفْصَل بكسـرِ الـيم وفـتح الصّـادِ، بمَعْـنى اللّسان.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

وقال د. عبد الله بن محمد بن مهدي الأنصاري:

إن كلمة (مفصل) مشتقة من الفعل : فَصَل يَفْصِل، لبناء اسـم مكـان منه، وقياس هذا فتح ميمه وكسر عينه، تبعًـا لفعلـه، فـإن فعلـه مفتـوح حرف المضارعة مكسور العين، هذا هو الضبط الجاري على القيـاس في العربية، وشذّ عن ذلك أشياء سُـمع فيهـا كسـر المـيم مـع فـتح العـين،

كـ(مِرْبَد) من ربَد يربِد كضرب يضرب (كما في المصباح المنير) وهو مَحْبِس الدواب، وكذا أمثاله مما كسرت فيه الميم وفُتحت العينُ مما أُريد به (المكان) فهو شاذ من جهة القياس، ولكنه محمول على أن المراد به الاسم المحض، من غير نظر إلى اشتقاقه من الفعل، ولذلك غُيِّر، وذهب إلى هذا التخريج بعض النحويين وعلى رأسهم سيبويه، وشرحه العلامة الرضيّ في (شرح الشافية) شرحا جيدًا، وبناءً على هذا نقول إن القياس في (مَفصِل) أن يكون بفتح الميم وكسر الصاد(العين) إذا أُريد بناء اسم المكان من فَصَل يَفْصِلُ، وإذا أُريد مجرد التسمية لملتقى العظمين فقط، وليس المراد التدليل على كل (مفصل) أيْ مكان التقاء شيئين مطلقا؛ فإنه لا مانع من النطق الشائع بكسر الميم وفتح الصاد، فهو شاذ من وجه دون وجه. و(المِفْصَل) بكسر الميم وفتح الصاد مقيس في اسم الآلة، كمِنْبَر، ومِبْرَد، ومِعْوَل، ومِطْرَقَة...ولذلك قيل لِلِّسانِ: مِفْصَل؛ لأنه آلة النطق والفَصْل بالقول، والبيان.

لَحْقٌ: قال حسان بن ثابت الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

إنّ التي ناوَلْتَني فرددتُها ... قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهاتِها لَم تُقْتَلِ

كلتاهُما حَلَبُ العصيرِ فَعاطني ... بزُجاجةٍ أرخاهُما للمَفْصِلِ

ولَقَد تُقلِّدُنا العَشيرةُ أمرَها ... ونَسودُ يومَ النائباتِ ونَعْتَلي

نَسَبي أَصِيلٌ في الْكِرَامِ ومِذْوَدِي ... تَكْوِي مَوَاسِمُهُ جُنُوبَ الْمُصْطَلِي

ويَسودُ سيّدُنا جَحاجِحَ سادةً ... ويُصيبُ قائلُنا سَواءَ المفْصِلِ

(ديوانه ص٧٤، بتحقيق: وليد عرفات، ط/دار صادر)



درج بعض الكتَّاب على الاستشهاد بقوله: «أرخاهما للمفصل» على مجيء (مِفعَل) من (فَصَل) مرادًا به اللسان، وهو رأي قاله بعض المتقدمين - وأظنه المعري - ولكن لا دليل قاطعا عليه، فإن البيت محتمل للضبطين: مِفْصَل/مَفْصِل، والمعنى يصح على كل منهما، غير أن تخريج البيت على أن المراد (الْمَفصِل) أراه أقوى وأوضح، لأن السكران ترتخي أعضاؤه ومفاصله وتفتر من أثر الخمرة، وهذا عام في كل مفاصله وأعضائه وليس خاصا باللسان، فتخصيصه به يحتاج إلى قرينة، وهي غائبة هنا، أما الضبط فقد أشار محقق الديوان إلى جمع من المخطوطات التي نسخ منها وأورد تباينها فيه، فلا يُعد فاصلا مفيدًا لليقين في المسألة.

ويقال هذا أيضا في الكلمة الأخرى: (ويصيب قائلنا سواء المفصل) ولكن الدلالة على اسم المكان هنا أظهر، لأن المعنى: «يصيب قائلنا الحق إذا تكلّم». والحق هو الذي يكنى عنه بـ (سواء المفصل) أي عين الفصل ومكانه الحقيقي، يشبه إصابة الحق بإصابة مكان التقاء الشيئين إذا أُريد الفصل بينهما، فالخبير لا يخطئ المحَزّ عند القطع، وكذلك الخبير بالحق إذا تكلم يصيب ولا يخطئه.

وأما الشّاهد القطعي في إتيان (مِفْعَل) اسما للآلة فهو قوله (مِذْوَدي) ويعني به لسانه؛ لأنه يذود به، شبهه ـ من قوة تأثيره ـ بالمِيسَم الذي يُكْوَى به. والله أعلم.



ثانيا : أصل التنبيه المـذكور عـن مقالـة كتبـها (رئـيس المجمـع) في كلمتي (مفصل ومحفل) في كتابه (لحن القول)، وهذه صورتها :

كَسرُ (المَفصِل) وفتح (المِنْبر)

(المَفْصِل): مُلتقى كـلِّ عظمـين. وكَسْرُ ميمِـه، وفـتحُ صـاده لحْـنٌ لا يُجبَرُ، والصوابُ: فتحُ ميمه، مع كسر الصاد، وجمعه: مفاصِل، كـ: مَجلِسٌ ومجالس، ومَنزِل ومنازل، ومَعدِن ومعادِن ... ومثلُ: (مَفْصِـل) (مَحفِل) في وزنِه، وهو أيضًا مما يلحنُ فيه اللاّحنون، وأمـا (المِفصَـل) - بكسر الميم وفتح الصاد -؛ كـ (مِفتَح)؛ فهو: اللّسانُ، كـأنهم جعلـوا وزْنَه كوزن الآلة؛ لأنه آلة الكلام .. ومما يقع فيه اللّحن، وسبق في التنبيه إليه ابنُ هشام اللّخمي في (تقويم اللّسان): كلمة (مِنْبَر) يفتحون ميمه وهي مكسورة؛ لأنه وَسيلةٌ، ويُصنع كما تُصنع الآلة، وفي اللّغة ألفـاظٌ يجـوز في ميمها الحركات الثلاث؛ يقال عنها: مثلثة الميم، ومن ذلك: مَخدع، ومَغْزل، ومَصْحف، ومَطْرف، ومن ذلك - أيضًا -: المُكْث، والمعـنى واحدٌ لكل لفظ، وقد عقد ذلك ابنُ مالك في مُثَلَّثِهِ المنظوم، فقال:

في الميم من مُكثٍ وميم مِطْرفِ ومخـدَعٍ ومِغـزلٍ ومُصـحفِ
ثلّثْ، وعُصوادًا عليـهنَّ اعـطفِ أي: هُوشةُ الخصام باصطخابِ

و(المطرف): ثوبٌ له أعلام، واقتصر صاحب (القاموس) على ضبطه بالضم؛ كـ: مُكرَم، وقال شارحه: «الاقتصار على ضمِّه قصورٌ ظاهرٌ». ثمّ أثْبتَ تثليثَه. والفتح والكسر من: (طَرَف)، والضّم من: (أُطرِف). هذا هو القياس المعروف.



❁ ❁ ❁ ❁ ❁

ويأتي تنبيه المجمع على هذه اللفظة وأمثالها غيرة على لغة الضّاد، وصونًا لها عن الخطأ والتشويه، وتحقيقا لهدفها المتمثل في حراسة العربية ... والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط،،،

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية

القسم الثاني:

البحوث



بقايا الألفاظ التركية

في المحكية اليمنية

أ . د . عبّاس علي السوسوة

أستاذ اللّسانيات بجامعتي تعزّ والملك خالد

العدد الثاني

ذو القعدة ١٤٣٤هـ

سبتمبر ٢٠١٣م

مجلة مجمع اللّغة العربية

على الشبكة العالمية



السيرة العلمية:

أ.د. عباس السوسوة

- ماجستير في كلية الآداب في جامعة القاهرة في علم الأصوات عام ١٩٨٤م.
- دكتوراه في كلية الآداب في جامعة القاهرة قسم اللغة التاريخي.
- يعمل الآن أستاذاً معاراً في جامعة الملك خالد في أبها.
- عضو مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية.

هدف البحث معالجة ما تبقى من الألفاظ التركية في المحكية اليمنية المعاصرة من حيث دلالتها: ما ثبت منها وما تغير، وطرق هذا التغير. وكيف تعاملت اليمنية معها صوتيا وصرفيا. وإذا أسعفتنا المصادر المكتوبة جنحنا إلى النظر إليها نظرة تاريخية تسبق حقبة الحكم العثماني لليمن وتليها، فالتركية نفسها فيها ألفاظ من لغات شتى: العربية والفارسية والايطالية والهندية واليونانية، ناهيك عن ألفاظ مشتركة مع أسرة اللغات الأورالية الألتائية التي تنتمي التركية إليها.

ونبدأ بمصادرة علمية: هي أن الألفاظ التركية التي اقترضتها اليمنية قليلة إذا قابلناها بلهجات العراق والشام ومصر.

فالتركية في تلك اللهجات متغلغلة في جميع أمور الحياة اليومية في أسماء الفراش والقماش والأثاث ومرافق البيت المختلفة، وفي كثير من ألفاظ المهن المختلفة كالنجارة والسباكة والنقاشة والحدادة، ثم مجال الأدوية. والألفاظ المستعملة في المصالح الحكومية، وفي المجال العسكري.

ولعل من أسباب ذلك: أن الحكم العثماني في تلك الأقطار استمر أربعة قرون أو تزيد، أما في اليمن فكانت مدته أقل؛ فالجيش العثماني دخل اليمن في ٩٢٣هـ (١٥٣٨م) وكان نفوذه الفعلي المباشر ابتداء من عام ٩٤٥هـ (=١٥٤٧م) ثم خرج منها ١٠٤٥هـ (=١٦٣٥م)، وعاد ثانية عام ١٢٤٩، واستمر حتى عام ١٢٨٩، ثم عاد بعد أعوام حتى عقد صلح دعّان مع الامام يحيى حميد الدين ١٣٢٩هـ/١٩٠٩م الذي أبقى لهم بعض النفوذ حتى عام ١٩١٨. وهذا معناه أن اليمن ظل أكثر من مئتي عام مستقلا عن الحكم العثماني.



وليس قصر زمن السيطرة العثمانية - على خطره - هو الفارق وحده، فإلى جوار ذلك كان الترك وأتباعهم من المماليك والأجناس ذات الأصول التركية في تلك الديار متغلغلين في شتى مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية مباشرة أو بالواسطة، وليس الحال هكذا في اليمن، إذ كان التأثير مقصوراً على العاصمة وبعض المدن الكبرى. وورث الإمام يحيى النظام الإداري الحكومي العثماني بهيئته وألفاظه، وبقي بعض الأسر التركية والمترّكة بعد رحيل الجيش العثماني عن اليمن ١٩١٨م.

كما تأثرت الأسر اليمنية الغنية في المدن من خلال الاحتكاك بالترك، فدخلت ألفاظ تركية في مجال الملبس والزينة ومرتفقات المنزل. غير أن التأثر بالعالم الخارجي صار أكثر فغلبت الألفاظ المقترضة من اللغات الأوربية الحديثة غير التركية، كما كان للتغير في النظام الإداري والمالي المتأثر بدول عربية كمصر أثره في ذلك.

وهنا نحب أن نشير إلى بعض الأعمال التي سبقتنا واطلعنا عليها.

١. أحمد السعيد سليمان: تأصيل ماورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل.

وهو كتاب علمي مهم، ومؤلفه متخصص في اللغات الشرقية. وقد قصر عمله على الألفاظ المقترضة الموجودة في تاريخ الجبرتي خصوصا ما كان ذا أصل شرقي أيًا كان.

على أن ما جاء من ألفاظ في المحكية اليمنية المعاصرة [سنختصرها الى اليمنية فحسب] مثل التي عند الجبرتي في القرن الثالث عشر الهجري قليل.

٢. ف. عبد الرحيم: «الكلمات التركية في اللـهجات العربيـة الحديثـة»، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، في المجلدين ٤٤، ٤٥.

وأكثرها لم يرد في اليمنية، وبعض ما جـاء في اليمنيـة لم يـرد عنـده وكنت اطلعت عليه قديما، وعند الحاجة للاستئناس به لم أعثر عليه.

٣. إسماعيل بن علي الأكوع «الألفاظ التركية في العامية اليمنية»، مجلـة المجمع العلمي العراقي ١٩٨١.

وهو يعتمد في نسبة اللفظ إلى التركية على أساتذة تُركٍ سألهم بنفسه. وهذا النهج - على أهميته - لا يخلـو مـن مزالـق. ذلـك أنى تأمّلتـها فوجدت المرحوم كلّمـا وجـد لفظًـا لا تظهـر عليـه سيماء الألفـاظ الإنكليزية أو الفرنسية = ضمّه إلى القائمة التركية. ولم يكن المسئولان من أصحاب هذا التّخصص، فكانا يقولان للجامع: نعم، هذا تركي.

وفي قائمته ألفاظ عربية لا شيةَ فيها جعلها تركية، و بعضـها لا دليـل على أنه تركي. والمهم أن في قائمة القاضي ألفاظًا ليست في بحثـي، كما أن بحثي يتضمن ألفاظا لم ترد عنده. وربما كان لاختلاف الجيـل أثره فهو يكـبرني - رحمـه الله - بنحـو سـتين سـنة، ناهيـك عـن أن منهجي لا يكتفي بالرصـد وحـده، بـل يقـوم بتحليـل اللّفـظ صـوتيًا وصرفيًا، معتمدًا على الاستعمال وتتبعه تاريخيًا.

٤. رمضان عبد التواب: «العلاقات اللغوية بين التركية والعامية المصرية».

وهو فصل من كتابه (دراسات وتعليقات في اللغـة، القـاهرة: مكتبـة الخانجي١٩٩٤) صص١٠٧-١١٥.



تحدث عن عشرة ألفاظ عربية استعملتها التركية في غير دلالتها العربية، ثم استقرّت في اللّغة الديوانية بمصر (ص ١٠٧-١٠٨). وسنذكر ستة منها هي المستعملة في اليمنية المنطوقة والمكتوبة.

إمضاء : أصلها في العربية إنجاز الأمر، ونستعملها اليوم بمعنى التوقيع بالاسم أو ما يدل عليه (اِمزاء).

دائرة : أصلها في العربية خط مستدير متصل. ونستعملها بمعنى مركز إدارة في حكومة، أو وزارة أو مصلحة (دايرت)

رسمي : أصلها العربي المنسوب الى الرسم. ونستعملها بمعنى صادر من الحكومة أو إحدى مصالحها.

معاش : أصلها العربي ما يعيش به الإنسان، ونستعملها بمعنى مرتب الموظف.

مقاولة : أصلها العربي مباحثة أو مجادلة (تبادل الأقوال)، ونستعملها بمعنى عقد أو اتفاق لإنجاز عمل مقابل مقدار معلوم من المال (مقاولت).

هيئة : أصلها شكل أو مظهر. ونستعملها بمعنى جماعة يوكل إليها عمل ما (هيأت).

ثم اختار بعد ذلك (١٠٩-١١٢) ٥٤ لفظا تركيا عينة لا إحصاء؛ إذ هي بالمئات.

المهم أنه لا يوجد منها في بحثنا سوى ١٦لفظة. وقد اكتفى – رحمه الله – بذكر اللفظ ومعناه.

أما طريقتنا فتقوم على الآتي :

- أن تكون هذه الألفاظ التركية أو المترَّكة من المستعمل في اليمنية سواء على قلة أو على كثرة وسنبين حظها من ذلك.
- أن تكون مما شاع بعد دخول اليمن في ظل الحكم العثماني لا قبله، اللهم إلا إذا كان للفظ أصل غير تركي ثم دخل التركية العثمانية بمعناه أو بدلالة متغيرة أو شكل جديد. المهم أنه موجود في المعجم التركي.
- بعض الألفاظ التركية شاعت في غير اليمن لكنها لم تشع عندنا إلا منذ عقود فأثبتناها وبحثناها.
- نبدأ بذكر اللفظ كما هو في اليمنية، وإن تعدد نطقه بيناّ ذلك، وذكرنا معناه أو معانيه المختلفة، ثم نذكر أصله في التركية، عثمانية وغير عثمانية.
- إن تيسّر تأصيل اللّفظ التركي فعلنا ذلك.
- متابعة اللفظ ودلالته عند دخوله في العربية المكتوبة ما أسعفتنا المصادر؛ وهذا على سبيل الاستحباب لا الإلزام.
- لن نذكر الألفاظ العربية التي استعملها الترك في الإدارة ولا يزال لها حضور مثل اللواء والقضاء والناحية.
- حتى لا نثقل البحث بالحواشي سنختصر إشارات المصادر على النحو الآتي:



- صفصا = الصفصافي احمد المرسي معجم صفصافي، تركي – عربي، القاهرة: ايتراك للنشر ٢٠٠٣م.
- تيمور = أحمد تيمور: معجم تيمور الكبير للألفاظ العامية، تحقيق حسين نصار، القاهرة: دار الكتب ١٩٧١-٢٠٠٢.
- ج- السعيد = أحمد السعيد سليمان: تأصيل ماورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، القاهرة: دار المعارف ١٩٧٩.
- د- طوبيا = طوبيا العنيسي: تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، القاهرة: دار العرب للبستانى ١٩٦٥[ط الأولى ١٩٢٩]
- هـ- خفنجي = علي بن الحسن الخفنجي، (ديوانه) المسمى سلافة العدس ولب العلس في المضحكات والدلس-مخطوط.
- و- معجم أسماء = معجم أسماء العرب، اللجنة العلمية: محمود فهمى حجازي، السعيد محمد بدوى، علي الدين هلال، مسقط: جامعة السلطان قابوس١٩٩١.
- ز- شوكت = اللواء محمود شوكت، الأزياء والتشكيلات العسكرية العثمانية منذ بداية الجيش العثماني حتى عام ١٨٢٥م نقله الى العربية يوسف نعيسة ومحمود عامر، دمشق: دار طلاس ١٩٨٨.
- ح- عراقي = عراقي يوسف محمد: الوجود العثماني في مصر في القرنين السادس عشر والسابع عشر، دراسة وثائقية، القاهرة: بيت الحكمة ١٩٩٦.

o ط- قارة = أحمد شرف الدين القارة (ت١٢٩٣هـ): ديوانه – مخطوط.

o ي- دوزي = رينهارت دوزى: تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمى، وجمال الخياط، بغداد ادارة الشئون الثقافية ١٩٨٠-٢٠٠١.

o ك- فير = هانز فير وج. ملتون كوان: معجم اللغة العربية المعاصرة، عربي-انكليزي، بيروت مكتبة لبنان ١٩٨٣م.

o ل- تونجي = محمد التونجي: المعجم الذهبي، فارسي-عربي. دمشق: المستشارية الثقافية لسفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية ١٩٩٣.

o م- صديق = حسن ابن الصديق: غرائب البدائع وعجائب الوقائع، تحقيق يوسف نعيسة، دمشق: دار المعرفة ١٩٨٨.

o ن- رجب = رجب عبدالجواد إبراهيم: المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث. تقديم محمود فهمي حجازي، راجع المادة المغربية عبدالهادي التازي، القاهرة: دار الآفاق العربية ٢٠٠٤م.

o س- إيمان = إيمان السعيد جلال: ألفاظ الحضارة في القرن التاسع عشر من خلال كتاب الطهطاوى (قلائد المفاخر في عوائد الأوائل والأواخر) القاهرة: مكتبة الآداب ٢٠٠٩م.



- ع- متولي: أحمد فؤاد متولي: الألفاظ التركية في اللهجات العربية وفي لغة الكتابة، القاهرة: الزهراء للنشر ١٩٩١م.
- ف- ف. عبد الرحيم = سواء السبيل إلى ما في العربية من الدخيل، المدينة المنورة: دار المآثر ٢٠٠١م.

- وماعدا ذلك سنذكره في الهوامش.

وأكثر الألفاظ التركية - على قلتها - في المجال العسكري ومجال الأسلحة، ومنها: بيادة، بُلك، قروانة، شاوش، سنكي، لغم، قنبلة، طابور، طقم، باروت، دانة، كاكي، ياي، مَسد، نشان، يَسك، بشلي، قايش، قشلة، بيرق.

ثم في مجال البناء ومنه: كريك، خازوق، سقاله، بدروم، كشك، خرسانة، لي.

وفي مجال الملبس والزينة وما في حكمها: شبشب، جزمة، بويه، يلق، ياقة، فرتكة، بليزق، صاية، قاوق، كمليك، شرشف، كرتيلة، تزجة، حولي.

وفي مجال الأثاث ومرافق المنزل: جردل، تبسي، ماِنَية، يُرقان، طاوة، كريولة. بردق، لَجَن.

وفي مجال المأكولات: يرت، راحة حلقوم، بريك، قوزي، شاورمة.

وفي مجال الإدارة الحكومية: سركي، جمرك، دمغة، كُهنَة، بَصمَة.

وفي أسماء العملات: بُقشَة، زَلَط. قروش. وهناك ألفاظ قليلة في مجالات غير هذه.

على أننا ننبّه أن بعض الألفاظ ينتمي إلى أكثر من مجال. فمن ذلك أن الطابور المنتمي أساسا إلى المجال العسكري، ينتمي أيضا إلى المجال الرياضي. والمجال المدرسي، والمجال المعيشي، وكذلك طقم فهي لفظ عسكري وطبي وتجاري وملابسي بحسب سياق الحال الذي يستعمل فيه.

ومن الواجب أيضا الإشارة إلى أن اللهجات العربية الحديثة في مصر والشام والعراق وصل فيها التأثير التركي إلى القواعد الصرفية في بناء الكلمة، فاستعملت اللاحقة /جي/تشي للنسبة إلى المهن والصفات في حين لم يحدث ذلك في اليمنية وإذا وجدنا ٣الفاظ أو خمسة: انتهت ب (چي)، فانما هو من قبيل الاقتراض المعجمي للكلمة وحدةً دلالية بكل مكوناتها.

وإليك الألفاظ مرتبة ألفبائيًا :

أبلَه : بتفخيم الباء واللام، معناها المدرِّسة. والكلمة من المقترض عن إخواننا المصريين في الثمانينات. معناها في التركية "الأخت الكبرى، يقال للسيدة أو الآنسة احترامًا" (صفصا٩).

أُصمللي : الشاي أحمر اللون. وأصل اللفظ عصمان = عثمان - إذ لا ثاء في التركية - + لاحقة النسب لي. فيكون المعنى (عثماني). ولا أدري وجه تخصيص صفة العثماني في الشاي الأحمر. واستعمال هذا اللفظ نادر جدا.



أفَنِدم: تقال في الجيش والشرطة بمعنى: حاضر، يقولها الأدنى للأعلى رتبة ومقامًا، ومنها قالوا (الأفندم) للقائد ولمدير الأمن، بل لرئيس الجمهورية، اعتمادًا علَى أن كل رؤساء الجمهورية باستثناء القاضي عبدالرحمن الارياني- من الجيش. وربما جمعوه على فنادِمة.

وهي في التركية بمعنى: سيّدي، نعم، فعلاً؛ للرّدّ على من ينادي (متولي ٨٦)، وهي من (أفندي) في العثمانية وفي التركية الحديثة: سيّد، لقب يطلق على الموظفين والمثقفين بعامة، يسند إلى المتكلم المفرد فيقال: أفنديم .. سيدي (متولي٥٨).

ويفرد (السعيد٢٠-٢٣) أربع صفحات لتأصيل كلمة (أفندى) نلخص ما فيها: أفندي عن اليونانية العامة (أفنديس) وهذه عن اللفظ القديم (ايثنديس)، دخلت في التركية الأناضولية في القرن ١٣م (أفنديم زيك قيزي: بنت أفندينا)، واستعملها محمد الفاتح في فرمانه الموجه لأهل غلطة، واستعملها العثمانيون للرّجل يقرأ ويكتب، ولقبا لبعض كبار الموظفين، وأطلقت على مشايخ الإسلام وعلى رؤساء الطوائف الدينية الأخرى، مثل ناحوم أفندى حاخام استانبول ثم القاهرة، وكانت لقبًا لضباط الجيش العثماني حتى رتبة بكباشي، وكان يقال لزوجة السّلطان قادين أفندى. وكان المصريون يطلقون على (محمد علي) وخلفائه: أفندينا. وقد استعملها الشاعر محمود سامي البارودي في مخاطبة المحبوب كما يفعل الترك في أغانيهم إلى الآن:

فأهد منّى له تحية صدق   وتلطّف بحالتي يا أفندي

ألغي لقب أفندي في تركيا في نـوفمبر ١٩٣٤م، وفي مصـر بعـد ١٩٥٢م. ١.هـ ملخصًا. (انظر تيمور٢/٥٥-٥٦).

بقي بعض الأسر التركية تحمـل لقـب (أفنـدي)، ومنـهم: وزيـر التموين في حكومة ما بعد حرب ١٩٩٤.

من الجدير ذكره: أنه بعد قيام حكومة الوحدة في ١٩٩٠/٥/٢٢ فكّروا في وزارة الدفاع في إلغاء عبـارة (أفنـدم) عنـد الجـواب، ورأوا أن يحلوا مكانهـا (خـوي) لـولا مـن نـبَّههم إلى أن اللّفـظ الجديد في اللّغة الروسية معناه: عضو الذكورة.

اَليَكون: حاصل الجمع في المعاملات المالية، الخلاصـة الماليـة، وقـد شهدتها حتى أول الثمانينيات في مكتب ماليـة تعـز. "واسـتعملها الجبرتي، واستعملها الترك. وهي الفعل العـربي (يكـون) دخلـت عليه لام التعريف. ويستعمل الترك هذا الفعل العربي اسمًا بمعـنى حاصل الجمع فيقال مثلا: (يكون مسألة الجمع هـذه مئـة)، أي: حاصل جمعها، وأيضا بمعنى المقدار أو القدر فيقول المحاسـب مثلا: (يكون هذه الفاتورة مئة جنيه). وفي الجبرتي: (فيقال المراد أي شيء وليس عندي غلال؟ فقال له الوكيل: نجعلـها (الحـديث هنا أربعين ألف إردب من القمح والشعير) مثمنـة بقـدر معلـوم، فثمنوا القمح بستين نصف فضة الإردب، والشعير بأربعين، فقال ابراهيم بيك: يصبروا حتى يأتيني شيء من البلاد، فقـال الوكيـل: العسكر لا يصبرون، ويحصل من ذلك أمر كـبير. فجمعـوا مبلـغ اليكون فبلغ ثمـانين كيسـا ... الخ - الجـبرتي ١/١٥٧" (السـعيد ٧و٢٠٢-٢٠٣).



أوَنطَجي : مخادع، ومصدرها أونطة. "وأصلها رومية (=تركية) عمل عليه أونطة أي لعب عليه وخدعه. وأصل الأوَنطجي هو من يستأجره أصحاب ملاعب القمار ليوهم اللاعبين أنه مقامر، ويعمل على مصلحة الملعب" (تيمور٢/٨٥). وفي (صفصا ٣١): **أڤنتا** : كسب بدون وجه حق عن الإيطالية.

باروت : مسحوق من ملح النّطرون والفحم ومواد أخرى، هو المادة الأساسية في صنع المتفجرات والقذائف. وأعرف مناطق من ريف تعز يعمل بعض أهلها في الباروت ويسمى الواحد مُبَورِت. وهي: "كلمة تركية، كما ورد في فرهنك معين وفرهنك عميد.

وذكر عبد المنعم ماجد في كتابه (نظم دولة سلاطين المماليك): أنّه عُرف لأول مرّة على يد المماليك في مصر" (إيمان٦٣ وطوبيا٦ وتيمور٢/٩٣).

والتركية أخذته من اليونانية (بورتيس) "اسم حجر معدنى تخرج منه النار عند القدح ذكره ديسقوريدرس (...) وهذه الكلمة اليونانية مشتقة من (بور) بمعنى النار"[١]، وكان للباروت ذكر عند المؤرخين، فمن ذلك "فين هل باروت الذي أوعدتنا به" (صديق٢٢ وانظر ٦٤، ٤٩، ٤٣ الخ).

وجاء عند لطف الله جحاف (ت١٢٤٣هـ): "وبقوا بالحصن عشرين يومًا ثم هدموه فأتعبهم فسلطوا عليه الباروت وألقوا عليه

(١) ف. عبد الرحيم: سواء السبيل الى ما في العربية من الدخيل، المدينة المنورة: دار المآثر ١٤١٩هـ../ص ٣٠.

الفتيل الملصي من خارجه، فسرت النار في الفتيل حتى اتصلت بالباروت، فسمع له قرحة كالرعد القاصف"(١).

باشمهندس : من المقترض حديثا بالواسطة المصرية، ولا تقال الكلمة إلّا في النداء، ولا تجمع. وهي من الفارسية المعربة قديما مهندز صارت الى مهندس، وزيد عليها السابقة التركية (باش) الدالة على الرئيس (انظر تيمور٢/٩٥-١٠٠) كأن يقال باشكاتب، أي: الكاتب الأول، باش مهندس، المهندس الأول ... الخ (متولي٥٩-٦٠).

باغَة : بلاستيك قوي كالأصداف البحرية. وأصله في التركية "صدف بعض القواقع البحرية" (صفصا٣٧). كان يصنع من هذا البلاستيك أكواب وأطباق للأكل وبعض الحلي. وكان أغلب العامة يسميها العاج (!!) ولايزال بعضهم. وعندما انتشرت أكياس التغليف والحمل البلاستيكية الشفافة، ربما سماها بعضهم أكياس باغة.

بَدروم : الجزء السفلي من المبنى يكون تحت الأرض. حسب علمي لم يكن للفظ ومعناه وجود قبل التسعينيات، إذ هو مقترض حديثا عن طريق المحكية المصرية. واللّفظ تركي بُدرُم من أصل يوناني (السعيد٣٧، ٧) ومعناه: دور تحت الأرض (صفصا ٤٥و٥٤).

(١) درر نحور العين بسيرة المنصور علي وأعلام دولته الميامين، دراسة وتحقيق عاطف محمد الرعوي، صنعاء: وزارة الثقافة ٢٠٠٤م، ص١٠٩٢، الملصي: المشتعل، قرحة: انفجار.



بَردَق : الكأس أو أي إناء معدني يُشرب به. وهـذا اللفـظ بـاق في لهجـة صنعاء وماحولها، وهو مدعاة للتندر من كلامهم. ويجمعونه على بَرادِق. وفي التركية: بَردَك: قدح، كوب، كوز (صفصا١٤١).

بَرظُه : بمعنى ايضا. وهي من المقترض حديثا بالواسـطة المصـرية، مـن التركية عن الفارسية (باردو) بمعنى مرتين، انظـر تيمـور ١٣٣/٢ وفي متولي ٨٦برضو، برضك من العثمانية والتركية الحديثة بـرده دون ذكر للمعنى.

بِرواز : إطار الصورة وجمعه براويز، والصفة مُبَروَز واسم الفاعل مُبَروِز. مـن بِرفـاز (ببـاء مهموسـة وفـاء مجهـورة):حاشـية، إطـار (صفصا٣٨٨).

بزاليا : حبوب من البقول تميل الى الاخضرار تشبه الترمس، تطـبخ "مـن التركية بزايليا bezelye، ويبدو أن هذه الصيغة التركيـة مـاخوذة من الايطالية" [عبدالرحيم ٣٣] بسللو. (صفصا٥٠).

بَشلي : نوع من البنادق القديمة عبوته خمـس طلقـات. وهـو في التركـي عام، بَشلي بمعنى: ذوخمس، وبَشلك: خُماسي، صفة لأي شي. (صفصا٤٩وطوبيا٨)، وخصصتها اليمنية لهذه البندقية.

بَشمق : وجمعها بَشامِق: حذاء، واللفظ عند كبار السن أشيع مـن جزمـة المـرادف لـه. وهـي بالعثمانيـة بَشـماق، وفي التركيـة الحديثـة بَشمق/بَشـمَك. والبشـماقجي: حـارس الاحذيـة في المسـاجد وغيرهـا، والبشـمقدار: خـازن الأحذيـة، ومهمتـه في العصـر

المملوكي -كما جاء في صبح الأعشى ٤٥٩/٥ -حمل نعل السلطان والأمير. (رجب٦٦-٦٧ والسعيد٨٤ وصفصا٤٤). وللفظ حضور في عامية القرن الثالث عشر (قا١٣٣، ٦٢، ٤٦)

بَصَمة: خطوط بنان الأصابع وتطبع على المحررات الرسمية، وتجمع على بَصَمات، والفعل بَصَم يبصُم. وبَصَّمه: جعله يختم ببصمة الإصبع / الأصابع على أوراق والمصدر تبصيم وبصم. وليس لها معنى آخر. وهي في التركية من بَصمَك: الدوس والضغط (صفصا٤٣) ويزيدنا (السعيد٤٠) أنها من التركية باصَمق: أن يطأ برجله، أن يضغط، أن يطبع. ونقل من تاريخ الجبرتي: (وتناثر منها أوراق كثيرة من نسخ الأوراق المبصومة).اى المطبوعة. و (بصموا منه-اى طبعوا-عدة نسخ وألصقوها بالطرق).اهـ.

بُقشَة (نقود): عملة كانت تساوي١/٤٠ من الريال اليمني، انتهى التعامل بها عام ١٩٧٥م بأن حلّ الفلس ١/١٠٠ من الريال محلها. وتجمع على بُقَش، التي صارت تعني الآن النقود دون تعيين، وفي حالة إظهار فقر المرء يقال: ماعِندُهش ولابُقشَه، أي لايملك نقودًا مطلقًا. وأصلها في التركية أُقجة (بجيم تركية) "ومعناها اللغوي: الضارب إلى البياض. وهي عملة فضية صغيرة سُكّت في عهد أورخان بن عثمان...." (السعيد٢٣ وانظر في مبلغ بعض المرتبات السعيد ٩٩، ٢٧ وعراقي ١٠١، ٨٠، ٧٩، ٧٧، ٣٤، ١٦، ١٥على سبيل المثال، وصفصا١٥)

وخبرنا اللواء محمود شوكت أن مرتب الانكشارى في القرن العاشر الهجري "خمس أقجات يوميا، وفي القرن الحادي عشر



أصبح يتقاضى من الدولة ١٧ أقجة. وكانت الأقجة الواحدة تعادل آنئذ ثلث درهم من الفضة..." (شوكت ٦٤وانظرها في ٦٥، ٦٤، ٥٥، ٥٤).

وتحويل اليمنية للجيم التركية التي هي (تش) إلى شين مفهومة، بأنها أزالت أحدعنصرى هذا الصامت المركب، غير أن تحويل الهمزة المضمومة إلى باء ليس من الإبدال المألوف. ونرى ذلك من قبيل أخطاء السمع التى تعمم. المهم أننا نجد البقشة في كتابات القرن الثاني عشر فتيمور (٢/٢٠١) ينقل عن خلاصة الأثر للمحبي (ت١١١١هـ) أن (بُقشَة) صنف من العملة في اليمن. والمطلع على قانون صنعاء في القرن الثاني عشر يجدها مذكورة في أثمان السلع وفي الأجور، ولها حضور في شعر العامية، ومن ذلك:

وكم مليح يفتنك بعد الغدا   والصبح تلقاه يسوى بقشتين

(خف ٨٥، وانظر قا ٨٥)

بل إن لها ذكرا قبل ذلك في كتابات القرن الحادي عشر، فمن ذلك ما جاء عند المؤرخ ابن حنش[(١)]. والشعير حرف، والعصرة الشَرف بقشتين، وفي مواضع أخرى: "وبلغ السمن حرف وبلغت الحلبة مئتين بقشة ... ثم نزل السعر في صنعاء مما كان عليه عشر

(١) النور المشرق، ص١١٧ العصرة الشرف: حزمة العلف اليابس والحرف عملة اكبر من البقشة.

بقش"[١]. وفي مذكرات المؤيد بالله: "وأما بعد، أن لا تخرج البقشة الواحدة قط إلا أن يأذن في شيء"[٢].

بُقشَة (صرّة): قطعة قماش ذات زوايا أربع توضع فيها الأمتعة ثم تُربط أطرافها الأربعة. وهي بنفس المعنى "من التركية (بوغجة). وقد اختلف في تأصيلها، ففي المعجم التركي لسامي بك أنها تصغير (بوغ) من المصدر (بوغمق)، بمعنى أن يخنق [وأورد تأصيلا آخر رفضه]. والكلمة عند الجبرتي (بُقجة) وجمعها (بُقَج) ... وقبل ذلك بقرون عند الرحالة ابن بطوطة في حديثه عن سومطرة (وأخرج من البقشة ثلاث فُوَط..." (السعيد ٤١-٤٢. وانظر: صفصا ٥٥، وأشار تيمور ٢/٢٠٢ إلى وجودها في كتابات القرون السابع والثامن والتاسع).

قلت: وهي في رحلة ابن بطوطة ٢/٧٠٧ط مؤسسة الرسالة بيروت.

بلطجي : العاطل الذي يعتمد على قوته في إخافة الناس دون وازع من دين أو قانون، ويجمع على بلاطجة. واسم المهنة - إن صحت مهنةً - البلطجة، والفعل بلطج يبلطج فهو مبلطج وبلطجي.

وهو من المقترض حديثا بالواسطة المصرية، ففي الأزمة الأخيرة في اليمن التي ابتدأت في مارس٢٠١١م وصمت الأطراف

(١) النور المشرق، ص١٤٩، ١٥١.

(٢) مذكرات المؤيد بالله محمد بن إسماعيل، ص٢٢ وانظر صفحات ٢١٨، ١٦٦، ١٥١، ١٤٠، ١٣٤، ١٣٠، ١١٤، ١١٣، ٩٩، ٩١، ٨٦، ٨٤، ٧٧، ٧٠، ٥٩، ٥١، ٣٩.



المتنازعة مخالفيها بهذه السمة. وهي في التركية العثمانية تعنى حامل الفأس: بالطه جي "وهو الشخص المسلح بالبلطة يقوم على حراسة قصر السلطان من الخارج" (متولي٣٩). لكن دلالتها انحطت في العاميات العربية - واليمنية منها - وربما كان لحاملي البلطة في زمن مضى سلوك شائن سوّغ تحميلهم هذه الدلالة، ومن ثم عمموها على غيرهم. وفي (تيمور٢/٢١٩) عن المنهل الصافي لابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ) (٥/٦١٤ بلطا) بالتركية: المسحاة تحفر بها الارض.

بُلُك : كان فرقة من الجيش تعادل السريّة، ويكاد هذا المعنى يندثر. وهو في التركية بولوك: فوج، مجموعة، قِسم، ربطة (صفصا٥٨، معجم أسماء العرب ٢٠٧) فبولوك طوبجي=سرية المدفعية (شوكت٤٦)، وكان البلوك في الجيش العثماني يتكون من ١-٦٠شخصا (شوكت٨٢).

ويؤصل السعيد سليمان اللفظ فيقول: "في التركية بولوك من المصدر بولمك: أن يقسّم، و[معناها] القسم، الفوج. وبولوكات النظام كانت معروفة في مصر إلى عهد قريب وأشار إلى الجبرتي ١/٣٤، ٣١ (السعيد٤٤).

بقيت آثاره من معنى القِسم في مدينة عدن، إذا البُلُك هناك: مجموعة متقاربة أو مترابطة من المباني، تظهر وحدةً منفصلة عن غيرها. أما في غير ذلك فقد صار البلك يعني الطوب الأسمنتى، وهذا ليس من التركية.

بَلكي : ربما، لعلّ، يحتمل أن. وهي في التركية والفارسية بهذه المعاني. وذهب تيمور الى تركيبها من (بال) العربية و (كِه) التركية بمعنى ظن أو يمكن. وهي فيهما بَلكِه وبَلكي (تيمور ٢/٢٢٢.صفصا ٤٧، تونجى١٢٥)

واستعملت بلكي وبلكت عند المؤرخين، فمن ذلك "خليهم وارجع للخِيام، بلكت بُكرا ينفذ علينا حيدر ان شاء الله" (صديق ٢٦وانظر ٤٨) وعنده "وبلكي اذا نحنا مانعتازكم بعد رواحنا للحج" (صديق٣٥).

بِلَيزق : أساور، مفردها بِلزِقي. في التركية بِلِيزق / بِليزِك: سوار، مِعصم، خلخال. (صفصا٥٢). وجاء بصيغة المفرد عند علي جحاف:

قد كنت جازع مدعمم حالة المشرقي
يدوّر ام رزق يشقا له معا من لِقي[1]

صادف لقيت ام هويل في امّ دودَة يستقي
ابيض، محنّى، كحيل في ساعده بلزقي

بَورَزان : نافخ النفير. وفي التركية بُورَزان وبورزون وبوريزون بالمعني نفسه (صفصا٥٦، شوكت١٢٨)

(١) علي عبدالرحمن جحاف، كاذي شباط، ص٤٠ جازع: مار، مدعمم: متجاهل، يشقا: يشتغل بكد، ام هويل: الجميل، امّ دودة: محل المياه.



بوري : لها عدة معان:

١. بوري المداعة يوضع فيه التتن والجمر للتدخين.

٢. النفير ينفخ فيه للتنبيه والنداء ونحوهما.

٣. آلة التنبيه في المركبات، ويرادفه: هَون، وطُرّيقة.

وهو في التُركية يحمل المعنيين. فانظر مزيدا من التفاصيل في الفصل الخاص بالدخان في هذا الكتاب.

بوريك وبُريَك : خبز يحشى بالجبن او اللحم والخضروات ويسوّى في الفرن. وهو من المقترض الحديث الشائع بعد السبعينيات عن طريق إخواننا المصريين والشوامّ. والكلمة في التركية بوريك بالمعنى نفسه (صفصا٥٨)

بولَه : طابع البريد، وهذا مما انقرض بداية السبعينيات. ودخل التركية من الايطالية بولو بالمعنى نفسه (طوبيا١٥) و (متولي٧٥).

بويَه : دهان تلميع الأحذية الجلدية، واشتقوا منه باوا-يباوي مباواة، فهو مباوي ومباوَى. وهو في التركية: بويا: صبغ وخضاب ولون (طوبيا١٥وصفصا٥٦)

بِياده : الحذاء، العسكري خاصةً. ويبدو أن التركية اقترضته من الفارسية، ففي الفارسية بيادِه: راجل، والمشاة في الجيش. (شوكت ٩٨، تونجى١٧٨، طوبيا١٥، تيمور ٢٩/٢، ٢٧٠).

بَيرق : راية، عَلَم وجمعوه على بيارق. في التركية بيراق وبايراق بهذا المعنى، واقترضته الفارسية منها (السعيد٤٨، شوكت٤٨، تونجي١٣٦، صفصا٤٥، تيمور٢/٢٧٧) وله وجود في كتابات القرن الثالث عشر [١].

تُبسي : الطبق الصغير يوضع فيه أكل. وهو كذلك في التركية (تيمور٢/٢٨٦).

تتن : نبات الدخان. وقد تحدثنا عنه بتفصيل شديد في الفصل السابق من كتابنا (قد اليمنية) (صنعاء ٢٠١٢ص ١٤٤-١٤٧).

تَزجَه : عصابة قماش ملونة محشوة بأوراق تقويها، تضعها المرأة على جبهتها وتربط طرفيها. وأكثر ماتسمى في ذمار وصنعاء وما حولها. لم يذكر أحد تركيتها، غير أننا نظنها كذلك. وقد وردت عند (تيمور ٢/٢٨٩) مقلوبة؛ تجزة: مالوش تجزة، أي لا رباط له ولا ترتيب يعرف. اهـ

تَل : شبك حديدي أو بلاستيكي صغير الثقوب، شفاف، تغطى به نوافذ المنزل، كي يمنع الحشرات من الدخول، وفي الوقت نفسه يسمح بالرؤية. وهو في التركية بضم التاء، وهو نوع من الزخارف النسيجية المنفذة بالإبرة، ويعتمد أساسًا على عمل نسيج شبكي ذي عيون ضيقة أو واسعة[٢]. فاليمنية فتحت التاء وجعلت التل في النوافذ بدلا من الزخارف الشفيفة في ثوب المرأة.

---

(١) انظر درر نحور العين، ص٤٦٠-٨٧٧.

(٢) انظر آمال المصري: أزياء المرأة في العصر العثماني، القاهرة: دار الآفاق العربية ١٩٩٩ ص١٦٢.



تنباك : انظر نفس ملاحظتنا عن تتن.

تنجرة : قدر معدنية يطبخ فيها، جمعها تناجر، وكناية عن البليد. في التركية قدر من نحاس وغيره (طوبيا٤٧ ، ١٨ومتولي٧٤).

تَنَك : صفيح، ووعاء صفيحى يسع نحو عشرين لترًا، وإذ أفرد فهو تنكة، وتجمع على تِنيك وأتناك. معناها في التركية: حديد ممزوج بقصدير يُدَقّ صفائح، وتِنكچى صانعه (طوبيا١٩)

جبُّخانه/جبَخانَه : مخزن الذخاير والأسلحة، ظللت أسمعها حتى نهاية السبعينيات وهي في التركية جَبَه خانه بالمعنى نفسه. وهي مركبة من (جَبَه) بمعنى الدرع المكون من أجزاء، و (خانه) بمعنى مكان. وسّع الانكشارية معنى الجبه جي من صانع للدروع إلى صنّاع الأسلحة والذخاير والقائمين على حفظها وإصلاحها (السعيد٦٥-٦٦وشوكت ١٠٤ وتيمور ١٤/٣) والجبرتي يستعمل الكلمة بمعنى الذخيرة، ومنها: (فوصل الى مالطة، وأنشأ له سفينة وشحنها بالجبه خانه والآلات) الجبرتى١/١٣٣، وجمعها على جنخانات، الجبرتي ١/٣٣٧و٢/١٨٤و٣/٢٥٣. وجاءت بمعنى الذخائر قبله عند عيسى بن لطف الله (ت١٠٤٨هـ). ومنه "وانتهبت عساكر السلطنة خيامه وخزانته وجبخاناته"[١]، ومنه أيضًا: "وحمل السلاح والجبخانات الى الحصون"[٢].

وفي (صديق٦٠): أخذ حمل خمسين جبخانه قنابر.

(١) روح الروح فيما جرى بعد المئة التاسعة من الفتن والفتوح ١٤/٢.
(٢) نفسه ١٢/٢. وانظر: ٧١، ٦٠، ٥٠.

وبمعنى الذخيرة عند نقولا ترك المعاصر للحملة الفرنسية على مصر (ت١٨٢٧م) "ثم رموا الغلايط بمبة واحدة فجاءت في الذهبية الذي فيها الجبخانه فاحترقت"(١).

جَردَل : دَلو، سطل من المعدن أو البلاستيك، وهو من المقترض حديثا بواسطة التلفزيون والسينما العربية بعد عام ٢٠٠٠م، وهو بالمعنى نفسه في التركية وإن قيد بالخشبي (صفصا ١٤٧، ولم يذكر تيمور الأصل ٣/٢٦). ويرادفه بالدي الهندي، وسطل العربي. وهما أشيع منه.

جَرم : على مثال قَلب، ثوب من جلد الضأن المدبوغ، يلبس فوق الثياب للوقاية من شدة البرد، يجمعونه على جُرُم. ودخل في تعابيرهم الاصطلاحية "مُضارَبة جُروم"، بمعنى الاقتتال الزائف بغرض سرقة ماعند الآخرين، فسليم النية يظنها (خناقة) حقيقية فيخرج في عِزّ البرد ليلا ليفصل بين المتقاتلين فإذا بهم يسلبونه الجرم الذي يلبسه.

هو في الفارسية جَرم بجيم فارسية، بمعنى جلد الحيوان مدبوغا (تونجى٢٣٧). أما في اليمنية فقد أضيف إلى المعنى حين غيروا في ضبط الكلمة وجعلوه جَرَم على مثال قَلَم. فالجَرَم هو القميص النصفي، وهو أيضا النصف العلوي من الثوب الداخلي الذي يلبس فوق البدن مباشرة بغير أكمام.

(١) مذكرات نقولا ترك، بعناية جاستون فييت، القاهرة: المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٥٠ ص١٣-١٤.



وكان للجرم- بسكون الراء - حضور في أشعار القرنين ١٢و١٣هـ، فمنه قول الخفنجي: (خف١٧٣):

من صار بثوب الذكا والقيبسة مكسي

ومن بجرم الفصاحة بطّن اليغمور

واليغمور- في المخيال الشعبي- الحوت العظيم الذي يستند عليه الكون. وانظر (قا١١٣، ١١٢)

وفي القرن نفسه شعر مشترك بين محمد بن هاشم الشامي وسعيد بن علي القَرَواني:

أمانة، فكيف الشمس في البَرد في الضَلَع

إذا جَرّتك رجلك وتخرج بها بَرَع

وجَرمك عليك يهقف من البرد كالنطع

وشمس الضحى تِعشِش إلى أن تصل زبيد[١]

جَزمَة: الحذاء مطلقا. وفي التركية چزمِة بجيم تركية: حذاء طويل الساق. (صفصا٨٤، وطوبيا٢٠). كان من لباس الضباط الترك ولباس الخيالّة. وجمعته اليمنية على جِزَم وجَزَمات. (شوكت ٧٦. وانظرها في: ١٠٢، ١٠١، ٩٦، ٩٥، ٩٣، ودوزي ٢/١٠٤، ١١٥، وإيمان السعيد ١٢٩).

(١) محمد بن أحمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها ٢/٥٢٦.

جَزوه : إناء صغير ذو مقبض وفم مفتوح لايغلق، يغلى فيه البن و نحوه (صفصا ٦٧).

جُمرُك وجَمارك : أول الأصوات جيم سواء نُطق فصيحا أو ساميا. والجمارك: ضريبة مالية تُدفع عن البضائع الداخلة إلى البلد أو الخارجة منها، واسم المصلحة التي تتولى ذلك. أما الجمرك فهو المبنى الذي تتم فيه إجراءات الجمركة. والفعل جَمَرك يجمرك فهو مجمِرك والبضاعة مجمركة. في التركية لا وجود لجمارك، بل يوجد جمرك من الايطالية كمرِكيو (السعيد٧٠) ونقل عن الجبرتي ٤/١٦٧ : ديوان المكس الذي يعبرون عنه بالجمرك.١هـ. وجاءت بكافين (كمرك)، ونقل عن الجبرتي ٤/٣١٧: ناظرا على ديوان الكمرك ببولاق (السعيد١٨١) والكلمة كمرك في التركية والفارسية معًا (طوبيا٦٤). قد كتبت في التركية العثمانية كمرك بكافين وفي الترجمة العربية بدأها بجيم جمرك (!) وفي التركية المعاصرة بجيمين ساميين g-mr-g [(١)]، وفي (صديق١٨ودوزى٩/١٤٠) بكافين.

حَولي : منشفة من وبر القطن أو الصوف ونحوهما، لتجفيف الجسم بعد الاغتسال. وهي في التركية هّڤلوهڤولو (لاحظ أن ڤ هي الواو في التركية): فوطة يد أو حّمام، من هَڤ: الوبر (صفصا١٦٩). وقد غلبت المنشفة على الحولي في اليمنية المعاصرة.

(١) سهيل صابان: مصادر تاريخ الجزيرة العربية في تركيا، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية ٢٠٠٢، ص١٥٠، ٧٣، ٧٢، ٧١، ٧٠.



خازوق : عمود حديدي يدق في الأرض ضمن أساس المبنى ويقال: أدى له خازوق؛ بمعنى خدعه وأضر به إضرارًا بليغا. أما في التركية فمن (قازيق) أي الوتر وعمود مدبب كانوا يُجلسون عليه من يُحكم عليه بالإعدام ليموت موتا بطيئا أليما بنزف الدم. جمعه خوازيق، واستعملت في المعمار. وخوزق فعل مشتق من (خازوق)، وهو بمعنى حيلة ومقلب أيضا وقازِقجى: محتال مخادع (السعيد٨١، صفصا٢٣٤وفي تيمور ٣/٢١٥-٢١٦ استعمال الاسم وما اشتق منه عن ابن إياس الحنفي وابن طولون والجبرتي)

خانه : القسم الذي توضع فيه أمتعة الركاب داخل السيارة، وواحد الأدراج في دولاب أو مكتب. أما في التركية فلاحقه صرفية بالاسم بمعنى مكان، فيكون (كتب خانه) بمعنى مكان الكتب = مكتبة، شفاخانه= مكان الشفا=مستشفى. فاليمنية اقترضت اللاحقة المكانية وجعلتها اسمًا بهذه الدلالة الضيقة.

خرَسانة : خليط من السمنت والحصى والرمل يعجن ويستخدم في البناء. ويبدو أنه مقترض منذ خمسين سنة تقريبا بالواسطة المصرية.وفي التركية خُرَسان وهُرَسان: الطين المصنوع من دقيق الخزف والكلس نسبة لخراسان (صفصا١٧٧)، فالذي اختلف بعض المكونات في هذا الخليط.

دانَة : قذيفة المدفع، وجمعها دانات. وهي في التركية بدلاً من خُمبُرة من مطلع القرن العشرين (شوكت١٠٦).

دَرَبُكَّه ودَرَبَجِه: طبلة صغيرة مفتوحة المؤخر، للنقر وضبط الإيقـاع. في التركيةِ دَربُكا (صفصا٩٠) "وقدّم دوزى٤/٣١٤ تفصيلات دقيقـة أخذها عن إدوارد لين، الذي أفاض في وصف هـذا الطبـل (...) أفضل أنواعها يصنع من الخشب ، والعادي يصنع مـن الخـزف، والقسم العريض منها مشدود بجلد رنّـان، والقسـم الآخـر منـها مفتوح" (إيمان السعيد٢٣٠).

دِشَيكات: مما انقرض أو يكـاد ، ويعـنى بـه بعـض المسـنين: الفـراش الوثير، وفي التركية دوشك: فراش (طوبيا٢٩ومتولي٨٣).

واستعمله علي بن محمد المتوكل حاكم المخـا أيـام إمـارة علـي الوزير على لواء تعز، أنشأ قصيدة على لسـان قـط أزعـج الأمـير بموائه، فأمر بنفيه إلى المخا، فالتقى هناك بالحاكم الـذي يعـيش حياة بؤس، فقال يذكر حالة النعيم التي كان يتمرغ فيها بتعز:

وكنـت قـاطن في أعـزّ الـبلاد	في سـفح دار النصـر قاعـد
لا أدعـس الاّ مفرشـة أو بجـاد	وفي دشـيكات القعايـد[1]

وينقل (رجب١٨١ عن تـونجي٣٨٣) والمعجـم الفارسـي الكـبير لابراهيم الدسوقي شتا ١/١٢٥٦ دوشَـك فارسـي تركـى: معنـاه بساط، لحاف، حشية. دخل العربية في العهد العثماني، لا يـزال دارجا على الألسنة في شمال سورية، يطلقون على الطرّاحـة، أو الفراش.

(١) انظر: اسماعيل بن علي الأكوع: الأمثال اليمانية، بيروت. مؤسسة الرسالة، صنعاء: مكتبة الجيل الجديد١٩٨٤ ص٧٠٣.



دُغري: مباشرة، وفلان دُغري: مستقيم صادق لايعرف الخداع، وامشِ دُغري: مستقيمًا. وفي التركية بالمعنى نفسه (صفصا١٠٨و٥٧٠، ويرى تيمور ٢٦٨/٣ أن تركيتها طغري).

دَمغة: طابع ورقي له ثمن، يوضع على أوراق المعاملات مع دوائر الحكومية، يكاد ينقرض بعد أن أُلغيت أنواع كثيرة منه. وهو "في التركية تمغا وطامغة. دخلت الصيغة الأولى في الفارسية: آلة كالخاتم من حديد أو برونز أو خشب تطبع في رءوس المحررات الرسمية، وتطبع محماة على أرجل الخيل ونحوها. وعربت بالطاء. وفي صبح الأعشى٢٥١/٧: وتطمغ بالذهب بطمغات عليها ألقاب سلطاننا (...) ولا يطمغ على الطرة البيضاء. وفي ٩١/٤ بالدال يصف سيوفا مزركشة وعليها دمغات باسم الملوك والخلفاء السابقين.١هـ (السعيد١٠٧). ولا يختلف كلام (تيمور ٢٨٧/٣) عنه كثيرًا، وزاد "ورق مدموغ وورق دمغة (...) داغ ودمغة من لغة الجغتاي في الدرر المنتخبات المنشورة ص١٧٤ دمغا وعربيتها سِمة ... أهـ" (راجع طوبيا٢٨، وصفصا٨٩).

دولاب: وجمعه دواليب: خزانة حفظ الملابس أو الاوراق ونحوها.في العثمانية طولاب وفي التركية الحديثة دولاب (بباء مهموسة) (متولي٢٩، وصفصا١٠٩).

دُوَيدار: الخادم يسعى خارج المنزل لقضاء حاجات مخدومه، وتكاد الكلمة تنقرض ودلالة اللفظة انحطت عندما اقترضتها اليمنية بعد أن كانت سامية من قبل. ولها أشكال صوتية متعددة: دوادار، داوتدار، دويتدار، دوالدار. مركبّة كلها من العربية (دواة)

واللاحقة الفارسية (دار) بمعنى القيّم والصاحب: صاحب الدواة: وهي وظيفة أنشأها السلاجقة كما في (النجوم الزاهرة٧/ ١٨٥). وكانت الدواة عندهم من علامات الوزارة (السعيد١٠٩)، ثم مضى يذكر تطور هذه الوظيفة و اختصاصات صاحبها أو أصحابها حتى أيام محمد علي باشا، حين حل لفظ دويتدار divittar محل دوادار (السعيد١١٠-١١٢). ويبدو أن اللفظ اليمني من هذه الأخيرة بغض النظر عن المعنى. وللدويدار بمعنى الخادم حضور في شعر القرن ١٢هـ (انظر خفنجى١٤٥).

ديكدان : مكواة حديدية للثياب، يوضع الجمر في باطنها. وهي في الفارسية بمعنى: منصب النار، موقد النار للطبخ (تونجى٢٣١).

راحة حلقوم : نوع من الحلوى قطعه صغيرة في حجم أصغر من الأصبع، تصنع من الدقيق المسوّى في الزيت والمشبّع بماء معطر. وربما اختصروها إلى حلقوم. وهي في التركية لُكوم بالمعنى نفسه (صفصا٢٨٩، ٤٠٤)، وهو المَلبَن في مصر (تيمور٥/ ٣٨٨).

رَشَدَه : وصفة الدواء يكتبها الطبيب، وهي في التركية عن الايطالية: رَشَتي (صفصا٤٠٦).

زَلَط : النقود مطلقا في اليمنية. ويقال مُزَلّطِ لكثير المال، والفعل زَلّط يزلّط. أما في التركية العثمانية فهي زَلاطة وزلوطة: عملة فضية سُكّت على نمط العملة البولونية التي تحمل هذا الاسم. وكانت الزلاطة تساوى في تركيا ثلاثين بارة، وفي مصر٢٧بارة في سنة ١٧٢٢ ثم أربعين في عام ١٧٦٩ (السعيد١٢٢-١٢٤). وانظر:



(تيمور٤/٤١)، وكلامًا فيه تصحيف عنها في: الأب أنستاس الكرملي: النقود العربية والإسلامية. و(علم النميات، ص١٩٥، ١٩٢، ١٩١، وتعليق ليعقوب سركيس، ص٢٣٦).

زَمبريق: ترس الساعة الخارجي الذي يشدّ بأصبعين ليجعل تروسها الداخلية مشدودة فتظل الساعة بعقاربها تعمل إلى أن ترتخي في اجل محدد. وربما كان تعريبا لزنبورك الفارسية (تونجى٣٥٧) بمعنى زنبرك الساعة. وكان أصل الزنبورك نوعا من السهام الضخمة في سمك الإبهام وطول ذراع وله أربعة أوجه وطرفه من الحديد، وله ريش، ولابد أن يُشَدّ بقوة إلى أقصى حدّ، يليه الانطلاق بمرونة (دوزى ٥/٨٨).

ويلاحظ هنا كيف أخضعت اليمنية اللفظ فجعلته على مثال عربي عجيب. وفي (تيمور ٤/٤١): أن اللفظ في النوادر السلطانية لابن شداد، وفي الكامل لابن الاثير، وفي الروضتين لأبي شامة، وفي (الفيح القسي) للعماد الأصفهاني: زنبورك وجمعه زنبوركات.

زِنزانة: حجرة ضيقة في السجن، واشتقوا منها، فقالوا: زَنزَنَه يُزَنزِنُه زنزنة فهو مزنزَن، وجمعوها على زنزانات وزنازن وزنازين، وهي في الفارسية، ففيها زِندان: سجن، وزِنداني: سجين، وزندانبان: سجّان (تونجي٣٥٨). انتقلت إلى التركية، ثم إلى المصرية، فاليمنية بالصيغة المستعملة الآن: زنزانة. والكلمة موجودة في كتابات القرن الثاني عشر. ومن ذلك: "أمر الوزير إلى تفكجي باشي أن يأخذه للقلعة ويحبسه في الزندان" (صديق٥٦، وانظر: ٥٧، ٥٩).

سَركي : دفتر تسليم الرسائل في مصالح الحكومة وتسلمها. في التركية سركي :خطاب معمم (صفصا٤٤٨).

سِقالَة : ما يربطه البناءون من الأخشاب والحبال ليصلوا به إلى الأماكن المرتفعة. وهي في التركية من أصل إيطالي (طوبيا٣٦، فير٤١٤). دخلت في صيغة أسكلة "وتطلق على رصيف الميناء البحرى وعلى الألواح الخشبية التى تثبت أفقيا على المباني ليقف عليها البناءون. وجاء في (النجوم الزاهرة ٨/٥١): كان علم الدين سنجر يستعمل في بناء البيمارستان المنصوري بين القصرين الصناع والفعول بالبندق (هكذا) حتى لايفوته من هم بعيد عنه في أعلى سقالة كان ..." (السعيد١٣٠-١٣١).

وجاءت في شعر الخفنجي (٢٧٩) يحاكي بسخرية لامية ابن الوردي: "اعتزل ذكر الأغاني والغزل"، يتخيل حبيبة متضخمة في أجزاء جسمها:

من أراد ان يجتنى ورد الخدود   ويصل عند الفراسك والقُبَل

فيركّب له سقالة في الهوا   (كلُّ من دبّ على الدرب وصل)

سَلَخانة : مكان ذبح الماشية. وهو مقترض حديثا بالواسطة المصرية ويرادفه مسلخ وهو في التركية بنفس اللفظ (صفصا٤٢٣).

سُنكي : الخنجر المركّب في رأس البندقية وجمع على سناكي. في التركية سونكى، بالكاف وبالجيم السامية بالمعنى نفسه، وبمعنى: حربة وسِنان ونَصل الرمح (صفصا٦٤٦، طوبيا٣٨).



سواري : بفتح السين وكسرها، عسكري من الفرسان، وكان يجمع على سوارية. وقد انقرض الاسم و المسمى من الجيش اليمني. وكان السَواري في الجيش العثماني: الفرسان (شوكت٦٢، ٧٣)، وأصلها من الفارسية سوار: فارس (تونجى٤٠٥).

شاوِرَمة: عرفت بعض المدن الكبرى هذا الصنف من الطعام، حينما افتتح بعض الشوام مطاعم ومقاصف تقدمه لزبائنها في شطائر ليلًا. وتقع هذه المطاعم بجوار دور السينما. والشّاورمة: لحم ضأن بشحمه منزوع العظام، يشوى على سيخ ويقتطع منه. وهو في التركية: شَورِمَك، وقوزي شَورِمَك (صفصا٢٧٥)، وفي (تيمور ٤/٢٥٤): شَوِرمَة من التركية، ومعناه: المقلّب.

شاوش : بكسر الواو وبضمّها: المنتسب إلى فئة الجيش تقع بين الجندي والضابط، أي ضابط صف بأي رتبة: عريف، رقيب، صول. وقد يجمع على شَوَش. وهذه الكلمة كانت سامية في دلالتها في العثمانية. ود. أحمد السعيد سليمان يحدثنا مطولاً عن الكلمة. فهى في التركية **چاووش**، بجيم وبواو تركية ثم شين نهائية. وهي مشتقة من المقطع التركي (تشاو) الذي يدل على معنى النداء والصياح والصوت والصيت. وقد وردت في اللغة التركية الأويغورية **چابيش**، وفي لغة الأتراك التوكيو **چوپي شه**، وأدرجها محمود الكشغري في معجمه (ديوان لغات الترك) و**الچاويش** في كل هذه اللغات: منصب عسكري وجد في دولة الغزنونيين والقرخانيين والسلاجقة. ودخلت هذه الكلمة في العربية قبل قيام الدولة العثمانية. ففي (الفيح القسي في الفتح القدسي) للعماد

الأصفهاني، ٣٠١: وعسكرنا في أحسن تعبية ولـدعاء القـراع في أوحى تلبية. وقد امتزجت زجرات الجاووش بنعـرات الجيـوش. وأما في الدولة العثمانية فقد كـان لكـل هيئـة كـبيرة جاويشـيتها، فللترسانة جاويشية وللبلدية جاويشية ... الخ. ومضى يعـدد أكـبر هيئـات الجاويشـية ووظائفهـا: جاووشـية الـديوان الهمـايوني، وجاويشية الباب العالي، وجاويشية الجيش الانكشـاري، إضـافة إلى أهونها وهي ألاي جاويش، الذي يحمل الرسائل. وقد ألغيت كلمة الباشجاويش في تركيا سنة ١٢٥٢/١٨٣٦ (السعيد ٥٩-٥٦) وانظر: (تيمور ٤/٢٥٥-٢٥٧).

"بداية اقترضت اليمنية اللفظ عندما كان فيه سمو في الدلالة، فقد جاء عند عيسى بن لطـف الله (ت١٠٤٨هــ): "ودخـل صـحبتهم شاوش يمنع العساكر من دخول البيوت"[(١)]، لكنه لم يشع إلّا بعد انحطاط دلالته في التركية نفسها؛ ذلـك أن رتـب ضـباط الصـف كما يلي:

١- اُمباشي: عريف.

٢- تشاووش: رقيب.

٣- اوتش تشاووش: رقيب أول.

٤- باش تشاووش.

٥- قديملي باش تشاووش (صفصا٦١١).

---

(١) روح الروح فيما جرى بعد المئة التاسعة من الفتن والفتوح ٢/١٩ وانظر الشاويشية في رحلة ابن بطوطة بمعنى المنادين بقيام السلطان ١/٢٧٥ ط مؤسسة الرسالة بيروت.



شِبشِب : وجمعها شَباشِب، نعل بلاستيكية مكشوفة للاستخدام المـنزلي عادة، وإن كانوا يلبسونه خارج المنزل. وترادفه (شَـنبَل) الهنديـة الأكثر شيوعًا، وهو من التركية صـيغة ودلالـة، باسـتثناء البـاءين المهموستين (رجب٢٥٦وصفصا٤٧٧).

شرابات : ما يُلبس من نسيج قطـني أو صـوفي ونحوهمـا لتغطيـة القـدم بأكملها، وقد يقال شراب هـي في التركيـة بجـيم تركيـة چوراب (صفصا٨٥ وانظـر تيمـور٤ /١٨٨) وأصـلها في الفارسـية: كَفَـن الرِجل (رجب ٢٦١).

شُربَة : الشُربة التقليدية طعام من جريش القمح يسخن مع اللبن أو الماء. وقد يضاف إليه قطع من الخضر خصوصًا الدُّبّاء. أما إذا كان غـير ذلك فيوصف، ويقال: شُربة خُضـار. في التركيـة شُـوربا معناهـا المَرَق، ومملح في الفارسية (طوبيا٤٢). ويبدو أنـه - في العربيـة عامّة - مقترض قديما، يذكر (تيمور ٤ /٢٥٣): أن شوربا موجودة في حكاية ابي القاسم البغدادي (القرن الرابع) وعند ابن نباتة وعند ابن فضل الله العمري.

شَرشَف : ثوب أسود تلبسه المرأة عند الخروج من المنزل، يتكـون مـن قطعتين سفلية وعلوية. والعلوية فيها غطاء من طبقات ثلاث متتالية لتغطية الوجه، يقال لها (خُنَّة). وردت في التركية العثمانيـة بعـدة صيغ چارشَف چارشاف، جارشب، بمعنى مِرط وملحفة للمرأة، ومُلاءة للفراش (صفصا٦٤، وطوبيـا٧٦). وفي التركيـة الحديثـة تشارشف (متولي٢٧).

وإذا كان أصل الكلمة التركية من الفارسية (ستر الليل)؛ فليس في اللّغتين اشتقاق منه، أما اليمنية فاشتقت منه تتشرشف شرشفة، وهي متشرشِفة ومُشَرشَفة، وجمعت الشرشف على شراشف.

وورد في شعر العامية، ومنه قصيدة علي جحاف "الغريم المشرشَف"[1]، وفيها:

أديب الخزانة ظَهَر له غريم   مثقف مشرشف مجاب الطلب

وفي قصيدة أخرى:

غصن اهيف / في مشيته يتعطف

يتلطف / لكل عاشق مرهف

يبدي الكف / وحين يزيح الشرشف

عن متحف / فيه الأزاهير ألوان[2]

ولمحمد بن قاسم المتوكل يشتاق إلى الريف، ويصف نساءه:

تستقبل الضيف بالوجه الجلي

لابه شراشف ولاهم يحزنون

من حين حلّيت صنعا العاصمة

وأصبحت محسوب من أهل الرُقي

٤٨٧- انظرها في ديوانه كاذى شباط، صص١١٥-١٢٠,

٤٨٨-نفسه ص١٢٢.



ماعـد رأيـت غـير شراشـف قاتمـــة

سُـقي علــى عهـدي الماضــي سقـــي

شَنطه: جمعها شِنَط وشِناط وشِنِيط وشَنَطات، في اليمنية محفظـة النقـود والحقيبة مطلقا من أي مادة كانت وبأي حجم ولأي غرض. وهي في التركية چانطَه بجيم تركية. (طوبيا٤٢ وتيمور ٤/٢٤٥).

شُواله وشِواله: كيس مصنوع من خيوط الجوت أو القِنَّب. وقد يصنع من النايلون القـوي، يرادفـه جونِيَـه، توضـع فيـه الحبـوب والسـكر والدقيق والأسمدة، يسع نحو ٤٠كلغم، وهناك مايسع المئة. أمـا إذا صارت الشوالة في وزن عشـرة فاسمهـا (قُطَمـة). واللفـظ في التركية والفارسية جوال وجفال (صفصا٨٦)، ولعل (جوالق) عند علمـاء المعـرب تصـحيف أصـل هـذا اللفـظ. (طـوبي٤٢ وتيمور٤/٢٥٩). ويجمع على شوايل وشوالات.

شيز: قياس مابين السبابة والإبهام.[عبدالرحيم٣٤] "فارسية اشيزه عملـة كانت تستعمل للقياس الطولي الدقيق"

صاج: لوح حديدي يختبز بـه، وهـو كـذلك في التركيـة: صـاج وسـاج (طوبيا٤٣)، وتونجي٣٦٦).وتيمور٤/٢٧٨ينقل أن له وجـوداً في كشف الأسرارفي القرن السادس.

صاغ سليم: سليم تماما، صحيح، معافي. وهـو في التركيـة صاغ/سـاغ (صفصا٤١٨ومتولي٥٥).

صايَة : جبة من جوخ يلبسها – عادة – القضاة فوق الثوب، ذات كمين واسعين، مشقوقة المقدّم تربط بأزرار مقصَّبة. جمعها صايات.

"في التركية صايا وصاية من المصدر صايمق بمعنى أن يَعُدّ، ثم أطلقت على الموظفين المكلفين بتحصيل رسوم الأغنام، لأنهم يعدّون رءوس كل قطيع. وقد كان لهؤلاء الموظفين زي خاص من الجوخ الخشن، ثم عرف هذا الزى عن طريق المجاز باسم وظيفة لابسة، وربما لبسه من لا يشتغلون بتحصيل رسوم الأغنام، ونقل شاهدًا من الجبرتي٢/١٢٣ (السعيد١٤٠).

وجاءت في (خفنجي٢٩٧) ضمن مجموعة من سبع قطع من الملابس:

القُبع والشاش فوقه يلتقى والكوفية تستبق هي والفتيل

للصاية البيت في وصله وَطَر وللاِزار الخماسي والسدار

صَلصَة : عصير الطماطم المنزوع بذوره وقشرته. ويبدو أنه مقترض حديثا. أما اللفظ فقديم. جاء عند ابن أبي أصيبعة. ان الملك الكامل الأيوبي طلب من الطبيب أن "يركب له صلصا يأكل به اليخني في الأسفار، فركب له من المقدونس والريحان وقلوب الاترج الغضة" ويرى (ف. عبد الرحيم ص١٢٣): بأن أصلها salsa بمعنى الأكل المحفوظ بالملح ... ومن اللاتينية نفسها جاءت الصلصة في العربية الحديثة لعصير الطماطم المحفوظة، من التركية، وهذه اخذتها من الإيطالية.



ونقول إن كانت لاتينية فهي قديمة تصل إلى القرن السادس الهجري لكنها دخلت الكردية حينها ثم العربية، بمعنى تركيب طبخة مملحة معينة. وتخصصت الآن بعصير الطماطم. والله اعلم. العجيب انها في التركية الحديثة متغيرة صوتيا (سَلتشا) (صفصا٤٢٢).

طابور: الصف من الناس يقف بعضهم وراء بعض، ثم وسّعوه ليشمل المركبات. كما قالوا طابور الصباح لتجمع الجنود او الطلاب صباحا، لسماع التعليمات واداء بعض التمارين الرياضية، وقالوا: طابور زيادة للعقاب يحل بالجندي، فيلزمه أن يجري أويزحف أو يمشى قدرا معلوما من المسافة.

وجمعه طوابير، واشتقوا منه طوبَر يطوبر فهو مطوبِر والمصدر طوبرة. وفي التركية: صف وفوج وكتيبة (طوبيا٤٥). واصل الكلمة في التركية القديمة طابقور:

١- عدد من العربات تقف في شكل مربع وتربط بعضها ببعض بالسلاسل فتكون كالقلعة.

٢- والطابور الصف من الناس يقف بعضهم وراء بعض.

٣- وحدة عسكرية من المشاة مكونة من أربعة بلوكات.

وهي ربع ألاي ويرأسها بكباشي (السعيد١٤٣). ونقل عن (الجبرتى ٢/٨٤): وساروا مشاةً، فصادفوا طابوراً، فضربوا عليهم بالبنادق، فانهزموا ... أهـ

قلت: يبدو أن المعنى (٣) كان الأشيع في كتابات المؤرخين. فمن ذلك: "ومشى العسكر ٣ طوابير، والمدفع قدّامه، لقوا طابور خيل منفذ من رءوس الجبال، مقداره ألف وخمسمية خيّال" (صديق ٤٣، ٦٠).

طاقَم وطقم : في التركية طاقِم أو طاقيم، من المصدر طاقمَق بمعنى أن يعلق، وتطلق في التركية على مجموعة الآلات أو الأدوات المتعلق بعضها ببعض، وتستعمل معًا بترتيب خاص، ولا تصلح إلا متكاملة. يقول الترك: چاي طاقيمي: أى طاقم الشاي، وآت طاقيمي، أي: طقم الحصان. وتطلق أيضا على مجموعة الأشخاص الذين يؤدون عملا واحدًا. ويرى دوزي انها اليونانية تاغما عربت بمعانيها بصيغة طقم. ووردت في المعجم الوسيط بسكون القاف. وكانت عند الجبرتي داقم (السعيد٩٤ وانظر (تيمور٤/٢٤٩)

المهم أنها في اليمنية بالمعنى نفسه، وتجمعه طقوم وأطقم وطقومات. ويصفون من يحرص على التناسق في ملابسه بأنواعها بأنه (مطِقّم). ويطلقون على مجموعة الأسنان الصناعية: طقم أسنان.

طاوَه : لوح حديد مدوّر أو مستطيل توقد تحته النار ويقلى عليه أو يخبز. تركية معناها: مقلى (طوبيا٤٥). ومن العجيب أن الوعاء المدور الذي له ساق وجلاّس. سواء كان من حديد أو نحاس، وتقدم عليه كؤوس القهوة اسمه: طاوة !



طباشير : أصابع من الجص أو الجير ملونة وغير ملونة، يكتب بها أو يرسم، والمفرد طبشور وطبشورة. وهو لفظ تركي: تباشير، مرادفه الجص أو الجير (تيمور٢/٢٨٦ عن الدرر المنتخبات ١٠٥وطوبيا٤٦).

طُبشِيَة : المدفعية، والمنتمي الى هذا السلاح طُبشي. وقد كاد ينقرض، إذ طغى المدفعية عليه. وهي تركية منسوبة، من طوب – بباء مهموسة – المدفع ثم چي: لاحقة النسبة. ولما كانت اليمنية لا تعرف هذا الصوت المركب اكتفت بنقل الشين من جزءيه.

كان سلاح المدفعية في الجيش العثماني: طو بچي لير، وعربات المدفعية: طوب آرابه جيلري (شوكت ٤٣ وانظر عراقي ١٠٤، ٥٣، ٢٦، ٢٥ مثلا وطوبيا ٤٧ والسعيد ١٤٣-١٤٤). ويذكر تيمور ٤/٢٢٠ أن طوبجى لم تستعمل في مصر الا بعد دخول العثمانيين.

جاءت الكلمتان العربية والمقترضة عند المؤرخين اليمنيين ومن ذلك " ثم رموا بمدفع آخر صغير فافتض وهلك به طبشية، فجرّوا المدفع الكبير فوجّهه الطبشى"[1].

طُز : في الغالب تستعمل مع ادوات المعاني مصاحبة للظروف، بمعنى: لا أبالي ولا أهتم مطلقا، فيقال: طز فيك ... الخ. ويراها (متولي٤٠) من طوز العثمانية، بمعنى: ملح، وفي التركية الحديثة: توز. ويحكى حكاية مطولة مغزاها السخرية. ولست أراها إلاّ من توز، بمعنى/ غبار أيضا (متولي٩١).

(١) درر نحور العين، صص٤٥٨-٤٥٩

عُرضي : من الكلام النادر كان يطلق على المعسكر. وهي تركية أردو بمعنى الجيش، وأشار إلى (الجبرتي ٣١٨، ٣٠، ٢١، ١٣٣، السعيد١٥٠). وانظر: (صفصا ٣٦٠): اوردو: جيش، أوردي قي: نادي الضباط. اوردوكاه: معسكر، تركي فارسي.

ولما كانت هذه الواو النهائية ليست كواو المد العربية، بل في نطقها شبه من ياء المد ايضا، جعلتها اليمنية ياءً.

فِرِتكة : دبوس ذو شعبتين ٨ هكذا يمسك به الشعر، وهو في التركية من الايطالية (تيمور ٣٦/٥ وصفصا ١٣٧) وهي عند (طوبيا٥٠) شوكة الطعام ! وتجمع على فراتك.

فُستان : من ملابس المرأة للمناسبات السعيدة والافراح، ثوب كثير الطّيات. وهو "في التركية فِستان بكسر الفاء. قال سامي بك (وهو أرناؤطي الأصل من فراشر): إنها من اللغة الأرناؤطية. وتطلق عند الأرناؤط على جلباب (مكلّف) كثير الطيات. وقال (دوزى ٤٣/٨): إنها تركية، ورسمها بالطاء والتاء وذكر المعنيين السابقين. وتعرف الملحفة في لاتينية العصور الوسطى بكلمة فستانِلا. جمعها (الجبرتي ١٧٠/٣) على فستانات: لما حضر الفرنَسيس إلى مصر، ومع البعض منهم نساؤهم كانوا يمشون في الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه، ولابسات الفستانات والمناديل الحريرية الملونة" (السعيد ١٦٠. وانظر: رجب ٣٥٧-٣٥٨).

وقبل ذلك ذكر ابن بطوطة في رحلاته أن القاضي كان يلبس الفستان



فَشَق : عبوة رصاص السلاح، يجعلها بعضهم جمعا ويرادفه معابر، ويفردها بعضهم فيجعلها (فَشَقَة) ويرادفها مَعبَر. وقد كاد اللفظ يندرس. وهو في التركية فِشَق وفِشَك بالمعنى نفسه (صفصا ١٣٧ وطوبيا. ودوزي٨/٧٦)، مفرد ليس بمجموع.

قالش : في بعض اللهجات بمعنى متزيّن، باد في مظهر جديد، والفعل تقلّش والمصدر تقلاّش. ولانجد في المعاجم العربية في مادتي (ق ل ش) و (ك ل ش) مايشير إلى ذلك ونحوه. وهو التركية gelish بمعنى صورة، وطراز. و(قَلِشمه) تطور، تقدم، ارتقاء، و(قَلِشمِك) التطور (صفصا١٤٦). فالارتقاء من جهة المظهر الشخصي أن يبدو المرء في مظهر جديد. وقد جاء في أشعار القرنين ١٢و١٣هـ (خفنجي١٦٠، ٢٨ وقارة ١٣١، ١١٨) وفيهما: قلش ويقلش وقالش.

وفي المنسوب ليحيى عمر[(١)]:

يحيى عمر قال صدفت البارحة رعبوب
جازع طريقه على ذا الغنج والأسلوب
ولابس الجوخ من فوق البدن مصبوب
فقلتُ له: يا كحيل الطرف ما هذا؟
الدلدلة والحلا يا زين تتقلش

٤٩٠ -شل العجب شل الدان، ديوان يحيى عمر اليافعي ودراسة عن حياته وأشعاره، لعلي صالح الخُلاقي، جامعة عدن ٢٠٠٦ ص١٩٦.

بالطيب والمسك من ذا العطـر تترشـرش

قامش : السوط. وهو في التركية قَمشِه (شوكت ١٢٦ ، ٩٨و صفصا٢١٦ وتيمور ٥/١٦٤-١٦٥).

قاوَق : وجمعه قواويق: قلنسوة للرأس من قماش صلب، غيرذات وبر ، اسطوانية الشكل شبه القِدر، يلف في أسفلها قطعة شـاش، ومـن القاوَق والشاش تكون العمامة اليمنية التقليديـة. وهـو في اللسـان التركي **قاووق وقاڤوق وقاڤوك** - بفاء مجهورة - (تيمور ٥/١٨٣مع إحـالات كـثيرة إلى الجـبرتي)، ودوزي ٨/١٦٠). وأصـلها في التركية والفارسية بمعنى المجوّف الفارغ، وقافوقلي = معمّـم، و (قاو) و (قوف) في التركية بمعنى أجوف. كان الترك يغطون بهـذه القلنسوة رءوسهم قبل قبولهم الطربوش غطاءً للرأس. وكان لكـل طائفة من رجـال الدولـة طـراز خـاص مـن القواويـق، فقواويـق للوزراء وأخرى لمشايخ الإسلام. يقول الشيخ السـقاف في مقامـة أوردهـا (الجـبرتي ١/٣٣١): "ثم أخـذت الإبريـق، وملـت عـن الطريق. واستكت، واغتسلت. وتوضأت، واكتحلت. وتنحنحت، وسعلت، وخرجت. ثم ملتُ إلى الصندوق، وألقيـت القـاووق". والقاووقجيّةَ صناع القواويق، وكانوا علـى وشـك الانقـراض في القاهرة في أواخر القرن الثامن عشـر، وحـل محلـهم الطرابيشـية (السعيد١٦٣)، وللقاوق حضور في الشـعر الحمـيني (قـا١١٦، ٧٢).

قايش : سير من جلد يسنّ به الحلاّق موساه، وحزام جلدي أو قطني يشد به الجندي وسطه، له إبزيم حديدي أو نحاسي. أصلها في التركية



قَيش بمعنى: جلد، حزام، سير. وكذلك في الفارسية [عن المعجم الفارسي الكبير لإبراهيم شتا٢/٢١٢٧] (رجب٣٧٢، تيمور ٥/٩١ وصفصا٢٣٢).

قَرَوانة : وعاء الطعام الكبير يأكل منه مجموعة من الجنود. من التركية (تيمور٥/١٢٠ وصفصا ٢٢٣). وفي التركية الحديثة كَرَڤانه. وزعم (متولي٣٠) انها من الايطالية كروڤانا.

قرش : عملة نقدية، لم تعد موجودة، من التركية عن الألمانية كروشِن. فتوهموها جمعا لصيغتها وابتكروا القرش للمفرد (انظر دوزي ٨/٢٢٤). والاب أنستاس، ص١٩٧. وصارت مرادفة للريال أحيانا وللنقود مطلقا.

قَزلَة وقزل : الاختلاط غير الحلال بالفتيات، والجمع بين الجنسين على ريبة. وهذا الدلالة معروفة في صنعاء وماحولها حتى ذمار بمسافة مئة كيل جنوبًا. واشتقوا منها بالفعل قَزَل يقزل. وأصلها في التركية من (قيز): فتاة، بنت بكر، أنثى (صفصا٢٤٨) و تجمع على قيزلر وقيزلار (=بنات). (السعيد١٦٨). وقد أخذت اليمنية من الاسم المجموع المصدر والفعل، وحذفت الفتحة طويلة وقصيرة. وحولت الدلالة إلى اللعب غير البرئ مع البنات وتجاوزته إلى الشاذ. وهذه الدلالة موجودة في شعر القرن الثاني عشر، ومنه:

	عندي في شروط الجمال	أشيا ما حواها بَشَر	
	فيمن مِن جميع العيال	يصلح للقَزَل والسمر	

(خف٢٥)

وفي مناظرة بين بغيّ وشاذّ كان ينقصها أن تتم في برنامج "الاتجاه المعاكس" في قناة الجزيرة، تقول البغي:

أنا الذي في قزلتي رفاعة   أجي بفتّالة معي تجابر

أما أنت تقزل ذا الزمان بكيلين   تجترّ للعاشق بغمزة العين

(خف١٨٨، وانظر: ٤، ١٠٠)، فتّالة: قوّادة، تجابر: تؤانس بالحديث.

قَشلة : المعسكر، وهو من الكلام الذي يكاد ينقرض. وفي التركية العثمانية بمعنى المشتى ومشتى الجنود، والمعسكر. وجاءت في عدة صور: قِشلاق وقِشله وقَشله و قشلا (طوبيا٥٦، دوزي ٢٨١/٨) وعند (السعيد ١٦٩) أنها مشتقة من كلمة (قيش) بمعنى الشتاء، والقِشلة هي المعسكر الشتوي. ونقل عن الجبرتي ٢٥٢/٢: وعملوا لها بابا آخر قبالة باب القشلة وفي ٢٧١/٤: شرع الباشا في بناء قشلات للعسكر في الاقاليم.١.هـ. وفي (تيمور١٣٠/٥) عن خلاصة الأثر ٢٦٣/١ شعر فيه القشلق. والمراد به طائفة من الجند مخصوصة، وبعده قصيدة فيهم الى ٢٦٦، وفي (الإعلام) لقطب الدين: قشلاقهم. ومراده: المحل الشتوي للمجاهدين ... الخ.

وفي التركية الحديثة: قِشلة وقِشلاق: مأوى للجنود، مشتى. وقِشلِمِك: التشتّي، دخول الشتاء (صفصا٢٤٦) وفي (سالنامة



الحجاز عام ١٣٠١هـ): "ويوجد بالقرب من قشلة الجيش الهمايوني في الجهة الشمالية من المدينة قبر والدتنا حوّاء"[١].

قلت: لم يعد في اليمنية الآن ما يسمى قَشلة (بفتح القاف) إلّا ما كان بناؤه قديما، وكان يسمى كذلك. ومجازا استعملت للعدد الكثير من الأولاد في أسرة واحدة. ففي جبلة يقال: فلان معه (كِشلة).

قَلبقَ/قلبك : غطاء للرأس ذو وبر، مدور، مستدق الرأس. وفي التركية كذلك: قَلپاق وقلپق وكلپك - بباء مهموسة - (دوزي٨/٣٥٦) (وأخذ يذكر أنواعها). كان يلبسها أمراء الجيش العثماني وضباطه، كلبكجي: صانعه وبائعه (صفصا١٥). وكان القلبق غطاء رأس للجركس وللتتر بخاصة، وكذلك لبسه الأرمن والإغريق. وتطلق كلمة (قَرَقلبق)، أي: أصحاب القلانس السود على عشيرة من عشائر تركمان خوارزم (السعيد ١٧٩. وانظر: رجب ٤٠٠-٤٠١).

قَلَويز : حلزوني ولكنه حلزوني خاَص بأنابيب الماء والمجارى ونحوها، تُقَلَوز، أي يبرى طرفها بآلة خاصة فتصير حلزونية لتركب فيها انبوبة أخرى. وتوصف بأنها مقلوَزَة، والفعل يقلوز والمصدر قلوزة.

الكلمة في العثمانية قلاوز، قولاغوز وفي التركية الحديثة كِلاڤوز بمعان متعددة منها المسمار الحلزوني (متولي٨٠ وصفصا٢٤١).

(١) عن سهيل صابان: مصادر تاريخ الجزيرة العربية في تركيا، ١٠٥.

قَمَبر : في لهجات صنعاء وعمران وحجة فعل ماض معناه: جَلَسَ، مكث، ظلَّ. ولا أثر لهذه الدلالة في المعجم العربي القديم. وهي من بقايا التركية العثمانية. وأقرب الألفاظ إليها. قمبور (كمبور: منحنٍ. (صفصا٢١٦) فربما سمعها الصنعاني القديم في موقف ظنه جلوسًا فصارت فعل أمر: قَمبر، ومنه اشتق اسم الفاعل: مِقَمبر. ويقوي هذا الظن أن في محكية القاهرة (مِأنبر) منحن[١]. وهو قعود خاص لقضاء الحاجة، كما نقل (تيمور٢/٧٤): راح أنبوري: ذهب للتغوط والتبول. ولعله من "قنبر" من قولهم: قاعد مقنبر . أهـ.

وقد وردت بدلالة الجلوس في شعر القرن الثاني عشر. فالخفنجي (ص٩١) يصف حفلة نسائية انتهت بعراك:

	فسنبت شلت حجر	البنت في لمح البصر	
	ودقّت الدف افتطر	فقنبرين الراقصات	

(وانظر خف٧وقا٩٣).

ومن القرن نفسه[٢]:

وقنبرت في المنظر محسكم على إخوتك

وإن أحّد ضُحُك فلحست فمّك ونخرتك

(١) رمضان عبدالتواب: دراسات وتعليقات، ص١١٠

(٢) مجموع بلدان اليمن وقبائلها ٢/٥٢٨.



وأخرجت سبلة عمتك فوق عبيتك

وقلت له: اسكت أنت يعني كريه بليد

قُنبُلَة: القذيفة المتفجرة المعروفة وجمعها قنابل. وفي المعجم الوسيط: جسم معدني أجوف يحشى بالمواد المتفجرة ويقذف به العدو باليد أو المدفع، جمع قنابل.١هـ. ويفرق بينها بالوصف فيقال: قنبلة يدوية، قنبلة مؤقتة، قنبلة ذريّة... الخ. وقد جاءت في التركية بأشكال: خُمبرة، قُنبُرة في مرحلة لاحقة عند العرب. فأما الأولى فقد ذكر (شوكت٤٣، ٤٦): أن قسم الذخيرة في الجيش العثماني يسمى (خُمبرجي لِر) وسمى عند المصريين في القرنين ١٦، ١٧ (خمبرة جيه) (عراقي٢٦). وأما الثانية فقد استعملها العرب: "ضرب قنبرة على القلعة، فأمر الطوبجي أن يضرب القنابر بالليل" (صديق ٥٣، ٦٠). ونقل (دوزي٣٨٨/٨) عن محيط البستاني أنها: قذيفة مدفع، رمانة، قذيفة يد. وجاء عند (تيمور٢/٢٣٠): أن مؤلف (سلك الدرر ١/٥٥): استعمل القنابر. وفي (الدرر المنتخبات المنثورة ص٣٦٦): قمبرة. فلعلها محرفة: قنبلة. وفي (فن الفروسية) لصالح مجدي: قنابر وقنابل.

قُنطُرَة/كُندُرة: الحذاء. وهي في التركية بالكاف وبالقاف معًا، كندرة وقندرة.فأمّا من قالها بالقاف والطاء فهم ينطق القاف جيما سامية (= كافا مجهورة). وتجمع على قناطر وكنادر. وهي (كندرة) بضمتين: تركية قديمة، اطلقت على الخشبة التى يضع الصقر قدميه عليها. وهي كثيرة في كتب البيزرة (=الصيد). فمن ذلك

ما جاء عند البلدي (المتوفى في القرن السابع): "ثم سخّن له قِدراً ثانية كالأوّلة، وضعها تحت كندرته"[(١)].

ولعل (تيمور٥/٢٥٤-٢٥٥) أجمع من تحدث عنها قال: "الكُندرة هي الجزمة أيضا. ولفظ كندرة للنعل مأخوذ من الأتراك فلعلهم أخذوه من كندرة الطائر؛ لأنه يقف عليها، وإلى الآن يطلقونها عليها عند غواة الحمام، وهي من الفخار. (اليتيمة ٢/٢٥٠) شعر فيه (البزاة على الكنادر). وراجع كتب البيزرة، ومطالع البدور ٢/٢١٥: التي يقف عليها الطائر. (أنس الملا بوحش الفلا ١٢٣): الكندرة للبازي. (صبح الأعشى ٩/٣١): فنصبت بين يديه كندرة. أهـ". وقد جاءت قندرة – بالقاف -، وهي: نعل ذات رأس مدبب يرتديها الجندي العثماني (شوكت٧٦). وفي التركية الحديثة: كندرة: حذاء بلا رباط، نعل بلاستيكي، حذاء خشن الملبس (صفصا٢٧٠)، وللقنطرة حضور في شعر القارة (ص١٣٥).

قوزي : الخروف الصغير جمعه قوازي: تركية: قوزو وقوزي: الخروف مطلقا (تيمور٥/٨٠ وصفصا٢٧٥). وله ذكر في شعر القارة (ص٧٦).

كاكي : نسيج أصفر اللون مرمدّ، كان خاصا بملابس الجيش والشرطة ثم صارت الكلمة تطلق على ملابس هؤلاء وإن كانت بلون أخضر. في التركية: خاكي: رمادي، ترابي من الفارسي (خاك): تراب (صفصا١٦١وتونجى ٢٥٦وتيمور ٣/١٥٤).

(١) البلدي: الكافى في البيزرة، تحقيق احسان عباس وعبدالحفيظ منصور، بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٣صـ,٣١١



كِرباج : سوط وجمعه كرابيج، وكربجه يكربجه كربجة: ضربه به. وكرباج في التركية للسوط والدِرّة. وفي تاريخ الإسحاقي وفي الطراز المذهب قرباج (تيمور ٥/٢٠٥والسعيد ١٧٧-١٧٨وصفصا ٢٤٣وطوبيا٦١).

كُرتَيلة : شريط من القماش على هيئة الزهرة. يربط به شعر الفتاة من مقدمة الرأس.ذكر (تيمور ٥/٢٠٩) أنها كُرديله، وربما كانت من كردون. ويرادفها الشريط.

كَرك : سترة من قماش قوي مبطنة، طويلة الأكمام، تصل إلى حدود الركبة، ذات أزرار من المقدم. تجمع أكراك. هي في التركية كُرك وفي العثمانية كورك (صفصا٢٧٨ودوزي ٩/٦٧ ورجب٤٢١-٤٢٢) وله حضور في شعر القارة (ص١١٦).

كُرَيك : مجرفة ذات طرف معدني قوي كبير كالملعقة المقعرة نوعًا ما. تتصل بها خشبة تنتهي بمقبض لليد، تستخدم لجرف التراب والحصى ولخلط مواد البناء المعجونة بالماء ثم صار ما يشبهه لإدخال الخبز إلى الفرن، وكريك آخر لإخراج الأرغفة ونحوها. وهي في التركية كوريك: مجراف (صفصا٢٧٨وفير٨٤٦: جهد قوي) وفي (تيمور٥/٢١٥) وصف للكريك عند الفرّان، ووقّاد القطار، ورسم لأشكاله المختلفة دون إشارة إلى أصله.

كريولة : ظللت أسمعها حتى الثمانينات، يقصدون بها: السرير الحديدي ذو النوابض، أما إن كان بغير نوابض فهو قَعادة. وفي التركية كريولَه: سرير، تخت حديد (صفصا٢٢٦).

كُشك : دكان صغير منفرد مصنوع من الألمونيوم، عرفناه أول التسعينيات مرادفًا للصندَقَة المصنوعة من الزنك والخشب. وكان يفهم منه: محل بيع الصحف والمجلات وبعض القرطاسية فحسب. أما التي لا تبيع الصحف فظلت: صندقة.

واللفظ في التركية كُشُك (بضمتين)، وقد مرّ بأطوار ودلالات متعددة. (فتيمور ٢٣٥/٥) يذكر أن عربيته الجوسق، ردته العامة إلى أصله، ونقل عن رحلة ابن بطوطة ٢٠٧/١ أن الكشك في القَرم هو البرج الخشب. وعن (أحسن التقاسيم، آخر ص٣٣١): اتخذ على حافتها بيوتا من الألواح بأبواب، يُغتَسل فيها.أهـ. وفي (ابن بطوطة ٥٣٢/٢): كشك لآل القصر الأحمر. وفي التركية الحديثة: قصر، فيلا (صفصا٢٥٦). وفي يمنية القرن١١هـ وَرَدَ كأنه بناء خشبي. جاء في (مذكرات المؤيد): "البرّ الذي أطلعه صالح الدمشقي إلى عند الفقيه جابر الى الكشك الذي في باطن الديوان الداخلي. يوم الثلاثاء، ثامن عشر من الحجة لسنة ١٠٨٥ لم يحصل فيه شراء"[1]. وفي التركية الحديثة: كوشك: قصر (متولي ٢٧).

كَلَك : أساور القميص، كم القميص عند بعض الخياطين ولم تجمع، وهي من التركية (كُلّو) ذو ذراع. (صفصا٢٥٥).

كُملَيك : ثوب تلبسه المرأة تحت الثوب الخارجي، وهو بغير أكمام. والغالب أن يكون ثوبا قد بلي. وهو في التركية g-mlek: قميص غشاء. وكملكجي: صانع القمصان وبائعها (صفصا١٥٢)

٤٩٥ - مذكرات المؤيد بالله ص١٥٠-١٥١ وانظر٢٠٨، ٢١٩.



كُهنَة : الاثـاث والأدوات الـتي قَـدُمت وتجـاوزت عمرهـا الافتراضـي. والتكهين: وضعها في مخزن حتى تباع أو تتلف. والفعل منها كهّن يكهّن تكهين. في التركية: كهنة: بال، قـديم، عفـى عليـه الـزمن (صفصا٢٦٣).

كوشة : من المقترض حديثا في التسعينات، عن طريق الوسيط المصـري تلفزيونيا وسينمائيا بمعنى الأريكة أو المنصة فيها كرسيان يجلـس عليهما العروسان. وتجمع على كوشات وكُوَش. وكوشة العروسة تركيـة (تيمـور٥/٢٦٦). وأصـلها: مـتلازم (صفصـا٢٦١). وفي التركية الحديثة بمعنى زاوية وطرف (متولي ٢٨).

لَجَن : وعـاء غسـيل الثيـاب عـادةً. وفي التركيـة لجـن بمعـنى الطشـت (تيمور٥/٢٨٩-٢٩٠ وصفصا٢٨٥). وهـو في الفارسـية بـالجيم السـامية: طشـت ومجمـرة وشمعـدان وموقـد، معـرب لكـن. (تونجي٥٩٤)

لُغم : وجمعه ألغام؛ حشوة معدنية بها متفجرات، توضع تحت الشـيء المراد نسفه: بيتا أو سيارة أو دبابة، فإما أن ينسف الشيء بحاكوم عن بعد، أو بموقّت، أو أن يداس عليـه. وهنـاك ألغـام للأفـراد وللمركبات... الخ. والذي يفعل التلغيم ملِغّم، واشتقوا منه: لغّـم يلغّم تلغيم ولِغاّم. واستعملوه مجازًا لحزمة القات التي وضع بـين أغصانها قش أو علف أخضر أو يابس. فقالوا: الربطه ملغّمة وهذا القات ملغّم.

واللّغم تركي ونقـل (دوزى٩/٢٥٢) عـن محـيط البسـتاني أنـه: حفيرة تحت قلعة ونحوها يجعل فيها البـارود لأجـل تقـويض مـا

حولها. وصانعها لغمى (بضم الغين) وأن العامة يبنون منها فعلاً يقولون: لغم المكان اتخذ له لغما (...) ولغمجى: صانع اللغم (انظر طوبيا لَغَم٦٦)، وفي التركية الحديثة بفتح فكسر (صفصا٢٨٢). ويذكر (شوكت١٠٣، ٤٦): أن قسم الألغام في الجيش العثماني (لغمجى لر) كانت توكل إليه زمن الحرب محاصرة القلاع وتلغيمها وفتح الدهاليز والأنفاق في أسوارها. وسماها المصريون في القرنين ١٦ أو ١٧م لغمجية (عراقي٢٦).

ويرى (السعيد١٨٢): أنها من اليونانية إما من لَغومي أولخّوما بمعنى السرداب والبلاّعة ونقل عن (الجبرتي ٣/١٧١): فكانوا يهدمون ذلك بالبارود على طريقة اللغم فيسقط المكان بجميع أجزائه من قوة البارود وانحباسه.أهـ.

قلت: هذه الطريقة العثمانية كانت تسمى في اليمن الصُرَنج، ولا أدري أصلها.

لُك : الصمغ الذي تلحم به العصي المشروخة ونحوها. وهي في التركية لُوك: نوع من الصمغ وكذلك لوكو (صفصا٢٩٠) وقالوا في اليمنية.لُكّ القصبة: ألحِمها وألصقها، ولكَّ الشيء في الجدار ثبّته.

لهانَة : بفتح اللام وبكسرها، نبات الملفوف المسمى في كتب العلوم الكُرُنب، ويرادفه كوبش وهو في التركية عن اليونانية لَهانَه.

لَي : أنبوب مرن قابل بسهولة للطي والانثناء، يستعمل للماء والسوائل. ولم تجمعه اليمنية. في التركية لوي وليولي: مستدير. ملتو، أنبوب، لولب، حنفية (صفصا٢٩٠).



ماسَة: المنضدة، المائدة المرتفعة، وتجمع على ماسات. في العثمانية كاصَه وفي التركية الحديثة ماسه، وهي الايطالية ماسّاالمأخوذة من اللاتينية مِنسا (متولي٣١) وانظر صفصا٣١.

مانِيَة: أدوات المنزل المستعملة للطبخ والغسل والكنس وما في حكمها في لهجة صنعاء، وما حولها، وفي لهجة ذمار. ولا جمع لها. وهي من الفارسية مانَه: أسباب المنزل وضرورياته (تونجي٦٠٣).

مَسد ومَست : حذاء مطاطي يغطى القدم حتى منتصف الساق، بغير خيوط، وداخله مبطن بالقطن أو الصوف، عرف من المدن الباردة المناخ كصنعاء وذمار. نقل (دوزي ٥٦/١٠) عن ستة مصادر: أنه تركي، معناه: حذاء عال من نسيج، وقال (تيمور٣٥٠/٥): مَزد: كلمة تركية هي الخُفّ، ونقل عن الجبرتي ١٥٧/٤ مسوت جمعا. وذكر (شوكت٧٦، ٨٩): أن المست والجزمة يرتديهما الضابط العثماني، وكذلك أغا الانكشارية.

وذكرت آمال المصري: أن المست نوعٌ من النّعال المنزلية، شاعت في العصر العثماني في مصر، لبسته نساء الطبقات العليا كما لبسه رجالها أيضًا، وهو من الجلد المراكشي الأصفر الناعم (السختيان)، ذا نعل من الجلد الأصفر عند المشي على البُسط والحصى في المنزل، أو يلبس فوقه القبقاب[1].

مُقَندِل : كان حق الكلمة أن توضع في القاف، لولا أننا وجدناهم استعملوا اسم الفاعل من الرباعي فقط، معناها: ذاهل، في حالة نشوة من قات أو حشيش.

(١) انظر آمال المصري: أزياء المرأة في العصر العثماني ١٤٣-١٤٤.

في التركية من معاني قنديل وكنديل: سكران (صفصا٢١٧) وكُركنديل سكران، ثمل، مخمور (صفصا٢٦٤).

نَشان : العلامة توضع هدفا للتدرب على الرماية. وهي من الفارسية بكسر النون: العلامة. دخلت التركية بلفظها ومعناها، وأطلقت على الشارة والشعار معًا. وفي الجبرتي٤/٣٠٩:ويلبسون الأسلحة ويخرج الطائفة منهم الى الخلاء، ويعملون لهم نشانا يضربون عليه بالبنادق الرصاص (السعيد١٩٠ وانظر صفصا٣٥٠). اشتق اليمانيون منه: نشّن ينشن تنشينا فهو منشّن، ولم يجمعوه. ويرادف عندهم: النَّصَع.

هاز : الجيب في لهجة صنعاء وما حولها باستعمال مميّز. فلا يقال:"ان في زنة علي هاز أو هازين" بمعنى جيب أو اثنين. بل يقال: "الموضوع الفلانى في الهاز "، أي: في الجيب، أو: إن فلانا وفلانا بالنسبة لفلان صاروا في الهاز، أي: في الجيب، ولم تستخدم الكلمة مع الضمائر؛ إذ لم يقولوا: هازي وهازه وهازك ... الخ. خلاصة القول: إنه (تعبير اصطلاحي). قال عباس المطاع في قصيدته التى تذاع عند قدوم أحد العيدين (الأضحى والفطر):

العيـــد قـــدو في الهـــاز   والبخـل فيـه مـا جـاز
فخلّـــــي الحِـــــبزاز   عيّـد، قـد اسمِـه عيـد

والكلمة في التركية (هاس) من العربية (خاص)، اقطاعية كانت تخصص إيراداتها لكبار رجال الدولة في العهد العثماني (صفصا١٦٦). فسبحان المغيّر من عربي الى عثماني إلى صنعاني!



هَفتَة : تقسيط ثمن السلعة، ولم يشتقوا منه فعلا، بل اكتفوا بأن قالوا: "اشترى فلان السيارة هفته". في التركية من الفارسية (هفتَه): أسبوع. وهَفَتِلكلي: المشتغل بالأجرة أسبوعيا. (صفصا١٦١، وانظر: تونجى ٦٧٩). فلعل المعنى انتقل من التقسيط الأسبوعي للعمل إلى التقسيط في الثمن مطلقا.

هِزَلّي : من الأناشيد المصاحبة لألعاب الأطفال، تمسك الفتاة بيدي رفيقتها الممدودتين متخالفتين كعلامة x في الحساب، وتوسعان ما بين القدمين، ثم تدوران بالقدمين والجسمين قائلتين:

هِزَلّي يا هِزَلّي ... ونزلت اليوم اصلّي

تحت رمّانة كبيرة ... وعناقدها صغيرة

... الخ.

وكان ضياء الذماري قد عجز من معرفة المعنى فقال "إنها من الهراء اللغوي"، وهو معذور، غير أن في التركية هِزَلي: مسرع، سريع، وهِزَلَنَمَك: السرعة(١) (صفصا١٧٥)

هَنجَمَة : التهديد والإرعاد، الظهور المهيب. واشتقوا منها هنجم يهنجم فهو مهنجم، وفي أمثالهم: الهنجمة نص القتال. والكلمة بالجيم السامية في التركية والفارسية والهندية بمعنى: معركة، نزاع، ضوضاء (صفصا١٧٢وتونجي ٦٨٥). وقد وردت في الأدب العامي اليمني في القرنين ١٢و١٣هـ ومنه:

(١) ضياء الدين بن جمال الذمارى: شرح المشعططات السبع، تحقيق عباس السوسوة، صنعاء: مركز عبادى٢٠٠٧م ص١١.

فقالت العِجزة: لِمِه ؟ يا بنت أخي ذا الهنجمة.

(خفنجي ٩٠، وانظر: خفنجي ٤٦، وقا٩٠، ١٥٦)، ومنه:

وقد لاحت الهيبه على وجهك الصـبيح

مترخم مبرطم ما تقـل يـا علـي فلـيح

مشرحج بصوتك فيه جيسار وفيه بحـيح

تحاكي بهنجام بعد ما تمسد الوريـد[(١)]

هِنداياغ : زيت الخروع. وهو في التركيـة هنتيـاغ بمعنـاه (صفصـا١٧٦). فياغ: زيت ودهن (٥٦١). والزيوت: ياغ لَر، وزيت الذرة: مِسـر ياغي (صفصا٣١٥)

ياقَة : رقبة الثوب أو القميص، الطوق الذي يحيط بهـا.وهـو كـذلك في التركية إلى جوار (يقا) و (يَقَه) (صفصـا٥٦٢، دوزي١١/٢٨٨-٢٢٩)

ياي : النـابض، قطعـة معـدن حلزونيـة تتميـز بالمرونـة والقـوة معًـا. واستعمال هذه الكلمة قليل؛ إذ الإنجليزية spring أشـيع منـها. ياي في التركية: سوستة وقوس (صفصا٥٧٣)

يُرت : اللّبن الزبادي. وقد حلّـت الزبـادي محـل الـيرت والقطيـب منـذ الثمانينـات. وهـي في التركيـة: يوغـورت بمعناهـا (تيمـور

(١) مجموع بلدان اليمن ٢/٥٢٨.



٩/٤ياغرت). وفيها يوغورت شالمك = الترويب، وبائعه وصانعه يوغورت چي (صفصا٥٨٤)، وصناعته يوغورت شُلُك، والتزبّد والتجبّن = يوغورتمَك.

يُرقان: فراش ولحاف مبطن بالقطن، جمعه: يراقين. قال حسين عباس يداعب ابن عمه - وكان ملتحيا -:

احــــذر المــــدقنين مــن قبــل مــدّ اليراقــين
فالمـــــدقّن لـــــعين والله وبــــالله وتـــــالله

وفي التركية يرقان بالقاف وبالجيم السامية: لحاف، ووجه اللحاف، بائعه يرقنچي (صفصا٥٨٦)

يَسَك: في اليمنية تعنى: الدخول ممنوع، المرور ممنوع، التجول ممنوع. لاتعنى غير ذلك. واشتقوا منها: يسّك فهو ميسّك. والكلمة تركية مستعملة عند مؤرخي حروب الفرنجة منذ القرن السادس الهجري. غير أن معناها في البداية كان: الطليعة من الجيش. جاء عند ابن واصل: "أخرجوا اليزك ووجهوا من يكشف الأخبار"[(١)]. وجاء عند ابن شداد (٦٣٢هـ): "وكان السلطان بالقدس وقد أقام يزكا على العدو محيطا به"[(٢)]. وقد أشار (دوزى١١/٢٣٨): إلى

(١) ابن واصل الحموى: مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تحقيق جمال الدين الشيال ٣٢/١.

(٢) بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة: الدار المصرية للتاليف ١٩٦٤ (ص: ١٠).

هذا المعنى ونقل عدة نصوص، وزاد فنقل عن محيط المحيط للبستاني: يَزَك: رئيس العسس ومن يرقب من مضى فيتبعه فارسية.

وفي التركية يَسَك: منع ونهي وزجر وتنبيه.-يسكجى: محافظ، يَسَكتَمَك: أن يمنع يسكولمك: المنع. الخ (صفصا٥٧١ وانظر تونجي ٦٩٤)

يَلَق : رداء نصفى يلبس على الصدر فوق الجلباب، بغير كمّين، وبغير طوق عنق، له أزرار. وفي التركية يَلَك: صديري (صفصا٥٧٦) ويؤصله (السعيد٢٠٣): من الكلمة التركية (يَل) بمعنى الريح. واليلك: لباس بلا أكمام يلبس على الصدر فيدفع عنه الهواء فهو الصدار والصديري، وجمعه يلكات عند الجبرتي ... اهـ.

ويبدو أنهم متفقون على لبسه على الصدر، ثم يختلفون في أشكاله (فدوزي١١/٢٤٢). عن (محيط المحيط): أنه الكم الطويل، ثم عن معجمه (المفصل): أنه صدرية للمماليك وهو واسع قصيرة، وله كمان غاية في الطول والفضفضة. من ملابس النساء. و(آمال المصري) تقول: إنه رداء منزلي يلبس فوق القميص، مشقوق من الأمام حتى الذيل، وتتسع تقويرة الصدر فيبرز منه الثديان، ويغلق بأزرار في جزئه العلوي حتى الخصر فينطبق على الجسم تماما فيبرز تفاصيله، ومفتوح من الجانبين بفتحتين قد تصلان إلى الحرقفتين، والكمّان ضيقان"[1].

يَلَن : الوهم، الاختلاق، وتنطق الكلمة مفخمة في محافظة ذمار على الأقل. واستعمال اللفظ محدود. عندما يتحدث شخص ما عن

(١) أزياء المرأة في العصر العثماني ص٥٩-٦٠.



شيء أو موضوع فيقال: من يلن. أما في التركية (صفصا ٥٦٤) فتفخم الكلمة وترقق.وهي تدور حول محور واحد: كذب، إفك، بهتان، زور، تلفيق.

كيف تعاملت اليمنية مع الألفاظ التركية ؟

تحاول كل لغة أو لهجة أن تخضع ما تقترضه لنظامها الصوتي والصرفي ما أمكن.

التعامل الصوتي :

في التركية صوامت /p، v، Ĉ / لا توجد في العربية الفصحى، ولا في اليمنية، لذلك أبدلتها إلى أقرب الأصوات إليها أبدالاً مطرداً كما يلي:

شپشب ← شبشب. بياده، بول p → b

برڤاز —> برواز ، هَڤلى —> حولي v→w

v→F

تشرشف—> شرشف، تشانطه← شنطه، تشوال←شوال Ĉ→§

چزمه ←جزمة، چرم —> جَرم Ĉ→→dj/g

وفي التركية نفسها إبدال بين الكاف والقاف، ففضلت اليمنية القاف على الكاف إلى حد بعيد.

وإبدال الهاء حاء – لفظ واحد حولي.

السين زايا هاس ← هاز

وفي التركية /g/ وهذا من أصوات بعض اللهجات على أنه جيم في بعضها ووحدة قاف في بعض آخر لذلك نقل بالصوتين: هنجمة

وفي التركية إبدال بين /g/ و /k/ فضلت اليمنية نقله بالكاف.

وهناك إبدال على التوهم السمعي مثل إبدال الهمزة باء أقچة←بقشة

ر←ل قنبرة←قنبله

والدال زايا: زندان←زنزانة

ط ← ت طمغا او دالاً تمغا، دمغة

والكاف ← هاء: بصمك ← بصمة

ت ← د رشتى رشده

وفي التركية حركات لا توجد في اليمنية خصوصا الحركة /y/ فالعربي لا يدري أيسلكها في ياء المد أم في واو المد؛ إذ هي تأخذ بحظ منهما جميعا، وقد فضل أن يجعلها ياء مد حين تكون في آخر الكلمة، بل إن التركية عندما كانت تكتب بالخط العربي كتبتها بالياء. مثل قوزي وسونكي ودغري.

وفي التركية ألفاظ مكونة من مقطعين أولهما: صامت + حركة طويلة، وثانيهما صامت + حركة طويلة + صامت، كما في كلمة توتون. فقامت اليمنية بتقصير الحركتين فصارت، (تُتُن)، وأحيانا اكتفت بتقصير الحركة الأولى كما في كوريك ← كُرِيك، وبوريك ← بُرِيك. وفي حالة



وحيدة حدث حذف لمقطع وحركة كما في يوغـورت ← يُـرت. وكلمـة سونكي، هي: سون + كي/كو، جعلتها اليمنية: سُن + كي.

وبعضه زيد فيه وانقص بسبب التوهم مثل: زنبورك / زمبريق

لكوم ← حلقوم

اردو/اوردي ← عُرضي

التعامل الصرفي:

من ناحية الاشتقاق

التركية لغة إلصاقية، وليست اشتقاقية كالعربية، لذلك فان قريبا مـن نصف الألفاظ المقترضة - وهي أسماء جامدة أصـلاً - أخضـعته اليمنيـة لنظامها الصـرفي، واشـتقت منـه الأفعـال والمصـادر وأسمـاء الفـاعلين والمفعولين. وكان هذا مفتقداً في اللّغة التركية.

وقد مرّ بنا كثير من هذا، ويكفـى أن نشـير إلى اشـتقاقهم مـن كلمـة (لغم): لغّم يلغم تلغيم، ملِغّم وملغّم. واشتقاقهم من كلمـة (شرشـف): تشرشف يتشرشف شرشفة وشرشفها. يشرشفها فهـو مشرشـف - بكسـر الشين الثانية، وبفتحها - بمعنيين اسم فاعل واسم مفعول ... الخ.

أمّا من ناحية الجمع، فأغلب المقترض جُمع، تعددت سـبل اليمنيـة في جمعه. فأغلب ما انتـهى بهـاء جمـع بــ (ات). مثـل بيـادة، تزجـة، كريولة، جبخانة، بوية، دمغة، سـقالة، صـاية. بـل إن الجمـع بإضـافة الألف والتاء طال الكلمات غير المنتهية بهاء، مثل: بلوك، صاج، كريك.

ولم تقترض اليمنية لفظا مجموعًا في أصله التركي، بل كلـها ألفـاظ مفردة. والتركية الجمع فيها سالم نظرا لأنها لغة إلصـاقية، يلصـق/يلحق بها (لر) حتى لو كانت عربية، فقد جمعت (كتاب) كتابلر.

أما اليمنية ففيها صيغ جموع التكسير، قـد جمعـت الألفـاظ التركيـة بهذه الصيغ فكأنها قياسية.

بردق وبيرق وجردل ← برادق، بيارق، جرادل.

شبشب ← شباشب

لغم ← ألغام

يرقان كرباج ← يراقين، كرابيج

قايش وقامش ← قوايش، قوامش

طقم وجرم ← طقوم، جروم

قاوق ← قواويق

خازوق وطابور ← خوازيق، طوابير

قنبلة وكندرة وتنجرة ← قنابل وكنادر وتناجر

بل إن بعضها تعددت صيغ جموعه مثل:

(زنزانة): زنازين، زنازن، زنزانات.



(شنطة): شنطَ، شِنِيط، شناط.

(تنكة): تنيك، أتناك.

(طَقم): طقوم، أطقم، طقومات.

وبعض المقترض جاء على صيغة من صيغ الجموع في اليمنية فتوهموه جمعًا وأفردوه وعاملوه صرفيا ونحويا كذلك؛ وأفردوه بلفظ عربي، مثل: طباشير، وجمارك، وبليزق، وقروش، وفشق، أفردوا منه: طبشور، وجمرك، وبلزقي، وقرش، وفشقة.

وفي المقترض ألفاظ لم تجمعها اليمنية، مثل: أبله، وباروت، وبشلي ولي، وهفتة، وقلبق، وكلك، وهاز، ودويدار.

التعامل الدلالي

بعض الألفاظ المقترضة من المشترك اللفظي في التركية، لكن اليمنية اكتفت باقتراض معنى واحد، ونرى ذلك طبيعيا ذلك أن المقترض - وغيره - يستعمل في سياق لا يحتمل غير دلالة واحدة: وتقترض دون غيرها. وقد مرّ بنا شيء من ذلك، فلا داعي للتكرار.

وبعض المقترض ساهم في ترادف الألفاظ لاستخدامهم إلى جواره ألفاظا أخرى مقترضة أو عربية، أو محلية بالدلالة نفسها، مثل:

جردل + بالدي + سطل

بردق + كاس + قَلَص + مغرف

شبشب + شنبل

بيرق + علم + راية

حولي + منشفة +تِوَل

لهانة + كوبش + كرنب

شوالة + جونية

وبعضه مترادف في التركية نفسها مثل: تتن وتنباك، وكرباج وقمشة (نقلت قامش).

وبعضه جعلته اليمنية مترادفا مثل: (بشمق وجزمه وكندرة) في حين أن البشمق لفظ عام، أما الجزمة فحذاء طويل الساق وخاص بالفرسان. أما الكندرة فذات طرف معقوف من جهة الأصابع.

وأما من جهة المعجم فالغالبية العظمى أسماء جامدة، واثنان منها أدوات نحوية ولواحق مثل: خانه وبلكي، أو من السوابق مثل: باش.

هذا ما تيسر لي، وربما وجدت ألفاظًا تركية لم يتيسر لي معرفتها في المحكية اليمنية، فلعل أحدًا يهتم بها.

وما كان لهذا المبحث أن يتم بهذه الصورة لولا المعونة الصادقة من الزميلتين الفاضلتين في كلية الألسن بجامعة عين شمس: أ.د. إيمان السعيد جلال، وأ.د. منى حامد، اللّتين أمدتاني بتصوير بعض المراجع المهمة في الموضوع. فلهما جزيل الشكر والتقدير.



والشكر للأخ الـدكتور علـي محمـد الزّبيـدي الأسـتاذ المسـاعد في الأدب القديم بجامعة الحديدة لتقديمه بعض الدوريات، وللأخ الـدكتور أحمد قاسم أسحم الأستاذ المشـارك في الأدب الحـديث بجامعـة تعـز، لقراءته البحث، وإبداء ملاحظات قيّمة عملت ببعضها.

والحمد لله رب العالمين.

عبرات المنفلوطي

دراسة فنيّة

د . عبد النّاصر بدري أمين علي

جامعة أمّ القرى - مكة المكرمة

العدد الثاني
ذو القعدة ١٤٣٤هـ
سبتمبر ٢٠١٣م

مجلة مجمع اللّغة العربية
على الشبكة العالمية



السيرة العلمية:

د. عبد النّاصر بدري أمين علي

- ماجستير في اللّغة العربية (أدب ونقد): الصورة الأدبية كما رسمها القرآن الكريم لبني إسرائيل.
- دكتوراه في اللغة العربية (أدب ونقد): القصة عند الدكتورة عائشة بنت الشّاطئ، وقيمتها الفنيّة.
- يعمل حاليًّا أستاذًا مساعدًا في مركز اللّغة العربية وآدابها - معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أمّ القرى بمكة المكرمة.

حين ينشئ المبدع عملاً فنيًا، إنما يوقع على الورق مشاعره وأحاسيسه التي هي نتيجة حتمية لتفاعله مع الأحداث التي تجري حوله سواء وقعت أمام ناظريه؛ فأدركها بحواسه مباشرة، أم كان ذلك بطريقة غير مباشرة.

ومع وجود الفارق بين إدراكه وتفاعله بالمباشرة للأحداث، أو غير المباشرة، فإن تأثره بهذه الأحداث والمواقف يولد لديه مشاعر وأحاسيس تختلف عن مشاعر، وأحاسيس الآخرين.

فنظرة المبدع نظرة خاصة، والإدراك عنده عميق، وهذا المعنى يذكرني برد الشاعر حين سألته محبوبته عن كيفية وصفه الجيد مع عدم إعمال نظره فيها فقال:

تقول: وصفت وكنت مجيدًا!

فكيف وصفت ولم تر مني ؟!

أجبت: يهيج حسنك مني المشاعرْ

وإني وصف بإحساس شاعرْ

أحاط بما لم يحيطوا [١]

وعندما تكتمل في داخل المبدع الشحنة التأثرية بمدركاته تجيش نفسه بمشاعر وأحاسيس، ويتملكه شعور قوي بالرغبة في إيصالها للآخرين

(١) من قصيدة مخطوطة للباحث بعنوان " أحذر عينيك من عين شاعر ".



كما هي في نفسه ما أمكنه ذلك، ولكي يتمكن المبدع من ذلك لا بد لـه من أدوات تساعده على نقل تجربته هذه إلى المتلقي.

وعناصر الإبداع في العمل الحكائي، أو القصصي متعـددة يوظفهـا القـاصّ لتـأتي بـالأثر الإيجـابي في تفاعـل المتلقـي مـع المبـدع، والشخصيات، والأحداث [(١)].

وقد جعلَتْ إبداعات المنفلوطي قارئَه يقف تقديرًا لهذا العمـلاق الذي تعددت مواهبه؛ فاحتلِ مكانه بين عمالقة عصـره، ونوابـغ جيلـه؛ وكتب أروع القصص، وأُخِذَتْ عن كتاباته التعـبيرات الشـفافة، وتتلمـذ على أسلوبه طلاب الرِّقة، والبيان.

وقد توجهت بهذه الدراسة إلى تناول عناصر الفـن القصصـي في كتاب " العبرات " [(٢)] ذلـك الكتـاب الـذي سـيطر علـى قرائـه، وحـرك مشاعرهم تجـاه الشخصـيات الـتي قـام بتشـريحها أمـامهم؛ فـاعتبروا، وفارقت مآقيهم عبراتهم، ومن هذه الأدوات الإبداعية:

أولاً: العنوان:

إن اختيار الأديب عنوانًا لكتابه ينبغي أن يكـون دالاً دلالـة لا مواربـة فيها على ما في داخل كتابه، أو موحيًا به، وقد وفق المنفلوطي في اختيار عنوان مؤلَّفه لدرجة أن المتلقي عندما يتجـه بناظريـه إلى عنـوان الكتـاب

(١) انظر: التجربة الشعرية عند المتلقي. د. عبد اللاه محمود حسن محروس. مطبعة الأمانة ط ١ سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، وانظر ص ٧٧ أصول النقد الأدبي. أ / أحمد الشايب. مكتبة النهضة المصرية. ط ٧ سنة ١٩٦٤م.

(٢) العبرات. مصطفى لطفي المنفلوطي. هيئة الكتاب سنة ١٩٩٥م.



يدرك من الوهلة الأولى تمكُّنَ الاتجاه الوجداني الذي انتهجه الأديب في عمله هذا.

و" العبرات " لم يكن عنوانًا لإحدى القصص التي يحتويها الكتاب، ويمكن أن يكون نتيجة طبعية لقراءة كل قصة من قصص هذه المجموعة، ومعايشتها والتأثر بها، وبهذا يكون الأديب قد انتهج النهج الإيحائي الذي يهمس للقارئ بما يريد منه، ولم يكن مباشرًا في اختيار هذا العنوان.

ولو أن المبدع أطلق عنوان الكتاب على أية قصة من قصصه لم يكن قد ابتعد عن الصواب؛ فهو صالح لكل قصة فيه؛ لسيطرة الجانب الوجداني عليها جميعِها، والعنوان صاحب الدلالة الأولى على المحتوى.

أما قصص المجموعة فكان عنوان أولها " اليتيم "[(١)] وهو يوحي بما يعانيه اليتيم في المجتمع، وإن كان المنفلوطي مباشرًا في جعل العنوان وصفًا لشخصية البطل الذي تدور حوله الأحداث، إلا أن اختياره كان موفقًا إلى حد كبير، فهو دعوة إلى الإصلاح الاجتماعي بطريقة إيحائية من جانب، وهو محرك لوجدان المتلقي من جانب آخر؛ حيث كانت " الرومانسية " هي السائدة في الأعمال الإبداعية في عصر المبدع.

والقصة الثانية اختار لها عنوان " الشهداء " [(٢)] وكتبَ تحتَهُ " مترجمة " حيث تدور أحداثها بين فرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية، والأديب في قصصه المترجمة " سلك مسلكًا جديدًا في الترجمة، أوغل في التمصير أكثر من سابقيه، ولكنه ارتقى بالأسلوب، وعني بالتوقيع

(١) ص ٤. المصدر السابق.
(٢) ص ١٩ المصدر السابق.



الموسيقي في ألفاظه، وعباراته، وكان أسلوبه مسترسلاً سهلاً صادف رواجًا كبيرًا في عصره"[١]، والعنوان وصف مباشر لشخصيات القصة الأم، وأخيها، وابنها، ويمكن القول بأن عنوان القصة لا يناسب شخصياتها؛ فالشهادة لها مقاييسها في التشريع الإسلامي لا تنطبق على هؤلاء الذين يعيشون في ظلمات المجتمع الغربي، والمهاجرين إلى بلاد غير بلادهم ليغتصبوها من أهلها، وربما أراد المنفلوطي إدراج هذه القصة في نطاق الاتجاه الوجداني، ليحرك بهذا العنوان مشاعر المتلقي، وإن لم يكن العنوان ممصرًا ففيه مغالطة من المؤلف الأصلي.

وعنوان القصة الثالثة " الحجاب "[٢] دعوة إلى التمسك بالقيم الدينية، وعدم الانبهار بحياة الغربيين الإباحية، والحجاب رمز لتلك القيم التي انفلت منها بطل القصة؛ فضَل، وأضَلّ.

وفي هذه القصة بدا المنفلوطي بشخصه، وأطل بذاتيته، وكان مباشرًا للدّرجة التي يمكن معها أن نعتبرها مقالاً صحفيًا، أو خطبة منبرية جيدة ضمنها صاحبها قصة غير ناضجة النضوج الفني الذي نرجوه، ولا لوم على أديبنا مطلقًا؛ فهو في زمن فقد فيه القدوة الفنية في مجال القصة، وهو من جيل الرواد في هذا الفن الجديد الذي لم تتضح أسسه الفنية بعد.

و" الذكرى "[٣] عنوان القصة الرابعة يوحي بالماضي الذي كان فيه العرب يملكون بلاد الأندلس، ولكنهم اختلفوا واستعانوا بأعدائهم

(١) ص ٢٥ ـ ٢٦ القصة القصيرة في مصر منذ نشأتها حتى سنة ١٩٣٠م. عباس خضر. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة سنة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م.
(٢) ص ٣٩ العبرات.
(٣) ص ٥٥ المصدر السابق.

المتربصين بهم على أنفسهم، فأهلكتهم غفلتهم، وضيعوا تراث الآباء والأجداد، وفيها يوظف التاريخ توظيفًا جيدًا؛ حيث يعود بنا إلى جزء عزيز على الأمة الإسلامية " الأندلس " التي طرد منها المسلون شرَّ طردٍ، وغرناطة حاضرة بني الأحمر التي ضاعت بأيدي أمرائها.

وعنوان القصة الخامسة " الهاوية "[(١)] فيه من الإيحاء ما يعني أن التزام الإنسان في الحياة منجاة له، وفي السلوك المعوج تكمن الهاوية.

وفي هذه القصة يحدثنا المنفلوطي عن الصديق، وأثر اختياره في حياة صديقه، فالرجل الذي صاحبه ثمانية عشر عامًا، وكان ملتزمًا، وصورة للكمال الإنساني- بصحبة السوء زجَّ بنفسه إلى الهاوية.

والمنفلوطي بارع في اختيار العنوان في قصصه، حيث يستجلب بها عبرات المتلقي، ويجعله مستعدًا لذلك بمجرد قراءته، ليدخل في غمار القصة، وقد تساقطت دموعه.

وبناءً على ذلك كان المنفلوطي دعامة من دعامات الفن القصصي في الأدب المصري؛ فقد صنع جمهورًا كبيرًا لهذا الفن، وجعل الأعمال القصصية نماذج أدبية عالية لا تقل عن الشعر[(٢)].

وقصة " الجزاء "[(١)] من القصص المترجمة كما صرح المنفلوطي في بدايتها، وربما اختار هذا العنوان تمصيرًا للقصة، وفيه دعوة للرضا بما

(١) ص ٧١ المصدر السابق.

(٢) انظر ص ٢٠٤ تطور الأدب الحديث في مصر د. أحمد هيكل. دار المعارف مصر سنة ١٩٥٦م.



في الأيدي، وعدم التطلع إلى ما في أيدي الآخرين، وإن كانت أحداث القصة في بيئة غير بيئتنا، وشخصياتها ليست لها ثقافتنا إلا أن الأديب وظفها توظيفًا موفقًا.

وحاول أن يضفي عليها الأعراف والتقاليد العربية، ولكن هيهات؛ فللغربيين ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وللعرب ثقافة وعادات وتقاليد مغايرة، بل يمكن أن أقول للمصريين ثقافتهم المختلفة.

و" العقاب " [٢] عنوان القصة السابعة فيه دلالة على الظلم، والاستبداد، والحاكم المتسلط، والنهاية الحتمية لهذا التسلط، وهي قصة موضوعة على نسق قصة أمريكية اسمها " صراخ القبور " وهي عبارة عن رؤية منامية رأى فيها الأديب قصرًا للأمير، فيه يقضي بين الناس، ويفصل في خصوماتهم، ورأى نماذج من القضاء فيها ظلم، وجور، واستبداد، وأخذ يتتبع قبور المحكومين، ويناقش حقيقة جناياتهم.

و" الضحية "[٣] كان عنوان القصة الثامنة، صفة لامرأة باعت عرضها في السوق، وضاعت في مستنقعات الرذيلة، فنبذها المجتمع، واعتبرها الأديب " ضحية "، وقد يكون هذا الوصف ـ العنوان ـ هو المعنيَّ والمنقول عن الترجمة.

والملاحظ أن العنوان في عبرات المنفلوطي له إيحاءاته وظلاله، وإن كانت الترجمة لها دور في تحويره في بعض القصص، فقد أتفق مع هدف

(١) ص ٨٥ العبرات.
(٢) ص ١٠١ المصدر السابق.
(٣) ص ١١٩ المصدر السابق.

المنفلوطي الذي تبناه، وهو الإصلاح الاجتماعي، كما يلاحظ أن جميع عنوانات القصص، وكذا عنوان الكتاب جاءت مفردات غير مركبة، كما أنها يجمعها الإيحاء، وعدم المباشرة، واختيار المفردات ذات التأثير الوجداني الداعي إلى البحث، والقراءة؛ ليصل المتلقي إلى نهاية القصة، ويربطها بالعنوان المثير مقتنعًا بواقعية القصة، والأحداث، والشخصيات.

ومن خلال سيطرته على ألباب، ومشاعر قرائه بتحريك أفئدتهم، يمكن أن أتفق مع من يقول عن اتجاه المنفلوطي الإصلاحي: " يدلنا اختياره لنوع القصص التي تناولها بطريقته في الصياغة، والتمصير على مزاجه، أو اتجاهه الأدبي الذي يبدو في القصص التي وضعها، فقد كانت كلها من الأدب الفرنسي الرومانسي المغرق في الخيال، والعاطفة، المؤمن بفضيلة الفقراء، ورذيلة الأغنياء، الداعي إلى العدالة، الثائر على النظام الاجتماعي الذي لا تكافؤ فيه بين أفراد مترفين معدودين، وبين ملايين الكادحين المسخرين "(١).

ثانيا : الشخصيات :

ومن العناصر الفنية التي يستعين بها المبدع في عمله القصصي الشخصيات، وعليه " أن ينجح في إقناع القارئ بأن تلك المغامرات التي يحدثه عنها قد حدثت حقيقة لأشخاص حقيقيين، وأنه لا يفعل شيئًا سوى أن يقص عليه، أو ينقل إليه أحداثًا قد شاهدها "(٢).

(١) ص ٥٥ القصة القصيرة في مصر منذ نشأتها حتى سنة ١٩٣٠. عباس خضر. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة سن ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦م.

(٢) ص ٣٨ نحو رواية جديدة. آلان روب جربيه ترجمة مصطفى إبراهيم مصطفى دار المعارف مصر. ط ١ سنة ١٩٧٦م



وعند عرض القاص لشخوص قصته عليه أن يصفها، ويتعقبها بالطريقة التي لا تجعل القارئ يمل؛" فالقصة " تتعقب الإنسان في سلوكه، وتتعمقه إلى أدق التفصيلات أحيانا "[١].

وعلى الأديب الناجح أن يجعل " الشخوص هي المحور الذي تدور عليها القصة بأسرها " [٢].

والشخصيات في العمل القصصي شخصيات محورية، وأخرى ثانوية ثابتة، فالشخصيات الثانوية لا تؤدي دورًا مهمًا في تسيير الحدث، وتستمد أهميتها من " تهيئة الجو المناسب للأبطال "[٣] الذين هم محور العمل، وتدور حولهم الأحداث، وينمون مع نمو الحدث، وبهذا " يكون من الخطأ الفصل، أو التفرقة بين الشخصية، وبين الحدث، لأن الحدث هو الشخصية وهي تعمل "[٤].

ومن هنا أتناول شخصيات المنفلوطي في عبراته؛ ففي قصة " اليتيم " يصف شخصية اليتيم، فيقول: " شاحبًا نحيلاً منقبضًا جالسًا إلى مصباح منير في إحدى زوايا الغرفة، ينظر في كتاب، أو يكتب في دفتر، أو يستظهر قطعة، أو يعيد درسًا "[٥]، ويقول عنه في موضع آخر: " رفع

---

(١) ص ٤ دراسات في القصة العربية الحديثة د. محمد زغلول سلام ط ١ مطبعة المعارف الإسكندرية سنة ١٩٧٣م.

(٢) ص ٥٣ فن القصة القصيرة في أدبنا الحديث د. عبد الحميد يونس دار المعرفة القاهرة ط ١ سنة ١٩٧٣م.

(٣) ص ٢١ دراسات في القصة العربية الحديثة. مرجع سابق.

(٤) ص ٢٨، ٢٩ فن القصة القصيرة د. رشاد رشدي مكتبة الأنجلو المصرية د.ط.ت.

(٥) ص ٤ العبرات.

رأسه، فإذا عيناه مخضلتان من البكاء، وإذا صفحة دفتره التي كان مكبًا عليها قد جرى دمعه فوقها، فمحا من كلماتها ما محا، ومشى ببعض مدادها إلى بعض، ثم لم يلبث أن عاد إلى نفسه، فتناول قلمه، ورجع إلى شأنه الذي كان فيه "[١]، وهكذا يصف المنفلوطي شخصية اليتيم دون أن يتعرض إلى اسمه وهو يتحرك، أو يكتب في دفاتره، ويذرف الدموع التي تمحو بعض المكتوب فيها، ويعود لوصفه بعد أن زاره في غرفته خوفًا عليه: " فوضعت يدي حيث وضعها، فشعرت برأسه يلتهب التهابًا، فعلمت أنه محموم، ثم أمررت نظري على جسمه، فإذا خيال سار لا يكاد يتبينه رائيه، وإذا قميص فضفاض من الجلد يموج فيه بدنه موجًا"[٢].

ويصف ابنة عمه على لسان اليتيم " وكانت في عمري، أو أصغر مني قليلا ... لا يرانا الرائي إلا ذاهبين إلى المدرسة، أو عائدين منها ... حتى جاء يوم حجابها، فلزمت خدرها... وما كنت أشاء أن أرى خصلة من خصال الخير في فتاة من أدب، أو ذكاء، أو حلم، أو رحمة، أو عفة، أو شرف، أو وفاء إلا وجدتها فيها " [٣].

أما زوجة العم فقد وصفها الشاب - وهو يحكي حكايته للأديب - وصفًا موجزًا، فبعد وفاة عمه الذي وصاها به: " فما مرت أيام الحداد حتى رأيت وجوها غير الوجوه، ونظرات غير النظرات، وحالاً غريبة لا عهد لي بمثلها من قبل" [٤].

---

(١) ص ٤ ـ ٥ المصدر السابق.

(٢) ص ٦ المصدر السابق.

(٣) راجع ص ٨ المصدر السابق.

(٤) ص ١٠ المصدر السابق.



وإن كان هذا الوصف لزوجة العم له دلالة دينية واجتماعية، حيث لا بأس مما تقدم؛ فهو أجنبي عنها، وعن ابنتها، إلا أنني أرى في هذا الموقف إبداعًا فنيًا غير مصرح به، ألا وهو الحديث عن الواقع وانتقاده، ذلك أنه مغاير لما تعوده أهل الريف، والمنفلوطي مبدع يكشف المجتمع، وينتقده في أخطائه.

وشخصية اليتيم، شخصية سلبية تدور حولها الأحداث، وتتغير، وهو لا يتخذ موقفًا إيجابيًا يمَكِّنه من البقاء مع محبوبته ابنة عمه، ولو تقدم لخطبتها ربما رضيت به زوجة عمه، لكنه لم يفعل.

ويعلق الأستاذ عباس خضر على هذه السلبية في القصة ذاتها، فيقول: " وأشخاص المنفلوطي ضعاف لا حول لهم ولا إرادة في أمورهم، ولا مصائرهم؛ فاليتيم هنا يستسلم لكل ما يحيط به، يعلم أن حبيبته خُطِبَتْ، فلا يبدو منه أي عمل إيجابي، بل يهرب من الموقف كله دون داع إلى هذا الهروب إلا مجرد إحساس رومانسي (خيالي)؛ فالواقع أن زوجة عمه لم تسئْ إليه، بل أرادت إسعاد ابنتها حسب ما ترى، ودبرت لليتيم رعاية أخرى لا إهمال فيها، والشخصيات الرومانسية دائما تهُبُّ عندما يغلبها القدر، لا لتعمل، فقد فات أوان العمل، بل لتبكي، وتتعلق بالأوهام "[١].

وفي قصة " الشهداء " المترجَمة يصف المنفلوطي المرأة الأم التي ما بقي لها إلا ولد صغير، وأخ شقيق، فيقول: " خاطت الملابس حتى

(١) ص ٦٣ ـ ٦٤ القصة القصيرة في مصر. أ / عباس خضر.

عشى بصرها، وغسلت الثياب حتى يبست أطرافها، ودخلت المصانع حتى كلَّتْ، وخدمت في المنازل حتى ذلّت "[١].

وهذا الوصف يصور هذه السيدة في صورة مؤلمة حزينة، تتفق والنهج الوجداني وتحريك العاطفة لدى المتلقي، ويصف ولدها بعدما شب، وكبر: " وقف به حظه على مهنة الرسم فأنِسَ بها... فاستمر خاملاً مغمورًا لا تدر له مهنته

إلا القطرة بعد القطرة في الفينة بعد الفينة؛ فلم يستطع أن يسعد أمه، ولكنه استطاع أن يسد خلتها " [٢].

وهذا الوصف يجلي لنا شخصية الشاب الرسام، الذي يمتهن الرسم، ويرضى بدخله منه دون أن يسعد أمه التي وصفها المنفلوطي، بعدما سافر ولدها إلى أمريكا باحثا عن خاله هناك؛ فأسر عند قبيلة زنجية تحقد على كل أبيض، فطالت غيبته: " مرت على تلك الأم المسكينة بضعة أعوام لا ترى ولدها، ولا تجد من يدلها عليه، فأصبح من يراها في طريقها يرى عجوزًا حدباء، والهة متسلبة مذهوبًا بها، قد توكأت على عصا ما تزال تضطرب في يدها "[٣].

ويصف الفتاة الأمريكية التي هي في الحقيقة ابنة خاله: " فتاة جميلة بيضاء، ما التفت الأُزر على مثلها حسنا وبهاء، تتمشى في بياضها سمرة

---

(١) ص ١٩ العبرات.
(٢) راجع ص ٢٠ المصدر السابق.
(٣) ص ٢٥ العبرات.



رقيقة، كسمرة السحاب الرهو الـذي يخـالط وجـه الشـمس في ضـحوة النهار"[١].

ويستعين المنفلوطي بالأوصاف الحسية، والمعنوية لرسم شخصياته، كما يستعين بالتشبيهات التي تسـاهم في توضـيح تلـك الصـورة بمـا هـو محسوس في الطبيعة، وكل أوصافه للشخصيات إنمـا يصـورها تصـويرًا محركًا وجدانَ المتلقي الذي يمسك بخيط الشخصية، ويتتبعه حتى يصل إلى نهاية القصة، متأثرًا بالشخصية، باكيًا عليها، متألمًا لما حـدث لهـا، فكأن حركة الحياة في القصة تحدث أمامه، وعلى مرأى منه.

وفي قصة " الحجاب "[٢] لم يسم البطل، وإنما أطلق عليـه " فـلان " حفاظًا عليه من فهم المتلقي، أو أن المتلقـي في هـذا الموضـع لا يعنيـه الاسم، يقول: " ذهب فلان إلى أوربا وما نذكر من أمره شيئًا، فلبث فيها بضع سنين، ثم عاد وما بقي مما كنا نعرفه منه شيء ... ذهب بوجه كوجه العذراء ليلة عرسها، وعاد بوجه كوجـه الصـخرة الملسـاء تحـت الليلـة الماطرة، ذهب بقلب نقي طاهر يأنس بالعفو، ويستريح إلى العذر، وعاد بقلب ملفف مدخول، لا يفارقه السخط على الأرض، وساكنها، والنقمة على السماء، وخالقها، وذهب بنفس غضة خاشعة ترى كل نفس فوقها، وعاد بنفس ذهَابة نزّاعة لا ترى شيئًا فوقها، ولا تلقى نظرة واحدة على ما تحتها... وذهب وما على وجه الأرض أحب إليه من دينه، ووطنه، وعاد وما على وجهها أصغر في عينه منهما "[٣].

---

(١) ص ٢٨ المصدر السابق.

(٢) ص ٣٩ المصدر السابق.

(٣) راجع ص ٣٩ المصدر السابق.

وهذه شخصية بلورها المنفلوطي أمامنا في حالتين متغايرتين، حالها قبل ذهابه إلى أوربا، وحاله بعد عودته منها بعد أن لبث فيها بضع سنين، والأوصاف في الحالتين موجهة إلى المحسوس والمعنوي فيها، بما يوحي بنهايته المحتومة؛ حيث تفلت من أخلاقه ودينه، ونقاء قلبه، إلى الجمود والكبر والسخط، وبهذا جهزه المنفلوطي للنهاية التي اختارها؛ حيث ترك الأمر لزوجته، وفتح بيته أمام الأصدقاء الذين تجالسهم الزوجة حتى قبض عليها مع صديق له، وداخله الشك في ولده؛ ليموت على هذه الحال.

وبطل قصة " الهاوية "[(١)] رسمه لنا المنفلوطي رسمًا معنويًا، وحسيًا في النصف الأول من صداقتهما وإن كان قد ترك اسمه، وأطلق عليه " فلانا " يقول: " عرفت فلانًا منذ ثماني عشرة عامًا، فعرفت امرأ ما شئت أن أرى أي خلة من خلال الخير والمعروف في ثياب رجل إلا وجدتها فيه، ولا تخيلت صورة من صور الكمال الإنساني في وجه إنسان إلا أضاءت لي في وجهه " [(٢)].

ويصف ابن البطل بعد اتصاله بأهل السوء: " غلام صغير في أسمال بالية يحمل في يده مصباحًا ضئيلاً... في وجهه صورة أبيه" [(٣)].

ويتعرض بالوصف لزوجة صاحبه: " امرأة ملتفة برداء أسود "[(٤)].

أما البطل فيعود إليه بعد ما تبدل حاله بصحبة رئيس الديوان السكير، فيصفه بلسان زوجته: " أصبح ... سكيرًا مقامرًا مستهترًا، لا يحتشم

(١) ص ٧١ العبرات.
(٢) ص ٧١ المصدر السابق.
(٣) راجع ص ٧٢ العبرات.
(٤) ص ٧٣ المصدر السابق.



ولا يتلّوم، ولا يتقي عارًا، ولا مأثما ... وأبا قاسيًا، وزوجًا سليطًا ... لا يبالي أن يعود إلى المنزل في بعض الليالي في جمع من عشرائه الأشرار، فيصعد بهم إلى الطبقة التي أنام فيها أنا وأولادي.. حتى يذهب بعقولهم الشراب، فيهتاجوا، ويرقصوا ويملؤوا الجو صراخًا وهتافًا، ثم يتهادوا بعضهم وراء بعض ... حتى يلجوا على باب غرفتي، وربما حدّق بعضهم في وجهي، أو حاول نزع خماري على مرأى من زوجي ومسمع، فلا يقول شيئًا، ولا يستنكر امرًا "[١] وهكذا كان الانقلاب إلى الجحيم في حياته؛ فهان عليه الشرف، ولم يجعل للغيرة على شرفه مكان، وقد غيرته الليالي والأيام، بعدما أنفق ماله وصار معدمًا، وعندما بحث عنه الأديب رأى مكانًا، الصورة التي كان يعرفها فيه " رجلا شقيًا منكوبًا قد لبس الهرم قبل أوانه، وأوفى على السنين قبل أن يسلخ الثلاثين؛ فاسترخى حاجباه، وثقلت أجفانه، وجمدت نظراته، وتهدل عارضاه، وتجعد جبينه، واستشرف عاتقاه، وهوى رأسه بينهما " [٢].

وهكذا تتدنى حال الشخصية المحورية في القصة يومًا بعد يوم؛ لتموت زوجه بين يديه، في حين كان هائجًا يطلب منها ثمن شرابه المسكر، ويذهب في إثر ذلك عقله، ويشرد أولاده.

وقد كان لرسم الشخصية في هذه القصة أثر جيد في أطوارها المتعددة، وأسلمها إلى المصير الذي لابد منه لمن سلك سلوكها، وتكمن في القصة دعوة إصلاحية لاختيار الصديق، والنصح له وعدم تركه للهوى.

---

(١) راجع ص ٧٤ ـ ٧٥ المصدر السابق.

(٢) ص ٧٧ المصدر السابق.



أما في قصة " الجزاء " [١] المترجمة فيتناول المنفلوطي فيها ثلاث شخصيات، ويسميها بأسمائها، فالفتاة (سوزان)، وابن عمها (جلبرت)، والشخصية الثالثة (جوستاف روستان)، و (سوزان) يصفها الأديب؛ فيقول: " نشأت (سوزان)، وابن عمها (جلبرت) في بيت واحد كما تنشأ الزهرتان المتعانقتان في مغرس واحد؛ فرضعت معه وليدة، ولعبت معه طفلة، وأحبته فتاة، ومرت بهما في جميع تلك الأدوار سعادة لم يستمداها من القصور، والبساتين، والأرائك والأسرة ...؛ لأنهما كانا قرويين فقيرين، بل استمداها من مطلع الشمس ومغربها، وإقبال الليل وإدباره، ... والأرض بأعشابها الناضرة، ومن الوقفات الطوال فوق الصخور البارزة على ضفاف البحيرة الهادئة، ... ومن الحب الطاهر الشريف الذي يشرق على القلوب الحزينة؛ فيسعدها، والأفئدة المظلمة؛ فينيرها، والذي هو العزاء الوحيد عن كل فائت في هذه الحياة، والسلوى عن كل مفقودة، ولم يزل هذا شأنها حتى كان يوم البحيرة "[٢].

إنها فتاة فقيرة نشأت مع ابن عمها في القرية، وتعلقت به، وأحبته حبًا طاهرًا، تتبعها الأديب في صحبتها مع ابن عمها منذ كانت في المهد إلى أن صارت فتاة يافعة، وكان يوم البحيرة حين التقاها (جوستاف روستان) الثري صاحب القصر الذي يصفه الأديب، فيقول: " فإذا فتى حضري، غريب، حسن الصورة، والبزة، لا تعرفه، ولا تعرف أن هذه الأرض مما تنبت مثله "[٣].

(١) راجع ص ٨٥ المصدر السابق.
(٢) راجع ص ٨٦ العبرات.
(٣) ص ٨٥ المصدر السابق.



ويأتي وصفه في موقع ثـان مـن القصـة: "هـبط (المركيـز جوسـتاف روستان) هذه الأرض منذ أيام؛ لتفقد مزارعه فيها، وكان لا يزال يختلف إليها من حين إلى حين، فيقضي في قصره الجميل الذي بناه فيها على بعد ساعتين من البحيرة بضعة أيام، ثم يعود إلى بلدته (نيس)، حتى رأى هذه المرة هذه الفتاة في بعض غدواته إلى ضفاف البحيرة فاستلهاه حسُنها، وما زال بها يفيض على قلبها من حبه،... وعلى جيدها ومعصمها مـن لآلئه وجواهره، ويصور لهـا جمـال الحيـاة الحضـرية في أجمـل صـورة وأبهاها، ... حتى أذعنت واستقادت، وخضعت للتي تخضع لها كل أنثى نامت عنها عين راعيها، وأسلمها حظها إلى أنياب الذئاب"[١].

وفى هـذا الوصـف يرسـم الأديـب صـورة (سـوزان)، و (المركيـز جوستاف) معًا، فهي فتاة قروية ساذجة يعجبها جمالها، ووجدت البرهان عليه من الشاب الغريب المـدني، حيـث كانـت الجلسـة القصـيرة الـتي جلسها إلى جوارها آخر عهدها بحياتها القديمـة، وأول عهـدها بحياتهـا الجديدة، فقد أغراها بحياة الحضر، وأغدق عليها من اللآلئ والجـواهر ما غيب عقلها، أما الشاب: فهو ثري حضري، يملك قصرًا جميلاً وسط مزارعه التي تبعد ساعتين عن مسقط رأسه مدينة (نـيس)، يجيـد اللعـب بعقول، ومشاعر القرويات، ويملك مـن طرقـه مـا يغـريهن بالسـقوط، وعندها يعمل الذئب البشري أنيابه فيها.

وقد صاغ المنفلوطي هذا الوصف بطريقته الفنية التي اتسمت بتمصير مثل هذا العمل، وصبغه بالصبغة العربية في أسلوب جذاب، ممتع، كما

(١) راجع : ص ٨٧ المصدر السابق.

أضفى عليه من الإيحاء، وعدم المباشرة ما يجعل وصفه للشخصيتين وصفا نموذجيا تبدو من خلاله الشخصية وهي تعمل، ويربط فيه الشخصية بالحدث ربطًا موثقًا.

ويصف الشخصية الثالثة، وهي شخصية (جلبرت) ابن عم الفتاة الذي تعلق بها، وذلك بعد أن فرت الفتاة مع الذئب (جوستاف) وذلك من خلال الحوار بصورة فنية متميزة، - والحوار له دور بارز في العمل القصصي هنا - حين بحث عنها؛ فلم يجدها، ففتش عنها في كل مكان: " فعاد حزينا مكتئبًا لا يرى أن أحدًا على وجه الأرض أعظم لوعة منه، ولا أشقى، فرأى أمه قابعة في البيت مطرقة برأسها تفلي التراب بعود في يدها، فدنا منها، فرفعت رأسها إليه، وقالت: أين كنت يا (جلبرت) ؟ قال: فتشت عن (سوزان) في كل مكان، فلم أجدها، فألقت عليه نظرة مملوءة حزنًا ودموعًا، وقالت: خير لك يا بنى ألا تنتظرها بعد اليوم، فانتفض انتفاضة شديدة، وقال: ماذا ؟ قالت: قد دخلت عليّ الساعة جارتنا فلانة فحدثتني أنها ما زالت تراها منذ ليالي تختلف إلى البحيرة للاجتماع على ضفافها بفتى حضري ... وقالت لي: إنها رأتها ليلة أمس بعد منتصف الليل راكبة وراءه على فرس أشهب يعدو بها في طريق القصر الأحمر، ولابد أنها فرت معه، فصرخ (جلبرت) صرخة جاءت لها نفسه، أو كادت، وخرّ في مكانه صعقًا ... قال: أما أنا فلست بحزين، ولا باكٍ؛ فقد كنت أحببت هذه الفتاة؛ لأنها كانت تحبني، وقد استحال قلبي الآن صخرة عاتية[1].

وتبدو لنا شخصية (جلبرت) من خلال هذا الحوار بينه وبين أمه دون أن يستعمل الأديب وصفًا مباشرًا، أو حسيًا أو وصفًا لشخصه بعيدًا عن

(١) راجع ص ٨٨ ـ ٨٩ العبرات.



أحداث القصة، بل جاء الوصف متخللاً الأحداث، وبهذا يصبح الوصف وصفًا فنيًّا، فبعد شوقه إليها، وبحثه عنها، تخبره أمه بخبرها؛ فيصعق في مكانه، ثم بعد إفاقته يخبر أمه أن قلبه قد صار صخرة عاتية تجاه هذه الفتاة، إنها صدمة الحبيب عند القرويين المخلصين، وموقفهم تجاه من يخرج عن نطاق الإخلاص، إلا أن هذا الشاب لم يستطع أن يستمر في جمود قلبه، وإنما كان ما أحسه غضبة المحب المهجور، و " علم أن نفسه قد كذبته فيما حدثته، وأن تلك البارقة التي كانت تضيء ما بين جنبيه من الحب قد استحالت إلى جذوة نار مشتعلة، تقضم فؤاده قضما، وتمشي في نفسه مشي الموت في الحياة، فأطلق لعبرته سبيلها، وأنشأ يئن أنينًا محزنًا؛ فقد ذهب به الحزن أبعد مذاهبه حتى نال منه ما لم ينل كر الغداة، ومر العشي "(١).

وها نحن أولئك نرى، ونتابع شخصية (جلبرت) تتنازعها المواقف المتضادة، والمواقف المتخالفة، فبعد أن أخبر أمه بمجمود قلبه تجاه الفتاة إذا به يضعف، وتخور قواه، وتصل به حال الحنين، والشوق، والبحث عن محبوبته إلى ما لم يكن في حسبانه، فاشتعلت في قلبه نار اللوعة، وهجران المحبوبة، لدرجة أوصلته إلى إهلاك نفسه، وذهاب عقله، وكما يقول الدكتور رشاد رشدي: " فلأجل أن تتحقق للحدث وحدته يجب إلا يقتصر على تصوير الفعل دون الفاعل ؛ لأن الفعل والفاعل أو الحدث والشخصية شيء واحد لا يمكن تجزئته، فإن اقتصر تصويرنا على الفعل وحده لما استطعنا أن نصور الحدث كاملاً، بل لما استطعنا أن نصور الحدث على الإطلاق، إذ يجيء ما نكتب خبرًا، وإن كنا نريد له أن يكون قصة "(٢).

(١) راجع ص ٨٩ ـ ٩٠ العبرات.
(٢) ص ٥٣ فن القصة القصيرة د. رشاد رشدي.

وبتتبع شخصيات وأحداث القصة نجدها في تنام متوازٍ، فبعد طرد (المركيز جوستاف) (سوزان) من القصر مع ابنتها؛ لزواجه بسيدة حضرية لا تحب أن ترى في القصر ما يزعجها، وبعد ضياع عقل (جلبرت) تجلس سوزان على ربوة عالية على ضفة نهر يجاور قصر (المركيز)، وإذا بها " تسمع هاتفا يهتف باسمها بصوت ضعيف؛ فالتفتت حيث سمعت الصوت، فإذا شبح أسود ممتد بين صخرتين على ضفة النهر.. حتى دانته، فإذا هو إنسان في زي المساكين مستلق على ظهره، شاخص ببصره إلى جدار القصر.. عينه عالقة بنافذة غرفتها التي كانت تجلس إليها ... يضم إلى صدره هنة بيضاء أشبه بالرقعة ...، وإذا هو (جلبرت) يجود بنفسه، ويردد بصوت خافت متغلغل، كأنه صوت المعذبين في أعماق القبور .. الوداع يا سوزان، الوداع يا سوزان ... وقالت: آه، لقد قتلتك يا ابن عمي .. ها أنذا يا (جلبرت) جاثية تحت قدميك فارحمني، واغفر لي ذنبي، فقد أصبحت امرأة بائسة شقية، ليس على وجه الأرض من هو أحق بالرحمة مني ... فسقطت من جفنه دمعة حارة على يدها كانت آخر عهده بالحياة "(١).

وأرى أن الأديب كان مبدعًا ممسكًا بزمام عمله الفني من خلال تصوير الشخصيات، ومجريات الأحداث، ولم يفصل بين الشخصية والحدث، فقد واكب وصف الشخصيات، وتناميها تطور الأحداث لتتحقق عنده الحبكة التي إن خلا منها العمل القصصي خرج عن هذا الإطار، وصار ما يسوقه الكاتب أخبارًا، وليست أحداثا فنية.

(١) راجع : ص ٩٤ ـ ٩٥ العبرات.



والأديب في قصة العقاب التي سجل تحت عنوانها أنها موضوعة على نسق قصة أمريكية، يصف قصر الأمير والأمير، وحاشيته، وجمهور من الشعب، ويصف مجلس القضاء الأميري الجائر، حيث كانت المحاكمة في ثلاث جرائم، والقصة رؤيا منامية يراها الأديب، ويسرد فيها ما رأى، فيقول: "... حتى انتهى بي المسير إلى بنية عظيمة، لم أر بين البني أعظم منها شأنًا، ولا أهول منظرًا، وقد ازدحم على بابها خلق كثير من الناس، ومشى في أفنيتها، وأبهائها طوائف من الجند، يخطرون بسيوفهم، وحمائلهم جيئة وذهوبًا... فعلمت أنها قصر الأمير، وأن اليوم يوم القضاء بين الناس، والفصل في خصوماتهم... وجلست حيث انتهى بي المجلس، فرأيت الأمير جالسًا على كرسيّ من ذهب يتلألأ في وسط الفناء تلألؤ الشمس في دارتها، وقد جلس على يمينه رجل يلبس مسوحًا، وعلى يساره آخر يلبس طيلسانًا، فسألت عنهما، فعرفت أن الذي على يمينه كاهن الدير، والذي على يساره قاضي المدينة "(١).

وهذا الوصف للأمير، وقصره، وجنوده، وكاهن الدير، وقاضي المدينة يأخذنا إلى مجلس القضاء الذي رآه وكأننا جلوس معه في قصر الأمير لمشاهدة الأحداث، والشخصيات، فإذا شخصيات المجرمين يحاكم الواحد منهم تلو الآخر دون شهود لهم، أو دفاع، وكان المجرم الأول: " شيخًا هرمًا تكاد تُسلمه قوائمه ضعفًا، ووهنًا، فسأل الأمير: ما جريمته ؟ فقال الكاهن: إنه لص دخل الدير، فسرق منه غرارة من غرائر الدقيق المحبوسة على الفقراء والمساكين"(٢).

---

(١) راجع ص ١٠١ ـ ١٠٢ العبرات.

(٢) ص ١٠٢ المصدر السابق.

إنه يصفه وصفًا يحرك وجدان المتلقي بحيث يجعله في جانبه، لكن جرمه عظيم، وهو السرقة، بل، سرقة دقيق الفقراء، والمساكين من الدير، مما يحرك لدى المتلقي صراعًا داخليًا، يجعله يتتبع الأحداث الجارية في الرؤيا المنامية مع المبدع، ويأتي بعد ذلك وصف الجمهور، وردّ فعلهم تجاه الجريمة: " فضج الناس ضجيجا عاليا، وصاحوا: ويل للمجرم الأثيم، أيسرق مال الله في بيت الله ؟ "[(١)].

وها هو ذا حكم الأمير على اللص يتابعه المتلقي؛ فيعيش الأحداث كأنه يراها: " فتسارّ الأمير مع الكاهن هنيهة ثم صاح : يقاد المجرم إلى ساحة الموت، فتقطع يمناه ثم يسراه ثم بقية أطرفه، ثم يقطع رأسه، ويقطع طعامًا للطير الغادي، والوحش الساغب "[(٢)].

ونرى الشيخ بعد سماع حكم الأمير يسترحم الأمير؛ فيضربه الأعوان: " فجثا الشيخ بين يدي الأمير، ومد إليه يده الضعيفة المرتعشة يحاول أن يسترحمه؛ فضرب الأعوان على فمه، واحتملوه إلى محبسه"[(٣)].

والشيخ بادٍ أمام المتلقي من خلال هذا الوصف، مرتعش اليد مادًّا يده إلى الأمير، والأعوان يضربونه على فمه مانعين إياه من القرب من الأمير، حاملين إياه إلى سجنه حتى ينفذ الحكم، إن تصوير المنفلوطي هنا تصوير ناطق محرك لمشاعر، ووجدان المتلقي، حيث تبدو الشخصية وهي تعمل، أو وهي متأثرة بالفعل.[(٤)]

---

(١) ص ١٠٢ المصدر السابق.

(٢) ص ١٠٢ العبرات.

(٣) ص ١٠٢ المصدر السابق.

(٤) انظر ص ٢٨ ـ ٢٩ فن القصة القصيرة. د. رشاد رشدي.



وشخصية المجرم الثاني: " فتى في الثامنة عشرة من عمره، أصفر، نحيل، يضرب بين أيديهم خوفًا، وفرقًا، حتى وقفوا به بين يدي الأمير؛ فسأل: ما جريمته ؟ فقال: إنه قاتل ذهب أحد قواد الأمير إلى قريته، لجمع الضرائب؛ فطالبه بأداء ما عليه من المال؛ فأبى، وتوقح في إبائه؛ فانتهره القائد؛ فاحتدم غيظًا، وجرد سيفه من غمده، وضربه به ضربة ذهبت بحياته، فصاح الناس: يا للفظاعة، والهول، إن من يقتل نائب الأمير فكأنما قتل الأمير نفسه... ". [١]

ويوضح الوصف شخصية الشاب القاتل، وهو في الثامنة عشرة من عمره، تعاون في وصفه الحركة، واللون، والحس المعنوى، وكانت جريمته قتل نائب الأمير لجباية الضرائب، وكان وقحًا في ردود عليه، كما شهد بذلك شهود الأمير كذبًا كما توضح نهاية القصة في الجرائم جميعها.

ويصف الأديب الجمهور من خلال كلامهم، وموقفهم من سماع الجريمة، والشهود؛ ليفهم المتلقي أنهم رعاع منساقون وراء غرور الأمير وحاشيته: " وما لبثوا أن جاءوا بفتاة جميلة كأنها الكوكب المشبوب حسنا وبهاء، لولا سحابة غبراء من الحزن تتدجى فوق جبينها... فقال القاضي : إنها امرأة زانية " [٢]، ووصف الأديب هنا وظف فيه الحسِّي، ومعنوي، واستعان فيه بالتشبيه، والتمثيل.

وهكذا نجد المنفلوطي بما أتيح له من سهولة لفظه، وعذوبة نسجه، وإمكاناته اللغوية يجيد وصف شخصيات قصصه، وفي أكثر الأحيان يأتي

(١) ص ١٠٢ ـ ١٠٣ العبرات.
(٢) ص ١٠٣ المصدر السابق.

الوصف للشخصية في القصة تفعل الحدث، أو تطل عليه، أو يقع عليها، وفي كثير من الأحيان أجاب عن أسئلة البناء القصصي الأربعة التي تجعل الخبر حدثه فنيًّا، وهي: كيف وقع الحدث ؟ وأين؟ ولِمَ ؟ وتجعل من القصة بناءً فنيًا له قيمته، وله تأثيره.

ثالثًا " الحدث " :

وإن كان من غير المقبول فصل الأحداث عن الشخصيات في العمل القصصي[١] إلا أن التحليل الأدبي يستدعى فصلهما في بعض الأحيان، خاصة إذا كان المقصود به بيان أدوات الإبداع ، لإتاحة الفرصة لتتبع كل أداة على حدة، والحدث في قصة " اليتيم " [٢] يبدأ بتغير حال الشاب، حيث أشرف عليه الأديب من نافذة غرفته: " فإذا هو جالس جلسته أمام مصباحه، وقد أكب بوجهه على دفتر منشور بين يديه... حتى رفع رأسه فإذا عيناه مخضلتان من البكاء "[٣].

ثم ينمو الحدث بعد ذلك: " ثم لم ألبث أن سمعت في جوف الغرفة أنّة ضعيفة مستطيلة ... صادرة من أعماق نفسه " [٤] ليتفاعل معها الأديب " كأنني أسمع رنينها في أعمال قلبي وقلت إن الفتى مريض " [٥] مما حفزه على الذهاب إليه، ومساعدته، والإتيان بطبيب، وبعد أن استفاق من ذهوله حدثه عن قصته، حيث مات أبوه في السادسة من عمره،

(١) انظر : ص ٥٣ فن القصة القصية د. رشاد رشدي. مرجع سابق.
(٢) ص ٤ العبرات.
(٣) راجع ص ٤ العبرات.
(٤) راجع ص ١١٦ المصدر السابق.
(٥) ص ٦ المصدر السابق.



وتركه فقيرًا فكفله عمه الذي كان يعيش مع زوجته وابنته التي كانت في مثل عمره؛ فتعلق بها، ومن خلال ذلك الحكْي تأخذ الأحداث في النمو، ويأتي الحدث الأكبر: " نزلت بعمي نازلة من المرض لم تنشب أن ذهبت به إلى جوار ربه "[(١)]، فتغيرت الأحوال، وأرسلت إليه زوجة عمه؛ ليترك البيت إلى سكن آخر حيث ذهبت إليه الخادمة بالرسالة " وقالت : قد أمرتني سيدتي أن أقول لك يا سيدي إنها قد عزمت على تزويج ابنتها في عهد قريب، وإنها ترى أن بقاءك بجانبها بعد موت أبيها، وبلوغكما هذه السن التي بلغتماها، ربما يريبها عند خطيبها... فهي تري أن تتحول إلى منزل آخر تختاره لنفسك من بين منازلها، على أن تقوم لك فيه بجميع شأنك، وكأنك لم تفارقها "[(٢)].

وهذا الحدث كان له الأثر القاتل على شخصية البطل لم يحزن على عمه كما حزن لهذا المطلب من زوجة عمه؛ حيث رأى أنها تريد إبعاده عن محبوبته، فانسل من المنزل من حيث لا يشعر به أحد... وهذه أحداث لا ترابط بينها، وليست منطقية، فالأحداث القصصية ينبغي أن يكون بينها ربط منطقي مقنع يأتي البناء الفني في القصة مركزًا، والأحداث بينها حبكة تنميها، وتنمو معها الشخصيات؛ فلا يوجد داع منطقي لحزن الشاب إذا طلبت منه زوجة عمه هذا المطلب.

لكن الأديب أراد ذلك ليجعل الشاب يعيش عثرة نفسية ومادية، تهوى به إلى إهلاك نفسه، دون أن يفعل شيئًا إيجابيًا تجاه نفسه، وتجاه ابنة عمه التي أحبها، وتعلق بها، ولو فعل ربما تغيرت حاله.

---

(١) ص ١٠ المصدر السابق.

(٢) راجع ص ١٠ المصدر السابق.

وفي قصة " الشهداء " [١] المترجمة تبدأ الأحداث في القصة عندما رأى الشاب أمه في حالة بائسة تبكي أخاها وهي ممسكة صورة له ولا تعرف مصيره: " دخل عليها ولدها يومًا في خلوتها، فرآها تبكي ورأى في يدها صورة، فتبينها، فإذا هي صورة خاله فألمّ بسريرة نفسها، وأمسك بين أهداب عينيه دمعة مترقرقة "[٢].

ومن هنا تبدأ الأحداث في النمو فبعدما كان الشاب قانعًا بما يتكسبه من مهنة الرسم، إذا به يتحرك ليشارك في معرض للرسم في واشنطون، طمعًا في جائزة كبرى، ينقذ بها نفسه وأمه من الشقاء، ويبحث عن خاله الغائب هناك.

ويأتي الحدث التالي مبنيًا على سابقه، وآخذًا بالشخصية معه في نموه: " وصل الفتى إلى معرض الرسم، فعرض رسمه هناك، وكان يمثل فيه موقف الوداع الذي جرى بينه وبين أمه على شاطئ البحر... وكان موقفًا محزنًا فأحسن تمثيله، فأعجب القوم بجماله، وأثر في نفوسهم منظره، فقضوا له بالجائزة التي كان يمني نفسه بها "[٣].

ويتحقق للفتى ما أراد فيرسل لأمه بعض المال، ويستبقى لنفسه بعضه ليساعده على البحث عن خاله، وهنا تتعرض القصة لما في نفوس قبائل الزنج تجاه المهاجرين إليها من أوربا المغتصبين أرضها، وكان الشاب فرنسيًا أبيض، ففي طريق بحثه يصل إلى جزيرة موحشة " فمر

(١) ص ١٩ العبرات.
(٢) ص ٢١ المصدر السابق.
(٣) ص ٢٢ المصدر السابق.



بقبيلة من قبائل الزنج... فما رأوه حتى هاجت في صدورهم أحقاد تلك العداوة اللونية التي لا يزال يضمرها هؤلاء القوم لكل شيء أبيض...، فداروا به دورة سقط من بعدها أسيرًا في أيديهم فاحتملوه حتى وصلوا به إلى ديارهم، فاحتبسوه هناك في نفق تحت الأرض كانوا يسمونه (سجن الانتقام) "[١].

وأرى أن خيال الأديب له دور كبير في رسم شخصيات قصته - مستعينًا بالحدث-، وليس كل الدور، فهي ليست من صنع الخيال، وإنما هي مخلوقة على حال ما، وقد تكون موجودة، وإن كانت تأخذ من الواقع، فليست شخصيات واقعية بالمعنى الحرفي، بل، هي شخصيات واقعية للخيال في تشكيلها دور بالإضافة، أو بالحذف، أو بالتجميع الذي يعني أن يأخذ من مجموعة شخصيات شخصية واحدة[٢].

والأديب إن استطاع رسم الحدث مرتبطا بالشخصية بهذه الطريقة كان لشخصياته التي أبدعها أثر فعال في نتاجه الفني، لكن إن هو أخفق في ذلك جاء عمله ممجوجًا، لا يحرك المتلقي، ولا يجذبه.

والمنفلوطي هنا كان موفقًا فيما يصبوا إليه كل مبدع من رسم شخصياته، كأنها موجودة في الواقع حقًا، وكان لأحداثه التي ساقها أثر فعال في وجدان المتلقي.

---

(١) راجع ص ٢٣ المصدر السابق.

(٢) انظر ص ٩٢ ـ ٩٥ القصة من خلال تجاربي الذاتية. عبد الحميد جودة السحار. دار مصر للطباعة د. ط. ت.

وفي قصة " الحجاب " [١] يبدأ الأديب بمقدمة طويلة عن أحد معارفه سافر إلى أوربا بضع سنين فتبدل حاله من الطهر والإيمان والمشاعر الطيبة إلى الإنحراف عن جادة الصواب، والأخذ بفكر الغرب، وجمود المشاعر، والاستهانة بالدين والوطن، وساق حوارًا طويلاً وخطبة تحوي الدعوة للإصلاح الاجتماعي.

ويبدأ المنفلوطي أحداث قصته بعد الخطبة والحوار مع صاحبه بالفراق بينهما بقوله: " وائذن لي أن أقول لك: إني لا أستطيع أن اختلف إلى بيتك بعد اليوم إبقاء عليك، وعلى نفسي... ثم انصرفت، وكان هذا فراق ما بيني وبينه "[٢]، وأرى أن الأسوب المباشر، وظهور الأديب، وإطلالته على المتلقي من خلال العمل القصصي يضرُّ به ولا يفيده.

وعاش صاحبه حياته التي يريدها متمثلاً بحياة الغرب: " وما هي إلا أيام قلائل حتى سمعت الناس يتحدثون أن فلانا هتك الستر في منزله بين نسائه ورجاله، وأن بيته أصبح مغشيا، لا تزال النعال خافقة ببابه "[٣].

وينمو الحدث، وتنمو معه الشخصية، وينبني على الأحداث السابقة حدث جديد لافت: " فإني لعائد إلى منزلي ليلة أمس، وقد مضى الشطر الأول من الليل إذ رأيته خارجًا من منزله، يمشي مشية الذاهل الحائر، وبجانبه جندي من جنود الشرطة، كأنما هو يحرسه، أو يقتاده "[٤].

---

(١) ص ٣٩ العبرات.
(٢) ص ٤٨ المصدر السابق.
(٣) ص ٤٨ المصدر السابق.
(٤) ص ٤٩ المصدر السابق.



والشخصية لها دور فعال في الحدث، فهي الفاعل له، والمتلبس به، ومن هنا ندرك أهمية الحبكة في القصة، حيث تربط بين الأحداث بعضها ببعضها الآخر من جهة، وبين الأحداث، والشخصيات من جهة أخرى، ولذا يقول أحد النقاد: " الحبكة هي المجرى الذي تندفع فيه الشخصيات والحوادث حتى تبلغ القصة نهايتها "(١).

وإذا كان القاص يختار أحداث قصته من حياته الخاصة، أو من حياة الآخرين، أو من أحداث التاريخ، أو الأساطير فإن دوره الحقيقي يكون في صياغتها صياغة فنية، ويعمل فيها خياله، لتتبلور أمام المتلقي، كأنه يعيش تلك الأحداث تجربة ذاتية له، وهنا يحدث الجذب وشد الانتباه.

وهكذا نرى الأحداث تتوالى، أولها سبب في الثاني، وثالثها مسبب عن الثاني، لتصل بنا إلى نهاية ربما يتوقعها المتلقي من مجريات الأحداث، وتتبعه للقصة التي بين يديه يتمثل الشخصيات والأحداث التي تبدو أمامه، والتي قد يكون يعانيها هو ذاته.

وإذا تفرسنا " الهاوية " (٢) وأردنا أن نضع أيدينا على أحداثها، وجدنا المنفلوطي ينتقي الأحداث، ويركبها مع بعضها بطريقة تتسم بالبساطة واليسر، وتتسم الأحداث نفسها بالتحريك العاطفي عند المتلقي، فعندما هجر الأديب القاهرة، وترك صديقه الذي عرفه منذ ثماني عشرة سنة: " ما زال الرجل بخير حتى اتصل بفلان رئيس الديوان،

---

(١) ص ٣٥ القصة من خلال تجاربي الذاتي. مرجع سابق، وانظر ص ١٨٥ الأدب وفنونه د. عز الدين إسماعيل دار الفكر العربي ط ٧ سنة ١٩٧٨م.
(٢) ص ٧١ العبرات.

وعلقت حباله بحباله، وأصبح من خاصته الـذين لا يفـارقون مجلسـه... فاستحال من ذلك اليوم أمره، وتنكرت صورة أخلاقه، وأصبح منقطعًا عن أهله وأولاده "[١].

وهذا الحدث نقطة تحول البطل من إنسان صالح في المجتمع يهتم بأهله، وأولاده، وأهل الصلاح، إلى واحد من خاصة رجل سكير منحرف، ومن هنا اتجه إلى السكر والعربدة، حتى كان يعقد مجالس الشرب في بيته، حيث زوجته وأولاده:

" ولا يزالون يشربون ويقصفون حتى يذهب بعقولهم الشراب ... حتى يلجوا على باب غرفتي... على مرأى من زوجي ومسمع؛ فلا يقول شيئًا، ولا يستنكر أمرًا "[٢].

ومع مثل هذه الحالة لا يبقى مال، ولا تبقى صحة، وتُهدَم البيوت، ويضيع الأهل والأولاد: " وما هي إلا أعوام قلائل حتى أنفق جميع ما كان في يده من المال، فكان لابد له أن يستدين؛ ففعل؛ فأثقله الدين؛ فرهن؛ فعجز عن الوفاء؛ فباع جميع ما يملك "[٣].

وأول ما تبني عليه القصة هو مجموعة الأحداث التي يسوقها الأديب، ويأخذ المتلقي خلالها ليتابعها، وليكتشف الترابط السببي بين تلك الأحداث معه، وليحُدث عنده أثرًا كليًا يستنبط من خلاله معنى قصده الأديب، وهذه الأحداث التي يأتي بها المبدع في قصته لا تكون

(١) راجع : ص ٧٣ المصدر السابق.
(٢) راجع : ص ٧٥ المصدر السابق.
(٣) ص ٧٥ المصدر السابق.



متفرقة متناثرة بلا رابط، بل يربط بينها جميعًا بسبب؛ فتكون في مجموعها مماثلة لبناء متماسك متكامل يعجب الناظرين، ويشدهم إليه، ولا يقبل من الأديب أن يكون بين أحداث قصته حدث يراه المتلقي خارجًا عن السياق الذي يخدم المعنى الذي أراده المبدع من عمله؛ فالقصة تتطلب الصدق في التعبير إلى الحد الذي تسيطر القصة فيه على متلقيها، سيطرة تستغرقه من الحدث الأول إلى اللحظة التى تتشابك فيها جميع الخيوط، ليأتي بعد ذلك الحل، أو ما يطلق عليه لحظة التنوير.

وهذه أحداث مبنية في بناء رصين اتكأ ثانيها على أولها، وكان ثانيها سببًا في ثالثها، وإن كانت منطقية الأحداث تحتاج إلى شيء من الإحكام.

ولكني أقول هذا شأن أعمال الرواد في كل ألوان الإبداع، فهذا الرجل كان يمكنه أن يبتعد عن جليس السوء (رئيس الديوان) إذا كان حريصا على نفسه، وهو له تاريخ طويل مع صحبة الخير، وله تاريخ طويل مع الطهر والنقاء، ولكنه ترك المقاومة، واستسلم لصحبة السوء، وانحرف من سيءٍ إلى أسوأ.

وتتنامى الأحداث، وتتدهور حال الرجل الذي كان صالحًا لتصل الأحداث إلى ذروتها: " دخل الرجل ثائرًا مهتاجًا، يطلب الشراب، ويفتش عن زوجته لتأتي له بما يريد؛ فدار بعينيه في أنحاء الغرفة حتى رآها ممددة على حصيرها، ورأى ابنتها تبكي بجانبها فظنها نائمة، فدنا منها ودفع الطفلة بعيدًا عنها، وأخذ يحركها تحريكًا شديدًا؛ فلم يشعر بحركة فرابه الأمر، وأحس برعدة تتمشى في أعضائه حتى أصابت قلبه، فبدأ صوابه يعود إليه شيئًا فشيئًا؛ فأكبَّ عليها يحدق في وجهها تحديقًا

شديدًا، ويزحف نحوها رويدًا رويدًا، حتى رأى شبح الموت يحدق إليه من عينيها الشاخصتين الجامدتين؛ فتراجع خوفًا وذعرًا ؛ فوطىء في تراجعه صدر ابنته، فأنّتْ أنّة مؤلمة لم تتحرك بعدها حركة واحدة؛ فصرخ صرخة شديدة، وقال: واشقا آه، واشقا آه، وخرج هائما على وجهه "[١].

وذروة الأحداث هنا تتمثل في موت زوجته، وابنته التي دهسها وهو متراجع في ذعر وخوف، بعدما فوجيء بموت الزوجة، وهنا يهيم على وجهه، ليفقد ما بقي من عقله، ويودع في مشفى للأمراض النفسية، بينما أولاده قد شردوا، ويمكن أن تعتبر هذه النهاية نهاية مفتوحة، يتخيل القراء من خلالها حاله بعد دخوله المشفي، وحال أولاده المشردين، وهل سيبحثون عن أبيهم الذي ضيعهم، أو لا يخطر على بالهم ؟ !!.

أمّا قصة " الجزاء " فالأحداث فيها تتوالى، وينبني بعضها على بعض، وتنمو القصة مع نمو الأحداث، والبداية في الأحداث، هي اللقاء الأول بين الفتاة القروية، والفتى الحضري: " ملأت جرتها ثم نهضت لتحملها، فتقدم إليها ذلك الواقف بجانبها، وقال لها: هل تأذنين لي يا سيدتي أن أعينك على حمل جرتك ؟ فالتفتت إليه، فإذا فتى حضري غريب حسن الصورة والبزة، لا تعرفه " [٢].

ويتحرك في داخل الفتاة شعور ما يجعلها تتردد على البحيرة فتلقى هناك السيد الحضري يحييها، أو يبتسم لها، أو يسائلها " حتى استطاع في يوم من الأيام أن يجلس بجانبها لحظة قصيرة في ظل صخرة منفردة،

---

(١) ص ٨٢ العبرات.

(٢) ص ٨٥ العبرات..



فكانت هذه اللحظة أول عهدها بحياتها القديمة، وأول عهدها بحياتها الجديدة "[١].

وينمو الحدث شيئا فشيئا، وتنمو معه الشخصيات، فالبداية، نظرة تلتها ابتسامة، ثم موعد فلقاء، وكان بعد ذلك هروب الفتاة مع هذا السيد، حيث أخبرت إحدى جاراتهم زوجة عمها، وأم حبيبها (جلبرت) بـ " أنها رأتها ليلة أمس بعد منتصف الليل راكبة وراءه على فرس أشهب، يعدو بها في طريق القصر الأحمر، ولابد أنها فرت معه "[٢].

وإذا تتبعنا الأحداث في نموها نجد الشخصيات مرتبطة معها، تتغير بتغيرها، وتتعانق معها، وبعد أن يبلغ الشاب أمه أن قلبه تجاه ابنة عمه صار صخرة عاتية إلا أنه لا يتمالك نفسه، فالحب الكبير الذي كان يملأ قلبه، والبارقة التي كانت تضيء ما بين جنبيه من الحب قد استحالت جذوة من نار مشتعلة "[٣].

وتنجب (سوزان) ابنتها من الفتى الحضري ويتغير هذا الفتى ويطلب منها مغادرة القصر في تنامى للأحداث وفي أسلوب حواري فني:" رأت وجهًا صامتًا متحجرًا لا تلمع فيه بارقة ابتسام... وكانت أول كلمة قالها لها: أباقية أنت في القصر حتى اليوم ؟ فازدادت دهشة وحيرة ولم تفهم ماذا يريد، وقالت له: وأين كنت تريد أن تراني يا سيدي ؟ قال: في هذا القصر، كما تركتك، ولكني أظن أنك لا تستطعين البقاء فيه بعد اليوم،

(١) ص ٨٧ المصدر السابق.

(٢) ص ٨٨ المصدر السابق.

(٣) ص ٨٩ المصدر السابق.

قالت: لماذا ؟ قال: لأن زوجتي قادمة إليه اليوم، وربما كانت لا تحب أن ترى فيه من يزعجه وجودها "[١].

وهذا الحدث يقفز بالأحداث، ويدفعها إلى النمو فهو يطرد الفتاة التي أنجب منها ابنة من حرام من قصره؛ لأن زوجته التي جاء بها من الحضر ربما لا تحب وجودها فيه، وتترك الفتاة القصر رافضة أخذ المال الذي تركه لها السيد لتستعين به في تدبير حالها، وهذه الأحداث تذكرني برواية الدكتورة عائشة عبد الرحمن " امرأة خاطئة " التي أجرت أحداثها في عزبة مصرية بين فتاة قروية تعمل عند سيد العزبة وكان يضاجعها، فلما يئس منها أخرجها من القصر، وزوجها لأحد الفقراء الذين له تأثير عليهم، ليستبدل بها أخرى، وأرى أن بنت الشاطيء تأثرت بالمنفلوطي، وذلك في كتاباتها القصصية، وقد أثبتت ذلك في كتابها "على الجسر"[٢].

والأحداث تكون أحداثًا فنية، سواء كانت واقعية حدثت بالفعل في حياة البشر، أم كانت من خيال المبدع، ليعالج موضوعا ما في عقله وذهنه والذي يهم في هذا الشأن، هو قدرة الأديب على سبك الأحداث، وصنع لحمة بينها ؛ ليُولدَ بين يديه عمل فني متكامل: " فالخبر الذي يصور حدثا ناميًا، ومتطورًا، وله وحدته، ومعناه الكلي، هو الخبر الذي يشكل خلية حية في بناء العمل القصصي، ولا يهم بعد ذلك أن يكون

(١) ص ٩٢ المصدر السابق.

(٢) انظر وقود الغضب د. عائشة عبد الرحمن. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩م، وانظر على الجسر بين الحياة والموت د. عائشة عبد الرحمن الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ د. ط.



هذا الخبر مقدودًا من لحم الواقع والحقيقة، أو مستلهما من سبحات الخيال، والتصور الحر "[١].

ومن خلال تتبعي للحدث في قصص المنفلوطي في العبرات يمكنني القول بأن المنفلوطي صاغ الأحداث في بعض القصص صياغة فنية عالية، سبق فيها أقرانه، ولم يستطع أن يوجد المنطقية بينها في بعضها الآخر، ولا لوم عليه، فأعمال الرواد لها في هذا الباب ما يؤخذ عليها بعد نضوج الفن، واكتماله، ولا يصح أن نطبق القواعد المتأخرة على نتاج المتقدمين ورواد الفن.

رابعًا : اللغة والأسلوب :

والمتصفح لعبرات المنفلوطي يغريه الأسلوب الرائع، والمفردات المختارة، والتراكيب المتمازجة، "فالإبداع هو الكشف عن عبقرية اللغة"[٢] كما يقول الأستاذ يحيى حقي، وقد التزم المنفلوطي اللغة الفصحى في سرده، وحوارته، ولم يلجأ إلى العامية، ولا اللغة الفصعامية؛ ليمثل لنا واقع شخصياته مما يؤكد تمكن الفصحى من توصيل المعنى، ومحاكاة الواقع، وقد قرأ الكثيرون عبرات المنفلوطي،

(١) ص ٢٣٠ أصول الأنواع الأدبية د. محمد أحمد العزب دار والي للنشر والتوزيع المنصورة، وانظر ص ٣١ وما بعدها من: فن القصة د. محمد يوسف نجم دار الثقافة. بيروت. لبنان.

(٢) ص ٢١٦ مجلة فصول عدد ٢ مجلد ٢ مارس ١٩٨٢ م، الفن الروائي من خلال تجاربهم، وانظر ص ١٥٦ علامات في النقد ج١٨ مجلد ٥ رجب ١٤١٦هـ ـ ديسمبر ١٩٩٥م الواقعية الأولى وتأصيل الإبداع القصصي. محمد أحمد فتوح، وانظر ص ٣٦ الديوان عباس محمود العقاد ط ١ الهيئة العامة للكتاب سنة ٢٠٠٠م.

وما شكَوْا علو مستوى اللغة عنده عن مستواهم، بل تأثروا، وتفاعلوا مع القصص، والشخصيات، وفهموا ما ترمي إليه.

وانظر إلى المفردات، والجمل والتعبير التي أوردها المنفلوطي في حديث الفتي في قصة " اليتيم ": " ولا أعلم هل كان ما كنت أضمره في نفسي لابنة عمي ودًا وإخاءً، أو حبًا وغرامًا، ولكنني أعلم أنه كان بلا أمل، ولا رجاء، فما قلت لها يومًا إني أحبها لأني كنت أضن بها وهي ابنة عمي، ورفيقة صباي أن أكون أول فاتح لهذا الجرح الأليم في قلبها... ولا فكرت يومًا أن أستشف من وراء نظراتها خبيئة نفسها، لأعلم أي المنزلتين أنزلها من قلبها، منزلة الأخ فأقنع منها بذلك، أم منزلة الحبيب؛ فأستعين بإرادتها على إرادة أبويها، بل كان حبي لها حب الراهب المتبتل صورة العذراء الماثلة بين يديه في صومعته، ولا يتطلع إليها "(١).

وبتأمل هذه الفقرة يتضح لنا أنها تنتمي لأديب رقيق الحس، يتخير من ألفاظه ما يحمل المعنى وظل المعنى دون عناء أو جهد، ولا يميل إلى التقعر والتحزلق، والإغراب، وهو أسلوب موحٍ ومشع، ينحو بالعاطفة، والوجدان منحى بعيدًا؛ فيجذب المتلقي إليه في حالة من النشوة، والمتعة، والمشاركة الوجدانية.

وفي قصة الشهداء المترجمة يصوغ المبدع البداية بقوله: " لم يبق لهما بعد موت زوجها وأبويها إلا ولد صغير يؤنسها، وأخ شقيق يحنو عليها، وصبابة من المال تترشف الرزق منها ترشفًا، مصانعة للدهر فيها،

(١) ص ٩ ـ ١٠ العبرات.



أما الصبابة فقد نصبت، وأما الأخ فقد ضمه الدهر ضمة ذهبت بماله، وجميع ما تملك يده؛ فهاجر هجرة بعيدة تعرف مصيره فيها، فأصبحت من بعده لا تملك مالًا، ولا عضدًا "[١].

هذه هي البداية وإن رسمت شخصية المرأة من أول وهلة، فالأداة فيها هي اللغة التي وظفها المبدع في هذا الوصف بمفرداتها، والأساليب التي صاغها، والجمل التي أبدعها في صورة انتخابية للكلمات التي تؤدي المعاني المقصودة لذاتها، فجملته الأولى بدأها بالنفي والاستثناء الذي يفيد القصر، وحسن التقسيم الذي تلاه - الولد الصغير، والأخ الشقيق، وصبابة من المال - يأتي بعده التفصيل لهذه الثلاثية التي لم يبق مع هذه المرأة سواها، وأداته " أما " فالمال نضب، والأخ الشقيق هاجر هجرة بعيدة، والولد الصغير ينضح به المعنى حيث لا حيلة له، وقد ملكت اللغة، والأسلوب المبدعَ؛ فغلبه الإطناب بزيادة بعض ما يمكن الاستغناء عنه مثل: المفعول المطلق " ترشفًا ـ ضمة ذهبت بماله ـ هجرة بعيدة " والمفعول لأجله " مصانعة للدهر "، وأسلوب القصة ينبغي أن يخلو من كل الزيادات التي يمكن الاستغناء عنها.

وعندما يفوز ابنها بالجائزة التي منى نفسه بها في أمريكا، يصور المنفلوطي هذه اللحظة بفلسفته، وأسلوبه الجذاب، وصياغاته البارعة " وكذلك يعبث الدهر بالإنسان ما يعبث، ويذيقه ما يذيقه من صنوف الشقاء، وألوان الآلام، حتى إذا علم أنه قد أوحشه وأرابه، وملأ قلبه غيظا وحنقا، أطلع له في تلك السماء المظلمة المدلهمة بارقة واحدة من بوارق الأمل الكاذب فاسترده بها إلى حظيرته، راضيًا مغتبطا، كما تقاد

(١) ص ١٩ العبرات.

السائمة البلهاء بأعواد الكلأ إلى مصرعها، فما أسعد الدهر بالإنسان، وما أشقى الإنسان به "[١].

وإن كانت هذه الفقرة مقحمة في نسيج القصة، ولا ضرورة لها، وإنما جاء بها المبدع، ليسيطر على وجدان القراء، فإنه استعرض فيها نظرة قاتمة مسيطرة على البلاد آنذاك، وأراد أن يمهد بها إلى حدث مشئوم قادم يعيش فيه الفتى الرسام، وإن لم يأت بعد.

ولو نظرنا إلى أسلوب المنفلوطي في هذه الفقرة لمسنا فيه الصفاء في الصياغة، وقوة التأثير يقول عنه الأستاذ عباس خضر: " وقد سلك مسلكاً جديدًا في الترجمة، أوغل في التمصير أكثر من سابقيه، ولكنه ارتقى بالأسلوب، وعني بالتوقيع الموسيقي في ألفاظه وعباراته، وكان أسلوبه مسترسلا سهلاً، صادف رواجًا كبيرًا في عصره"[٢].

وإن كان الأستاذ عباس خضر يقول عن أسلوب المنفلوطي - صادف رواجا كبيرًا في عصره – فإنني أقول: ما حدث ليس مصادفة، وإنما المبدع يفرض نفسه بجمال إبداعه، وأسلوبه المستساغ، بل الجذاب، فيقبل على قراءته الناس، ولو كان المنفلوطي – في كتاباته- لا يمتلك الأدوات الفنية للكتابة القصصية لما راجَ أدبه، ولما علا صيته، ولم يكن لنا أن نسمع بتلك الكتابات التي سحرت المتلقين بجمال التعبير، وروعة التصوير.

---

(١) ص ٢٢ العبرات.
(٢) ص ٢٥ ـ ٢٦ القصة القصيرة منذ نشأها حتى سنة ١٩٣٠ عباس خضر مصدر سابق.



وانظر إليه يحدثنا عن المفارقة التي حدثت مع " فـلان " صـاحبه في قصة الحجاب" ذهب فلان إلى أوربا، وما ننكر من أمره شيئًا، فلبث فيها بضع سنين، ثم عاد، وما بقي مما كنا نعرفه منه شيء "[١].

إنه تعبير ليس فيه كـثير كـلام، ولكنـه حـوى الكـثير، والكـثير مـن المعاني، وحافظ على قداسة الصداقة؛ فلم يعرِّف صاحبه، ولم يفضـحه بين الناس، والإتيـان بالأضـداد يوضـح المعـنى، وإن كانـت الأضـداد معنوية، إلا أن المنفلوطي بإمكاناته اللغويـة وامتلاكـه زمـام الأسـلوب، رسم لصاحبه صورة يراها كل من قرأ هذا الـنص في بدايـة قصـته، وقـد قالوا في تعريف الأسلوب: "هو الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني أو نظم الكلام، وتأليفه لأداء الأفكار، وعرض الخيـال... وهـو العبـارة اللفظية المنسقة لأداء المعاني "[٢].

وإليك فقرة أخرى مـن بدايـة قصـة " الضـحية " المترجمـة وتفـرس مفرداتها، وتراكيبها، وكيف أولاها المنفلوطي من إمكاناته حتى أحالهـا لغة ناطقة معبرة: " نشأت (مرجريت جوتيه) فقيرة، لا تملك ما لا تشتري به زوجًا، ولا تجد من الرجال من يبيعها نفسه بلا مال، أو يحسـن إليهـا بما يسد خلتها، ويستر عورتها، وكان لابد لها أن تعيش؛ فلم تجـد بـين يديها سوى عرضها، فذهبت به إلى سوق الشقاء، والآلام؛ فساومها فيه بعض المساومين بأبخس الأثمان؛ فباعته إياه كارهة مرغمة، وكانت مـن الخاسرين "[٣].

(١) ص ٣٩ العبرات.
(٢) راجع : ص ٤٤ الأسلوب أ. أحمد الشايب ط ٧ دار نهضة مصر ١٩٧٦م.
(٣) ص ١١٩ العبرات.

ولو اعتبرنا هذه الفقرة تقديمًا للشخصية، فإنه وصف معنـوي؛ فقـد وصفها من داخلها ليوحي هذا الصف بما يعتمل في نفسها من حقد على المجتمع، أو الرجال بوجه خاص الذين ضيعوها من وجهـة نظرهـا، أو ساوموها على عرضها، فلم تجد بدًا من بيعه بأبخس الأثمان، وقـد أدى الأسلوب دورًا إبداعيًا في رسم هذه الشخصية، ولئن كان " التعـبير عـن التجربة الشعورية لا يقصد به مجرد التعبير، بل رسم صورة لفظية موحية مثيرة للانفعال الوجداني إلى نفوس الآخرين" [(١)]؛ فقد صاغه المنفلـوطي في عبراته صياغة ممتعه حملت التجربة الوجدانية عند المبـدع، ونقلتـها إلى القراء، فالمنفلوطي:" افتتنـت بـه جمـاهير القـراء لسـهولة أسـلوبه، وعذوبة كلماته، وإيغاله في العاطفية، ودعوتـه إلى الفضـيلة، والرحمـة والحب والخير... وبرغم كل شيء صار أسلوب المنفلوطي المسترسل في الوصف بطريقته التوقيعية وألفاظه المختارة، وتركيبه المنسق مع البعد عن السجع، صار هذا الأسلوب إمامًا، وأستاذًا لكُتاب الجيل "[(٢)].

وتحت عباءة اللغة والأسلوب يدخل:

الحوار :

وهو أداة إبداعية لها دور فعال في الأعمال الروائية والمسرحية، وإن كانت القصة لا تستغنى عنه، فقد أفاد منه االمنفلوطي، ووظفه في كتابه " العبرات " في مواقف عدة بصور متباينة.

---

(١) ص ١٠ النقد الأدبي أصوله ومناهجه أ / سيد قطب دار الشروق ط ٦ سنة ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، وانظر ص٢٠ بلاغة الخطاب وعلم النص د. صلاح فضل. عالم المعرفة. الكويت سنة ١٩٩٢م.

(٢) ص ٦٨ القصة القصيرة في مصر. أ / عباس خضر. مرجع سابق.



ويمكن أن ندرك الحوار الداخلي في حديث الأديب ذاته في قصة "اليتيم" أولى قصص العبرات: " وقلت: لابد أن يكون وراء هذا المنظر الضارع الشاحب نفس قريحة مهذبة، تذوب بين أضلاعه ذوبًا "[(١)].

وهذا الحوار الداخلي الذي حدَّث السارد به نفسه يساعد في رسم صورة اليتيم بالشكل الذي يستجلب به الأديب عطف المتلقي، ويؤهل "اليتيم" للأحداث القادمة، وفي موقف آخر يقول : " وقلت إن الفتى مريض، ولا يوجد بجانبه من يقوم بشأنه، وقد بلغ الأمر مبلَغ الجد؛ فلابد لي من المصير إليه "[(٢)].

وهذا الحوار الداخلي إنما يشي بتدهور حالة اليتيم الصحية، مما يتيح له أن يقترب منه أكثر، ويجعل الشاب يفضي إليه بقصته، كما يشي بصورته للمتلقي؛ فيرى النحافة مجسَّمة أمامه، والضعف والوهن ماثلين أمام ناظريه.

ومن الحوارات التي جاء بها في هذه القصة؛ لإثراء العمل الفني، ونمو الأحداث:

" قلت: هل تأذن لي يا سيدي أن أسألك من أنت؟ وهل أنت غريب؟ وهل تشكو داء ظاهرًا، أو همًا باطنًا؟

قال: أشكوهما معًا.

قلت: فهل لك أن تحدثني بشأنك ..؟

---

(١) ص ٥ العبرات.

(٢) ص ٦ المصدر السابق.

قال: هل تعدني بكتمان أمري؟.

قلت: نعم.

قال: قد وثقت بوعدك ... "[(١)].

وهذا الحوار يأخذنا إلى داخل القصة، ويستنطق البطل؛ ليعلم السارد بما في نفسه، وما يعتمل داخلها، والمعاناة التي يعيشها.

وها هو ذا حوار اليتيم مع الخادم:

فقلت: فلانة ؟

قالت: نعم.

قلت: ماذا تريدين؟

قالت: لي إليك كلمة، فائذن لي بها...

قالت: أما تعلم شيئًا من أخبار بيت عمك؟

قلت: لا، فما أخباره ؟

فمدت يدها إلى ردائها، وأخرجت كتابًا مغلقًا...

وقالت: أين تريد يا سيدي؟

قلت: إنها مريضة... فصمتت لحظة.

---

(١) راجع ص ٧ العبرات.



ثم قالت بصوت خافت : لا تفعل يا سيدي؛ فقد سبقك القضاء إليها"(١).

وهذا الحوار يربط الأحداث، ويكشف ما كان مستورًا عن الفتى فيما مضى من سنين عن ابنة عمه، وحقيقة شعورها نحوه، وما لاقته بعد تركه دار عمه، وبعده عن محبوبته.

وفي قصة " الشهداء " يؤدي الحوار دورًا هامًا، حيث نرى (المنولوج) الداخلي، أو الحوار النفسي لدى الشاب الرسام المأسور عند القبيلة الزنجية في أمريكا، مستغربًا من فعل الفتاة البيضاء معه: " قال في نفسه: ما لهذه الفتاة بدٌّ من شأنٍ، وورد عليه من أمرها ما ذهب بلبه، وملك عليه نفسه "(٢).

ويأتي الحوار بين الفتاة والشاب؛ ليكشف له ضالته، وهي خاله الغائب:

" قال لها: هل تعرفين وطن أبيك، وأسرته؟

قالت: نعم، وسمتهما له، فاستطير فرحًا وسرورًا،

وقال: أحمدك اللهم؛ فقد وجدت ضالتي؛ فعجبت لأمره؟

وقالت: وأي ضالة تريد؟ (٣)

---

(١) ص ١٣ - ١٤ العبرات.
(٢) ص ٢٨ المصدر السابق.
(٣) ص ٣٢ المصدر السابق.

والقارئ لهذا الحوار يدرك مؤداه، ودوره في العمل؛ حيث عرف الشاب من خلاله أنها ابنة خاله الغائب.

ومن الحوارات التي جاء بها المنفلوطي في قصة " الهاوية " ما جرى بين الأديب نفسه، وصديقه الذي انجرف إلى طريق الشيطان، بعدما افترق عنه، وقد صادقه ثمانية عشر عامًا قبل ذلك: " ثم مددت يدي إليه؛ فراعنى أنه لم يحرك يده؛ فقلت له: مالك لا تمد يدك إليّ؟

فاستعبر باكيا، وقال: لأني لا أحب أن أكون كاذبًا، ولا حانثًا.

قلت: وما يمنعك من الوفاء؟

قال: يمنعني منه أنني رجل شقي، لا حظ لي في سعادة السعداء.

قلت: قد استطعت أن تكون شقيا، فلِمَ لا تستطيع أن تكون سعيدَا؟.

قال: لأن السعادة سماء، والشقاء أرض والنزول إلى الأرض أسهل من الصعود إلى السماء.

قلت: ليس بينك وبين النزوع إلا عزمة صادقة تعزمها، فإذا أنت من الناجين.

قال: إن العزيمة أثر من آثار الإرادة، وقد أصبحت رجلا مغلوبا على أمري، لا إرادة لي ولا اختيار[١].

ومن خلال هذا الحوار ذي المفردات العذبة، والأسلوب السهل، يمكن للقراء أن يتخيلوا صاحب المنفلوطي الذي يحدثه، ويرسموا له

(١) ص ٧٩ العبرات.



صورة واضحة المعالم، فقد تملك اليأس من نفسه، وضعفت شخصيته أمام طريق الضياع، والهلاك، ونراه سلبيًا لا يأخذ خطوة للأمام للنجاة بنفسه مما هو فيه، حتى ولو مد له صديقه القديم يده، ويسوق لنا فلسفة خائبة لا يرجى من ورائها إلا خيبة الأمل، والغوص في لجة الضياع.

ويسوق الأديب حوارًا في قصة الجزاء يرسم حالة (جلبرت) عندما افتقد (سوزان)، ولم يجدها بعد عناء بحثه؛ فتخبره أمه بخبرها، وتنمو الأحداث في نطاق هذا الحوار تخاطبه أمه:

قالت له: أين كنت يا (جلبرت)؟

قال: فتشت عن سوزان في كل مكان فلم أجدها.

... وقالت: خير لك يا ولدي ألا تنتظرها بعد اليوم.

فانتفض انتفاضة شديدة، وقال: لماذا ؟ "

قالت: قد دخلت عليّ الساعة جارتنا فلانة؛ فحدثتني أنها ....[(١)]

وهكذا، بالحوار الذي دار بين (جلبرت) وأمه، تشابكت الأحداث، وترابطت وعرف الشاب أين فتاته "، وماذا فعلت ؟ وإلى من ذهبت ؟، وفي حوار آخر من القصة نفسها ينمو حدث آخر، وتتطور الشخصيات، إنه حوار الفتاة مع الشاب الحضري الذي فرت معه إلى قصره، وعاشت معه دون زواج، حتى انجبت منه ابنة من الرذيلة، لكنه يريد طردها من قصره، " كانت أول كلمة قالها لها:

أباقية أنت في القصر حتى اليوم؟

(١) ص ٨٨ العبرات.

قالت له: وأين كنت تريد أن تراني يا سيدي؟

قال: في هذا القصر كما تركتك، ولكني أظن أنك لا تستطعين البقاء فيه بعد اليوم.

قالت: لماذا؟

قال: لأن زوجتي قادمة إليه اليوم، وربما كانت لا تحب أن ترى فيه من يزعجه وجودها.

قالت له: وما ترى في ابنتك هذه؟

قال: ليست لي ابنة أيتها السيدة، ولا ولد؛ لأني لم أتزوج إلا منذ ثلاثة أيام، فخذي ابنتك، وعيشي معها حيث تشائين"[(١)]

وهذا الحوار يرتقي بالقصة إلى ما يصبو إليه القارىء؛ فالحدث، والشخصية ينموان من خلاله، وصياغته محكمة بصورة فنية؛ فهو يخدم القصة، ويقوِّي الحبكة بين الأحداث.

وأفاد المنفلوطي من الحوار في قصة " الضحية "، ومثاله حوار (مارجريت) مع صديقها (أرمان):

" قال لها: لعلك سهرت بالأمس كثيرًا يا سيدتي، أو بكيت، فإني أرى في عينيك أثر واحد منهما.

قالت: هما معا يا (أرمان).

(١) ص ٩٢ ـ ٩٣ العبرات.



قال: وهل حدث شيء جديد؟

قالت: اجلس بجانبي قليلًا أيها الصديق أحدثك حديثًا قصيرًا ربما كان آخر حديث بيني وبينك "[١].

وهذا الحوار يشي بحالتها الصحية التي وصلت إليها، بدت في عينيها آثارها، وحالتها النفسية أيضًا، مساهمًا مع عملية السرد، في رسم صورة الشخصيات، ونمو الأحداث.

وأخيرًا، يمكنني القول بأن المنفلوطي قاص من طراز المبدعين الأوائل، وهو رائد من أعظم رواد هذا الفن، وبهذا أشارت قصصه التي ضمها كتابه " العبرات "، وقد وظف العناصر الفنية توظيفًا راقيًا، رغم ما اعترى بعض قصصه من فتور، وضعف، كما وظف الحوار الداخلي توظيفًا جماليًّا، ويعتبر سابقًا عصره في ذلك.



(١) ص ١٣١ المصدر السابق.

المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

١- العبرات - مصطفى لطفي المنفلوطي - هيئة الكتاب سنة ١٩٩٥م.

ثانيا : المراجع :

١- الأدب وفنونه د. عز الدين إسماعيل. دار الفكر العربي ط ٧ سنة ١٩٧٨م.

٢- الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية في أصول الأساليب الأدبية. أ. أحمد الشايب ط ٧ دار نهضة مصر ١٩٧٦م.

٣- أصول الأنواع الأدبية د. محمد أحمد العزب دار والي للنشر والتوزيع المنصورة د. ط. ت.

٤- أصول النقد الأدبي. أ / أحمد الشايب. مكتبة النهضة المصرية. ط ٧ سنة ١٩٦٤م.

٥- بلاغة الخطاب وعلم النص د. صلاح فضل. عالم المعرفة. الكويت سنة ١٩٩٢م.



٦- التجربة الشعرية عند المتلقي. د. عبد اللاه محمود حسن محروس. مطبعة الأمانة ط ١ سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٧- تطور الأدب الحديث في مصر د. أحمد هيكل. دار المعارف مصر سنة ١٩٥٦م.

٨- دراسات في القصة العربية الحديثة د. محمد زغلول سلام ط ١ منشأة المعارف الإسكندرية سنة ١٩٧٣م.

٩- الديوان عباس محمود العقاد ط ١ الهيئة العامة للكتاب سنة ٢٠٠٠م. (القراءة للجميع).

١٠- على الجسر بين الحياة والموت د. عائشة عبد الرحمن الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ د. ط.

١١- فن القصة د. محمد يوسف نجم. دار الثقافة. بيروت. لبنان ط ٥ د. ت.

١٢- فن القصة القصيرة د. رشاد رشدي مكتبة الأنجلو المصرية د.ط.ت.

١٣- فن القصة القصيرة في أدبنا الحديث د. عبد الحميد يونس دار المعرفة القاهرة ط ١ سنة ١٩٧٣م.

١٤- القصة القصيرة في مصر منذ نشأتها حتى سنة ١٩٣٠م. عباس خضر. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

١٥- القصة من خلال تجاربي الذاتية. عبد الحميد جودة السحار. دار مصر للطباعة د. ط. ت.

١٦- قصيدة مخطوطة للباحث بعنوان: " أحذر عينيك من عين شاعر".

١٧- نحو رواية جديدة. آلان روب جربيه ترجمة مصطفى إبراهيم مصطفى دار المعارف مصر. ط ١ سنة ١٩٧٦م.

١٨- النقد الأدبي أصوله ومناهجه أ / سيد قطب دار الشروق ط ٦ سنة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٩- وقود الغضب د. عائشة عبد الرحمن. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩م.

ثالثا : الدوريات :

١- علامات في النقد جزء١٨ مجلد ٥ رجب ١٤١٦هـ - ديسمبر ١٩٩٥م الواقعية الأولى وتأصيل الإبداع القصصي محمد أحمد فتوح. إصدار النادي الأدبي بجدة. المملكة العربية السعودية.



٢- مجلة فصول عدد ٢ مجلد ٢ يناير. فبراير. مارس ١٩٨٢ م، الفن الروائي من خلال تجاربهم.

العربية

تاريخ عريق .. ومآثر سامية

أ. د. فوزي حسن الشّايب

الأردن – جامعة اليرموك



السيرة العلمية:

أ.د. فوزي حسن الشّايب

- ماجستير في النّحو والصّرّف من جامعة عين شمس عام ١٩٧٨م (الإلحاق في اللّغة العربية).
- دكتوراه في النّحو والصّرّف من جامعة عين شمس عام ١٩٨٣م (أثر القوانين الصّوتية في بناء الكلمة العربية).
- يعمل حاليّا أستاذًا في جامعة اليرموك بالأردن، قسم اللّغة العربية.

حقيقة اللغة وأهمّيّتها

اللغة ظاهرة نفسية اجتماعية ثقافية مكتسبة. وهي ـ في الواقع ـ أخطر الظواهر الاجتماعية على الإطلاق، وأبعدها أثرًا، إذ هي أقوى الأسلحة النفسية للسيطرة على الأفكار والأشياء[١]، ولا أدلّ على ذلك من إرجاع المعجمي واللغوي الألماني ليو فايسجربر: Leo Weisgerber - أكبر مروّج لأفكار هامبولدت - الحرب العالمية الثانية إلى أسباب لغوية بحتة، قوامها تفاقم الإحساس اللغوي الألماني للأقليات الألمانية في البلدان المجاورة. ومن ثم زيّنت المطالب السياسية المتخذة صورة ردود أفعال بزخرف لغوي دفاعًا عن الهوية، وقد ترتب على الدفاع اللغوي آخر الأمر دفاع سياسي قوي[٢] فتصادم عسكري. وفي الانتخابات النيابية، كما في المحاكم غالبًا ما يكون الجانب المنتصر هو أقدر الطرفين أو الأطراف على استخدام اللغة.

ولكون اللغة عنصرًا أساسيًّا من عناصر الحضارة، فقد تمكّن الإنسان بوساطتها من تكوين المجتمعات، وبناء الحضارات، ومن هنا، كانت اللغة والمجتمع والحضارة ظواهر متداخلة، متكاملة، وكل تقدم اجتماعي أو حضاري تم إحرازه، وكتب له النجاح ما كان له أن يتم إلا بفضل وجود اللغة، التي اختصّ بها الإنسان دون سواه من المخلوقات، بحيث كانت مقوّمًا أساسيًا من مقوماته، وحدًّا فاصلاً بينه وبين سائر المخلوقات، ومن هنا حُدّ الإنسان بأنه حيوان ناطق.

(١) مناهج البحث في اللغة ص٢.
(٢) تاريخ علم اللغة الحديث ص٢٤٥.



واللغـة بحسـب قـول أبي اللسـانيات الوصـفية الحديثـة سوسـير (١٨٥٧ـ١٩١٣م): «نظام من العلامات التي تعبّر عن أفكار»[١]. وقد عـدّ تعريفه هذا أهم ابتكار وأعظم ثورة لسانية قام بها[٢].

وتحديد اللغة على هذا النحو يتضمن شيئين: حقيقة اللغة ووظيفتـها في آن واحد؛ فهي في حقيقتها نظام، وهي من حيث الوظيفة أداة اتصال. ومع أن هذا التحديد للغة هو التحديد الأكثر شهرة، والأكثـر قبـولاً بـين صفوف اللسانيين، فإنه يعد - من وجهة نظرنا - تعريفًا ناقصًا؛ إذ يغفـل أمورًا مهمة، ويختزل كثيرًا من مقومات اللغة، إذ اللغة أكثـر مـن كونهـا نظامًا، وأكثر من كونها أداة اتصال، إنها في الحقيقة جـزء لا يتجـزأ مـن كياننا النفسي والروحي، وبعبارة أخرى هي جزء من جبلّة الإنسان، إنهـا الفكر ذاته على ما يرى بعضهم، أو هي الطريق التي يسلكها الفكر لإدراك الوجود، فلغة المجتمع وفكر أعضائه يؤثر كل منـهما في الآخـر، إنّهمـا مترابطان ترابط وجهي العملـة النقديـة، وهـذا مـا عبّـر عنـه الفيلسـوف الألماني هامان Hamman عام ١٧٦٠م بقوله: «إن العقـل الـذي يفكّـر على نفقته الخاصة يتدخل دومًا باللّغة»[٣].

وهذا ما نفس ما قصده عميد الأدب العـربي، طـه حسـين (١٨٨٩-١٩٧٣م) بقوله: «نحن نشعر بوجودنا، وبحاجاتنا المختلفـة، وعواطفنـا المتباينة، وميولنا المتناقضة حين نفكّر. ومعنى ذلك أنّنا لا نفهم أنفسنا إلّا بالتفكير. ونحن لا نفكّر في الهواء، ولا نستطيع أنْ نفرض الأشـياء علـى

(١) دروس في الألسنية العامة ص٣٧.
(٢) محاضرات في اللسانيات ص١٧.
(٣) المدارس اللسانية ص٨٧.

أنفسنا إلّا مصوّرة في هذه الألفاظ، التي نقدّرها ونديرها في رءوسنا، ونُظهر منها للناس ما نريد، ونحتفظ منها لأنفسنا بما نريد. فنحن نفكّر باللغة، ونحن لا نغلو إذا قلنا: إنّها ليست أداة للتعامل، والتعاون الاجتماعيّين فحسبُ، وإنّما هي أداة للتفكير والحسّ والشعور»[(١)].

وقد غالى بعضهم فذهب إلى أنّ اللغة هي الرحم التي يولد فيها الفكر، فالفكر - إذن - هبة اللغة، فلا فكر سابقًا لوجودها. وبحسب ما تنادي به فرضية بنيامين لي وورف:Whorf hypothesis، ليست اللغة مجرّد وسيلة في عملية التواصل، وإنّما هي وعاء للفكر، تحدّد للمرء كيفيّة رؤيته للعالم. وعليه، فاللغة هي التي تشكّل صورتنا عن العالم، وهي التي تصوغها، وتقدم لنا من ثمّة رؤية لغوية للعالم[(٢)]. إنّ لغة المرء - على حدّ قول الفيلسوف الألماني هيدجر - هي مسكنه وموطنه ومستقرّه، إنّها حدود عالمه الحميم، ومعالمه وتضاريسه. ومن نوافذها، وبعيونها يرى بقيّة أرجاء الكون الفسيح[(٣)].

وعليه؛ فكلّ معرفة تكون مشروطة باللغة، فنحن ننقل بنية لغتنا على الواقع، ونتصور الواقع، ونتعرّفه، من خلال شبكة لغتنا الأمّ.

وهكذا، تؤثّر طبيعة لغتنا في معرفتنا للعالم، فمجال الفهم عند الإنسان تشكّله لغته، وكلّ العالم الذهني والنفسي للمرء، يرتبط ارتباطًا

---

(١) التمكين للغة العربيّة: آفاق وحلول (مجلة مجمع اللغة العربيّة بدمشق، المجلد ٨٣، الجزء ٢) ص٣٠١.

(٢) تاريخ علم اللغة الحديث ص٢٥٣. وانظر المدارس اللسانية ص٧٩.

(٣) التمكين للغة العربيّة، ص ٣٠٢.



وثيقًا جدًا ببنية لغته [١]، وعلى هذا - وبحسب فرضيّة وورف - يكون كلّ من الفكر والفرد نفسه عبدًا للغة [٢]. ونحن وإنْ كنّا لا نتّفق مع وورف: Benjamin Lee Whorf (١٨٩٧- ١٩٤١م)، في كوننا عبيدًا، أو سجناء خطة التصنيف الموجودة في لغتنا، فإنّ ما ذهب إليه في فرضيته يعكس أهمية اللغة ويبرز دورها العظيم في حياة الأفراد والمجتمعات.

معيار المفاضلة بين اللغات

إنّ اختلاف اللغات، وتعدّدها، آية من آيات الله ، وحكمة من حكمه البالغة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ [الروم: ٢٢].

وإذا كانت حقيقة اللغة، أيّ لغة، عبارة عن نظامٌ من العلامات، وأنّها أداة اتصال، كان من غير الممكن بأيّ حال من الأحوال تفضيل لغة على أخرى، فكلّ اللغات من حيث بناؤها ووظائفها يصدق عليها أنّها انظمة، حتى تلك التي نسمّيها بالعاميات؛ أي اللغات الدارجة، فهي الأخرى أنظمة، وأدوات اتصال أيضًا. ثم إنّ اللغات بعد ذلك تواضع واصطلاح، قال ابن خلدون (٨٠٨هـ): «واعلم أنّ اللغات كلّها ملكات شبيهة بالصناعة؛ إذْ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها» [٣].

(١) اتجاهات البحث اللساني ص٣٠١.
(٢) تاريخ علم اللغة الحديث، ص٢٥٢، ٢٥٣.
(٣) مقدمة ابن خلدون، ص٤٣١.

وما دام الأمر في اللغات تواضعًا واصطلاحًا، فإنّ لكلّ مجتمع الحريّة المطلقة في اختيار الزي الصوتي الذي يناسبه، ليخلعه على النظام اللغوي، ليظهر في صورة هذه اللغة أو تلك، أو هذه اللهجة أو تلك، ولا تجوز المفاضلة بين هذه الأزياء؛ لأنّها - في النهاية - مسألة رغبات وأذواق.

وعليه؛ فلا يجوز من ناحية علمية أنْ نفضِّل لغة على أخرى[١]، مثلما لا يجوز تفضيل إنسان - من حيث هو بنية مكونة من لحم ودم وعظم - على آخر ؛ نظرًا إلى أنّ المادة واحدة في البشر جميعًا، وكذلك الأجهزة الإنسانية واحدة هي الأخرى، وإذنْ فلا تفاضل، ولا تميُّز من هذه الناحية.

وقد نبّه على ذلك ابن حزم (٤٥٦هـ) قديمًا، فقال: «وقد توهّم قوم في لغتهم أنّها أفضل اللغات، وهذا لا معنى له؛ لأنّ وجوه الفضل معروفة، وإنّما هي بعمل أو اختصاص، ولا عمل للغّة، ولا جاء نصّ في تفضيل لغة على لغة ... وقد غلط في ذلك جالينوس، فقال: إنّ لغة اليونانيّين أفضل اللغات؛ لأنّ سائر اللغات إنّما هي تشبه إمّا نباح الكلاب، أو نقيق الضفادع»[٢].

وقد أنكر ابن حزم على جالينوس قوله هذا أشدّ الإنكار، وردّ عليه قائلاً: «وهذا جهل شديد؛ لأنّ كلّ سامع لغة ليست لغته، ولا يفهمها، عنده في النصاب الّذي ذكر جالينوس ولا فرق. وقد قال قوم: العربيّة

(١) دراسات في فقه اللغة، ص٣٦٢.
(٢) الإحكام في أصول الأحكام ١/٣٣-٣٤.



أفضل اللغات؛ لأنّه بها نزل كلام الله تعالى. . . وهذا لا معنى له؛ لأنّ الله عزّ وجلّ قد أخبرنا أنّه لم يُرسل رسولاً إلاّ بلسان قومه»[١].

ولكنْ إذا لم يكن ممكنًا تفضيل إنسان على آخر من حيث البنية، والجوهر فإنّه يمكن التمييز بين الأفراد بحسب الطريقة التي توظّف فيها هذه البنية في الحياة، أي بالسيرة والسلوك، وبسموّ الغايات والأهداف التي يسعى الأفراد إلى تحقيقها. وباختصار، برسالة الفرد في هذه الحياة، وبالطريقة التي يسلكها لتحقيق هذه الرسالة.

واللغات من هذه الناحية كالأفراد، وعليه؛ فإنّه يمكننا الموازنة أيضًا بين اللغات من حيث رسالتها في الحياة، ومن حيث أصالتها وقدرتها على البقاء، فحقيقة اللغة، أيّ لغة لا تكمن– كما قال فايسجربر- في وجودها، بل في تأثيرها، وإظهار طاقتها، وإنجازها، ذلك أنّ اللغة ليست عملاً ثابتًا، بلا طاقة حيويّة، وليست أداءً، بل إنجازًا[٢].

مكانة العربيّة بين اللغات الحيّة؛ الأسباب والمسوّغات

بناءً على الأساسين اللّذين ذكرناهما آنفًا، ألا وهما متّصليّة اللغة العربيّة، وعتقها وأصالتها من جهة، وإسهاماتها الإيجابيّة في خدمة الإنسانيّة من الجهة الأخرى، يمكننا - في ضوئهما- أنْ نقرّر- مطمئنّين- بأنّ العربية هي عميدة لغات العالم الحيّة بلا منازع، بانين حكمنا هذا على جملة من الأسباب والمسوّغات نُجملها في الآتي :

(١) المرجع السابق ١/ ٣٤.
(٢) القضايا الأساسيّة في علم اللغة، ص ٧٥.

أولاً : المزايا اللغويّة

تاريخيًا، تعد العربية لغة فتيّة نسبيًا، فهي أحدث اللغات السامية ظهورًا على مسرح التاريخ الحضاري، فقد "جاء العرب إلى أرض الحضارة في آخر موجة من موجات هجرة الشعوب السامية، وورثت لغتهم تقريبًا كلّ اللغات السامية الأخرى"(١).

وفي الواقع، تعدّ العربيّة بدعًا من اللغات؛ ذلك أنّ التاريخ لم يسايرها إلاّ وهي في كمال نضجها، وعنفوان شبابها، وقمة عطائها، فنحن لا نعرف - في الواقع - شيئًا عن تاريخ هذه اللغة في مراحلها الأولى. والنقوش المكتشفة في مناطق متفرقة من الجزيرة العربية، قليلة الغناء؛ لا تنقع غلّة، ولا تشفي غليلاً.

وليس من المعقول أبدًا أنْ تكون العربية قد بدأت بالشعر الجاهلي، فلغة هذه النصوص تقدم للباحث نماذج عالية من العربية، "وهذه النماذج لا يمكن أنْ تكون بأيّ حال من الأحوال من البدايات في اللغة، فلابدّ أنْ تكون العربية قد قطعت قبل هذه النصوص مراحل أخرى من تاريخها، لم تكن فيها على هذا المستوى العالي، من حيث قدرة اللغة على أداء المعاني، ومن توافر المادة اللغوية للتعبير عن النواحي المادية، وانصرافها إلى المعنويات من الأمور توسعًا ومجازًا"(٢).

وعلى أية حال؛ فإنّ اللّغة العربية - وعلى الرغم من فتوّتها وحداثة عهدها، تبدو ممثلاً صادقًا وأمينًا للغة السامية الأصلية، ويعزو العلماء

(١) فقه اللغات السامية ص٤٢.

(٢) فقه اللغة المقارن، ص٣١.



ذلك إلى انعزال موطنها، الأمر الذي حماها إلى حد بعيد من التلوّث بغير اللغات السامية. وانعزالية موطنها هذه قد حمتها من التعـرض للـتغيرات العنيفة التي عصفت ببعض اللغات السامية كالآشورية والعبرية(١)، فكانت بذلك أكثر احتفاظًا من غيرها بمعالم السامية الأم.

قال وليم رايت W. Wright (١٨٣٠-١٨٨٩م): «لقد حفظ العرب حتى القرن السادس أو السابع من تاريخنا الشكل والنمط القديمين للكلام السامي أكثر من أيّ فـرع مـن بـني جنسـهم. فـإنْ لم تكـن العربيـة هـي السنسكريتية، فهي على الأقل اللتوانية بين الألسن السامية»(٢).

وقد أكّد هذه الحقيقة غير واحد من علماء الساميات، أمثال نولدكه، وبروكلمان (١٨٦٨-١٩٥٦م)، حيـث عـدّا العربيـة أقـرب اللّغـات إلى السّامية الأم(٣). وقد ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلـك فعـدّ العربيـة أقـدم اللّغات السّامية على الإطـلاق، وفي مقدمـة هـؤلاء العلاّمـة أولسـهوزن Olshausen (٤). وقد أكّد ذلك إبراهيم أنـيس (١٩٠٦-١٩٧٧م) أيضًـا بقوله: «والمستشرقون في بحثهم للغات السامية، ومقارنة بعضها ببعض، يتّخذون عادة لغتنا في بحثهم نموذجًا لأقدم صورة كانت عليـه شـقيقاتها الأخريـات، ويفترضـون أنّ العربيـة قـد انعزلـت في جزيـرة العـرب، فاحتفظت أكثر من غيرها بظواهر سامية قديمة»(٥).

---

(١) O’leary. Comparative grammar of the Semitic Languages. P. 17

(٢) Wright W. lectures on the comparative grammar of the Semitic languages. P. 27 .

(٣) فصول في فقه العربية، ص٤٢.

(٤) دراسات في فقه اللغة، ص٤٨.

(٥) من أسرار اللغة، ص٢١٥.

وسواء قلنا إنّ العربية ورثت اللّغات السّامية الأخرى، أو أنّها أقدم اللّغات السّامية، فإنّ المهم ههنا هو أنّ العربية - ومنذ أنْ ظهرت على مسرح التاريخ الحضاري- ظلّت حيّة في الاستعمال حتى يومنا هذا، وهي وإنْ خرجت عن كونها لغة تخاطب يومي، فهي لا تزال لغة التعليم، ولغة الثقافة والأدب والسياسة والإعلام، وهي اللغة الرسمية في كلّ أنحاء الوطن العربي. وهي كذلك اللغة التي يستخدمها أكثر من مليار مسلم حاليًا - وإلى ما شاء الله - في أثناء تأدية الشعائر الدينية. هذا، وإنّ تعليمًا بسيطًا في المدرسة - وفي مدة زمنية قصيرة نسبيًا - كفيل باختزال قرون متطاولة من الزمن، وبتمكين العربي من أبناء هذا العصر من أنْ يقرأ ويفهم شعر امرئ القيس والنابغة وزهير، ويقرأ القرآن الكريم، والحديث الشريف، وخطب العرب وأمثالهم، ويفهمها جيّدًا، ويتمثّلها وكأنّه يعايشها حقيقة، وكأنّها تلقى أو تتلى على مسامعه الآن.

إنّ متّصلية العربية هذه نعمة كبيرة، ومزيّة لا تنازع العربية فيها أيّ لغة أخرى من لغات العالم في هذه الأيّام. إنّها مزيّة يغبطنا، بل يحسدنا عليها الكثيرون. وعليه، فإنّنا لا نعدو الصواب إذا قلنا: إنّ العربية هي عميدة لغات العالم بلا منازع؛ فمنذ أنْ ظهرت على مسرح الوجود الحضاري، ظلّت حيّة تؤدّي رسالتها على الرغم من كلّ ما مرّت به الأمّة العربية، عبر تاريخها الطويل، من كوارث ومحن عصفت بالكثير من مقوّماتها وأمجادها.

فالعربية - إذنْ - لغة عتيقة، وأصيلة، ويتجلّى هذا العتق، وتلك الأصالة في اللغة العربيّة بمستوياتها المختلفة: الصوتية، والصرفية، والنحوية. وفيما يأتي تفصيل الكلام على كلّ مستوى على حدة:



المستوى الصوتي

تتجلّى أصالة العربية، ويتّضح لنا عتقها في المستوى الصوتي بامتلاكها نظامًا فونولوجيًّا نموذجيًا كاملاً تقريبًا، حيث احتفظت فيه بالأصوات السامية كلّها، في الوقت الذي اختفت فيه كثير من هذه الأصوات في غيرها من الساميات، كالأصوات الحلقية والمطبقة، والغين التي لم تعد توجد إلا في العربية وحدها[١].

ونموذجيّة النظام الفونولوجي العربي تتجلّى في تكوّنه من (٣١) واحد وثلاثين فونيمًا، منها ثمانية وعشرون (٢٨) صامتًا، و(٣) ثلاث حركات.

وإذا ما عرفنا أنّ أكبر عدد وصل إليه عدد الفونيمات في عالم اللغات هو (٧٥) خمسة وسبعون فونيمًا، وأنّ الحد الأدنى هو في حدود (١٣) ثلاثة عشر فونيمًا[٢] = عرفنا سرّ وصفنا للنظام الفونولوجي العربي بأنّه نظام نموذجي، ذلك أنّه وسط بين طرفين كلاهما مرغوب عنه، والفضيلة دائمًا وسط بين طرفين؛ بين الإفراط والتفريط، فكثرة الفونيمات من شأنها أنْ تعمل على تزاحم الأصوات، وتدافعها في المخارج، ممّا يؤدي إلى تداخلها في النطق، وعدم وضوحها في السمع.

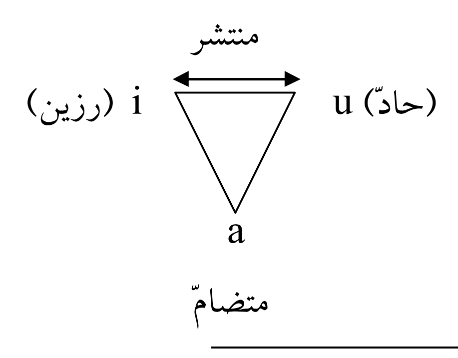
وفي المقابل فإنّ قلّة عدد الفونيمات ستؤدي إلى تشتتها وتباعدها على مدرج القناة النطقية، مما يترتب عليه إجهاد أعضاء النطق، وتثاقلها في التحرك بين مخارج متباعدة نوعًا.

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص٢٢٦.
(٢) محاضرات في اللسانيات، ص١٠٩.

وعلاوة على ذلك، فإنّ الصوامت في العربية موزعة - وبانتظام - على طول القناة النطقية كلّها، من أدناها إلى أقصاها؛ من الشفتين إلى الحنجرة، فكلّ القناة النطقية مستثمرة في إنتاج الأصوات.

ومن ناحية أخرى فإنّ قلّة عدد الحركات (٣) ثلاث فقط، تجعل النظام الحركيّ في العربية من أبسط الأنظمة الحركيّة. وهذا دليل آخر على عراقة العربية وأصالتها؛ إذ البساطة قرينة الأصالة، قال صاحب فقه اللسان: «ومن تقدّم البسيط على غير البسيط، يستنبط أنّ اللسان الذي حركاته أقلّ عددًا، وأبسط تكوّنًا، يكون أقدم من اللسان الذي ليس كذلك»(١).

ونظام الحركة العربيّة الثلاثي هذا، هو النطفة الّتي خُلِّقت منها كلّ الأنظمة الحركيّة في عالم اللّغات. وبعبارة أخرى، إنّ نظام الحركة العربيّة الثلاثي هذا، يمثّل البنية التحتيّة الّتي فُصّلت منها كلّ الأنظمة الحركيّة؛ ذلك أنّ كلّ الأنظمة الحركيّة في لغات العالم أجمع، قائمة على تضادّ مزدوج؛ بين الحادّ (acute) والرّزين u(grave) ⟵ I من جهة، وبين المنتشر (diffuse) والمتضامّ a (compact) ⟵ i,u، من الجهة الأخرى، والذي يمكن توضيحه من خلال المثلّث الآتي(٢):



(١) مقدمة فقه اللسان، ص١٠٧.

(٢) Malmberg,B. phonetics .p.14



ويتجلّى هذا التضاد المزدوج في أبسط صوره في نظام الحركة العربيّة الثّلاثي.

المستوى الصرفي

تتمثل عراقة العربية وأصالتها على المستوى الصرفي في شيئين:

الأوّل: هو الاحتفاظ بصيغة المثنّى، التي فقدت من كلّ اللغات السامية الأخرى، اللّهم إلاّ من بقايا، وآثار لهذه الصيغة، تشير إلى وجودها في بعض اللغات السامية، في مرحلة ما من مراحل حياتها. وعليه، فالتثنية خصيصة عربية، قال السيوطي (٩١١هـ) نقلاً عن التاج بن مكتوم (٧٤٩هـ): «لا تكاد التثنية توجد إلاّ في اللغة العربية»[١]، وقال بروكلمان: «ويكاد المثنّى أنْ يندثر في الآراميّة، على حين يوجد في آراميّة العهد القديم، مثل "yĕdáyim" (يدان)، ولا يوجد في السريانيّة إلّا في الأعداد"trēn" (اثنان)، "matēn" (مائتان). وفي الآشوريّة "ā" هي النهاية المعتادة للمثنّى ... ولا وجود للمثنّى في الحبشيّة إلّا في بقايا متجمّدة، وذلك في صورة (ā) في "eśrā'" (عشرون)»[٢].

ويفهم من هذا أنّ استخدام المثنّى في غير العربيّة مقيّد، ومداه محدود جدًّا ، أمّا العربيّة فقد توسّعت في استخدامه توسّعًا عزّ أنْ نجد له نظيرًا في أيّ من أخواتها الأخريات. وعليه، فالتثنية كثيرة الاستعمال في العربيّة، وهي ظاهرة تشهد للعربيّة بالعتق والأصالة، قال إبراهيم السامرائي: «والبحث في هذه الظاهرة اللغوية يؤدّي إلى أنْ نقول: إنّ

(١) الأشباه والنظائر ٣/ ٧٠.
(٢) فقه اللّغات الساميّة، ص٩٩.

المثنى مادّة لغوية اختصّت بها العربية، ولزمتها في الفصيحة من أقدم العصور حتى الآن»[١] (٢٩).

والآخر: هو الاحتفاظ بجمع التكسير. فلم يكن المثنى وحده هو ما احتفظت به العربية من تراث الساميّة الأمّ، وأنقذت صيغته من الاندثار، وإنّما احتفظت أيضا بصيغة جمع التكسير، الذي هو مزيّة أُخرى اختصت بها العربية وحدها، فقد خلت منه اللغات السامية الأخرى، اللهم إلا من بقايا وآثار قليلة، وأمثلة يسيرة منه في الحبشية، قال برجشتراسر: " أما الجمع فشكله مما تنفرد فيه اللغة العربية، ولا يشاركها فيه، أو في كثير منه إلاّ اللغة الحبشية"[٢].

وقرابة الحبشية بالعربية واضحة وقوية جدًا إلى الحدّ الذي جعل بعضهم يميل إلى عدّها فرعًا من العربية[٣].

المستوى النحوي

تتجلّى عراقة العربية وأصالتها على المستوى النحوي، في احتفاظها بظاهرة ساميّة فذّة وفريدة، هي من أخصّ خصائص اللغات السامية، ألا وهي ظاهرة الإعراب، التي تعدّ وسام عتق وأصالة يزيّن صدر العربية دون سواها، تغبطها عليه، بل تحسدها عليه كلّ اللغات؛ إذْ لا تَعرف لغة من لغات البشرية مثل هذه الدقّة، والاطّراد في ظاهرة من ظواهره[٤].

(١) فقه اللغة المقارن، ص٨٠. وانظر: التطور النحوي للغة العربية، ص١١٢.
(٢) التطور النحوي للغة العربية ص١٠٦. وانظر المرجع السابق ص٩٥.
(٣) فقه اللغة المقارن ص٩٦.
(٤) من أسرار اللغة ص١٩٨.



قال ابن قتيبة (٢٧٦هـ): «ولها الإعراب الذي جعله الله وشيًا لكلامها، وحلية لنظامها، وفارقًا في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين»[(١)].

وقال ابن فارس (٣٩٥هـ): «من العلوم الجليلة التي خُصّت بها العرب: الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام. ولولاه ما ميّز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد»[(٢)].

والإعراب مزية تكسب اللغة مرونة وحيوية، وتوفّر للمتكلم مجالاً من حرّية التعبير والتصرّف في التأليف، بحيث يمكن أنْ تُصاغ الجملة بعدة أوجه، في حين تضطر اللغات التي تفتقر إلى الإعراب، إلى اعتماد الموقعية للدلالة على الوظيفة النحوية للكلمات، فتنظم الكلمات في رتابة موقعية محددة مثل تراتب عربات القطار.

وقد أكّد المستشرقون بدورهم أصالة الإعراب في اللغات السامية، ومزيّة العربية على أخواتها في هذه الناحية، قال بروكلمان: «وقد احتفظت العربية القديمة بحالات الإعراب الثلاث الرئيسية سالمة، غير أنّ الحركات قد قصرت، ولا تحتفظ بطولها إلاّ في الوقف والقافية أحيانًا»[(٣)].

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص١٤.
(٢) الصاحبي ٧٦/١. وانظر: المزهر ٣٢٧/١.
(٣) فقه اللغات السامية، ص١٠٠.

وقال برجشتراسر (١٨٨٦-١٩٣٣م): «والإعـراب سـامي الأصـل، تشترك فيه اللغة الأكّدية، وفي بعضه اللغة الحبشية، ونجد آثـارًا منـه في غيرها»(١).

وقال يوهان فيك (١٨٩٤-١٩٧٤م): «لقد احتفظت العربية الفصحى - في ظاهرة التصرف الإعرابي - بسمة من أقـدم السّـمات اللّغويـة الـتي فقدتها جميع اللّغات السّامية - باستثناء البابلية القديمة - قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي»(٢).

وإذا كان الإعراب سمة بارزة للعربية، ودلالة قويـة علـى عتـق هـذه اللغة وأصالتها، فإنّ الفضل في ذلك يرجـع إلى القـرآن الكـريم، الـذي رسّخ هذه السمة فيها، وجعلها سمة لازمة وثابتة لها(٣).

ولكنّ الزمان لا يخلو من وجود معارضين منكرين، وربّما متعصـبين حاقدين، يحاولون جاهدين سلب العربية هذه المزيّة الرائعـة، فيزعمـون أنّ الإعراب شيء مصطنع، ما كان معروفًا في العربية قديمًا، وأنّـه شـيء حادث تواضع عليه النحاة والقرّاء في أواخر القرن الأوّل، وأوائل القـرن الثاني الهجريين.

ويقف في مقدمـة هـؤلاء المستشـرق كـارل فـولرز Karl Vollers (١٨٥٧-١٩٠٩م)، الذي زعم - دون أي سند أو دليل علمي مقنع - أنّ النصّ الأصليّ للقرآن كان خاليًا من ظاهرة الإعراب، وأنّـه - مـن ثَـمّ -

---

(١) التطور النحوي للغة العربية، ص١١٦.

(٢) العربية (فك)، ص٣.

(٣) الفصحى لغة القرآن، ص٥٤.



كان يُقرأ باللهجة المحلية الدّارجة، الخالية من الإعراب، وأنّ القرآن يدين بأسلوبه المعرب، الذي وصل إلينا، إلى تنقيح خاضع للقواعد التي اعتمدت في العربية فيما بعد[١].

ومن هؤلاء المعارضين المستشرق باول. إي. كاله Paul E. Kahle (١٨٧٥-١٩٤٦م)، الذي أفتى هو الآخر بأنّ القرآن الكريم كان يُقرأ في بادئ الأمر، بغير إعراب، وأمّا كيف دخل الإعراب في النص القرآني، فيرى: "أنّ القرّاء الأوّلين في المدن الإسلاميّة الكبرى، رحلوا لمخالطة عرب البادية، المقيمين في جوارهم، قصداً إلى دراسة رواياتهم عن شعراء البدو، ووضع قواعد مستنبطة من لغة الشعر، لقراءة النصّ القرآني على مثالها. وهذه الضرورات العملية هي التي أوجدت الباعث إلى جمع شعر الجاهليين، وكتابته في أوائل العصر الإسلامي. وعلى أساس هذه المادة التي تمّ جمعها، وُضعت لغة نموذجية، كان الإعراب من مميّزاتها، ومن ثَمّ أُدخل الإعراب في قراءة القرآن"[٢].

وفي الحقيقة، إنّ أقوال هذين المستشرقين وأضرابهما، لا تزيد على كونها انطباعات وتأملات، بل شطحات خيالية، ليس لها ما يسندها علميًا ولا تاريخيًا. فهي محض افتراءات، وتخرّصات. وليس كلّ مستشرق منزّه عن الخطأ والزلل؛ "فكثيرا ما يخطئ هؤلاء المستشرقون حتى في أبسط القضايا وأكثرها وضوحًا. وكثيراً ما يطلقون الأحكام العامّة الخطيرة، ولا سند لهم إلا حالة شاذة، عثروا عليها هنا أو هناك ففرحوا

(١) الوجيز في فقه اللغة، ص٣١٦. وانظر: فصول في فقه العربية، ص٣٧٧.
(٢) المرجع السابق. وانظر فصول في فقه العربية، ص٣٧٨.

بها، وغلّبوها على مئات الأدلّة التي تناقضها، بل كثيراً ما يحدث أنْ لا يكون لهم من دليل في أحكامهم غير الوهم والظن والهوى"[١].

وليت الأمر اقتصر على المستشرقين وحدهم، فقد أصابت عدواهم بعض بني جلدتنا، ومن هنا ذهب بعض أئمة اللغة المعاصرين، وفي مقدّمتهم إبراهيم أنيس (١٩٠٦-١٩٧٧م) - رحمه الله - إلى أنّ الإعراب في العربية شيء طارئ ومصطنع، وجعل له قصة وحكاية مصطنعة، قال بهذا الخصوص: «ما أروعها قصة! لقد استمدت خيوطها من ظواهر لغوية متناثرة بين قبائل الجزيرة العربية، ثم حيكت، وتمّ نسجها حياكة محكمة في أواخر القرن الأوّل الهجري، أو أوائل الثاني، على يد قوم من صنّاع الكلام، نشئوا معظم حياتهم في البيئة العراقية»[٢].

والذي دفعه إلى تبنّي هذا الموقف هو شكّه، وعدم اقتناعه بقدرة العربية على الاحتفاظ بهذه السمة البارزة وحدها، من بين سائر أخواتها الساميات الأخرى. قال بهذا الخصوص: «ومع إيماني بأنّ العربية في كثير من صيغ أفعالها، وأسمائها، وفي كثير من أصواتها وضمائرها، وأعدادها قد احتفظت بعناصر قديمة أكثر من شقيقاتها السامية، لا أكاد أتصور أنّ العربيّة وحدها تحتفظ بمثل هذا النظام الإعرابيّ الدقيق. هذا النظام المعقّد الذي أعيا السابقين واللاحقين من أبناء العربية، ثم يندثر كلّ هذا في اللغات السامية الأخرى، غير مخلّف فيها إلا تلك الآثار الضئيلة النادرة التي يلمحها المستشرقون في بعض هذه اللغات»[٣].

---

(١) المرجع السابق، ص١١٩.
(٢) من أسرار اللغة، ص١٩٨.
(٣) المرجع السابق، ص٢١٥.



وعليه؛ فإذا كان من غير الممكن - من وجهة نظر إبراهيم أنيس - التصديق بأنّ العربية قادرة على الاحتفاظ بالإعراب وحدها دون أخواتها الساميات، فلا بدّ - إذن - من أنْ يكون شيئًا مصطنعًا فيها، قام به النحاة في وقت متأخر! وليته وقف عند هذا الحد، ولكنّه مضى في تأملاته وتصوراته هذه، فلم يكتف بجعله مصطنعًا فقط، وإنّما عدّه منحولاً أيضًا!

لقد استكثر على العقليّة العربيّة، وعلى النحاة العرب، القيام بعمل كهذا، فجعلهم- من ثَمّ - عالة في عملهم هذا على غيرهم، خاصة ربَّة العلم والفكر؛ اليونان. فيرى أنّ النحاة العرب ربّما كانوا متأثرين في صياغتهم لقواعد الإعراب بغيرهم، "ولعلهم تأثّروا في نهجهم هذا بما رأوه حولهم من لغات أخرى كاليونانية مثلاً، ففيها يفرق بين حالات الأسماء التي تسمى Cases، ويرمز لها في نهاية الأسماء برموز معينة، وكأنّما قد عزّ على النحاة ألا يكون في العربية أيضًا مثل هذه ألـ Cases"[١].

وفي الواقع لقد غالى إبراهيم أنيس كثيرًا في أحكامه، وأبعد كثيرًا في تصوراته وتأمّلاته، بحيث فاق المستشرقين في ذلك، فكان - كما يُقال - ملكيًا أكثر من الملك؛ ذلك أنّ النحو سمة أصيلة في العربية، متجذر فيها تجذّر الرمال في الصحراء العربية، فهو كما قال هنري فليش: «أنقى العلوم العربية عروبة»[٢].

(١) المرجع السابق، ص ٢٥٤.
(٢) النحو العربي والدرس الحديث، ص٩.

فقد وضعت أحكامه، وحـددّت معالمـه مـن خـلال كتـاب سـيبويه الخالد، الذي يعد مصدر كلّ ما أحدثه المتأخرون من علماء العرب، في الأصوات وفي الصرف والنحو أيضًا[١].

إنّ كتاب سيبويه هو - وبشهادة بروكلمان - أقدم مصنّف جمع مسائل النحو العربيّة كافّة، وأنّ المتأخّرين لم يضيفوا إليه شيئًا ذا بال[٢]، وبدوره أكّد يوهان فك أنّ كتاب سيبويه يمثّل أوّل وضع شامل لقواعـد العربيّـة، وأنّ الأجيال المتأخّرة لم تغيّر شيئًا من أسسه وقواعده[٣].

وعليه؛ فإنّ كتاب سيبويه وبشهادة هنري فلـيش، هـو أصـل النحـو العربي القديم[٤]. وهذا الكتاب - وباعتراف المستشرقين أنفسـهم - كـان سابقًا لأيّ اطّلاع على الثقافات الأجنبية؛ فعلـى حـدّ قـول إنّـو ليتمـان: «لا يوجد في كتاب سيبويه إلّا ما اخترعه هو والذين تقدموه»[٥].

وإذا كان الأمر كذلك؛ فإنّ مسالة تأثّر العرب بـالنحو اليونـاني تظـلّ موضع شكّ، وتحوطها الريبة، ولذا فهي مردودة، ومرفوضة؛ لأنّها مبنية على افتراضات وظنون، وليس على أساس علمي وتاريخي موثّـق. هـذا علاوة على أنّ اليونانية تختلف طبيعة ونحوًا عن العربية، وواضـع النحـو لم يكن عارفًا، ولا متأثرًا باليونانية بأيّ وجه من الوجوه[٦].

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، ص٥.
(٢) العربية الفصحى، ص١٩٨ بند ٣.
(٣) تاريخ الأدب العربي، ٤٥٧/١.
(٤) العربيّة (فك)، ص٥٠-٥١.
(٥) نشأة النحو، ص٢٢.
(٦) فقه اللغة، ص٢١٣. وانظر: فقه اللغة المقارن، ص١٢٢.



ومع أنّنا لا نستبعد أنْ يكون لبعض النحاة اتجاه شخصي في تنسيق ما استنتجوه من أصول النحو وقواعده من كلام العرب الفصحاء؛ إذْ قد يتمادى بعضهم منكرًا حتى على قرّاء القرآن أحيانًا ما صحّ سنده من أوجه القراءات ... لكنّنا - على الرغم من هذا كلّه - مقتنعون تمامًا أنّ واضعي النحو كانوا من الأئمة الثقات، والرجال العدول، بحيث يظلّ عملهم الأساسي في وضع قواعد الإعراب أسمى من أنْ يُتّهم، وأوثق من أنْ يُجرّح، فما جمعوه من شواهد إنّما كان من البادية، موطن البيان، ومعدن الفصاحة الأصيل، ولم تكن معاييرهم التي نادوا بها إلا صورة معبرة عن طبيعة العربية الفصحى[(١)]، وليست صدى لأي ظاهرة لغوية في أي لغة أخرى.

بقي أنْ نقول إنّ الدليل على أصالة الإعراب في اللغات السامية، ومن ثَمّ أصالة العربية وعتقها، من خلال احتفاظها به حتى الآن، هو أنّ الإعراب كان موجودًا وبشكل كامل في بعض اللغات السامية القديمة، منذ ما يقرب من أربعة آلاف عام، وشاهد ذلك شريعة حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ق.م) التي دوّنت باللغة البابلية القديمة، فقد وُجد فيها الإعراب كاملاً، كما هو في العربية الفصحى تمامًا، فالفاعل مرفوع، والمفعول به منصوب. وعلامة الرفع الضمة، وعلامة النصب الفتحة، وعلامة الجر الكسرة، تمامًا كما هو الحال في العربية الفصحى[(٢)].

ويستدلّ أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب (١٩٣٥-٢٠٠١م) - رحمه الله - على ذلك بما ورد في شريعة حمورابي، من جُمل مثل:

(١) دراسات في فقه اللغة، ص١٢٦.

(٢) فصول في فقه العربية، ص٣٨٢-٣٨٣. وانظر: الوجيز في فقه اللغة، ص٣٢٣.

"šummā awēlum awēlam ubbirma"، وتعني: "إذا اتّهم إنسانٌ إنسانًا"، حيث نجد كلمة "awēlum" الأولى بمعنى "إنسان" مرفوعة، وعلامة رفعها الضمّة كما هو ظاهر؛ لأنّها فاعل. والميم التي في آخرها هي التمييم الذي يقابل التنوين في العربية.

وأمّا الكلمة الثانية: "awēlam" فمنصوبة؛ لأنّها مفعول به، وعلامة النصب الفتحة، كما هو ظاهر. وهناك أمثلة أخرى على ذلك(١).

ولم يقتصر الأمر على إعراب المفرد وحده، وإنّما شمل المثنى وجمع المذكر السالم أيضًا، فالمثنى علامة رفعه الألف، وعلامة نصبه وجرّه الياء، وكذلك الجمع، علامة رفعه الواو، وعلامة نصبه وجرّه الياء، كما هو الحال في العربية الفصحى تمامًا(٢).

وأمّا القول بأنّ القرآن نزل غير معرب، وأنّ النحاة قد اصطنعوا هذه القواعد المحكمة لاحقًا، فقول مردود، وفرية هي أتفه من أنْ يُتشاغل بها، أو يُردّ عليها؛ ذلك أنّ القرآن الكريم قد وصل إلينا معربًا بطريقة التواتر، ولا يكذّب خبر المتواتر إلا كلّ جاحد، يجهل أبسط القواعد العلمية في التدقيق والتحقيق(٣)، وقد "شهد شاهد من أهلها" كما يُقال، فها هو المستشرق الألماني الكبير، نولدكه (١٨٣٦-١٩٣٠م)، ينبري إلى هذه الفريّة ويفنّدها، قائلاً: «من غير المعقول أنْ يكون محمد - ﷺ - قد استخدم في القرآن لغة تخالف كلّ المخالفة تلك اللغة التي كانت شائعة

(١) المرجع السابق، ص ٣٨٣.
(٢) المرجع السابق، في المكان نفسه.
(٣) الوجيز في فقه اللغة، ص٣٢٥. وانظر: فصول في فقه العربية ، ص٣٨٦.

في مكّة آنذاك، وأنْ يكون قد اعتنى بالإعراب هذه العناية، وقومه لا يستخدمون هذا الإعراب في كلامهم»[١].

ثُمّ أضاف - في معرض ردّه - قائلاً: «من الخطأ الشنيع الاعتقاد بأنّ اللغة الحيّة في عهد النبي - ﷺ - لم يكن فيها إعراب؛ فإنّ العلماء في عصر هارون الرشيد قد وجدوا الإعراب بكلّ دقائقه لدى البدو»[٢].

ثُمّ أردف يقول: «ولو كان النّبيّ - ﷺ - أو أحد من معاصريه من المؤمنين قد نطق بالقرآن دون إعراب، لكان من غير الممكن أنْ تضيع الروايات الخاصة بذلك، دون أنْ يبقى لنا آثار منها»[٣].

ثم إنّ الرسم القرآني نفسه، خير شاهد هو الآخر على وجود الإعراب في العربية الفصحى، وأنّه ليس من اختراع النحاة كما ادّعى بعضهم، وإلّا فكيف نفسر رسم كلمات مثل: مَتَـٰعًا، و فَضْلًا، و رُسُلًا ..؟ وكيف نفسر مجيء: ﴿إِنَّ أَبَانَا﴾، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾، و﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ﴾، ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ﴾، و﴿إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾، ﴿وَٱلظَّـٰلِمُونَ﴾، ﴿وَٱلظَّـٰلِمِينَ﴾؟ و﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾، و﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾، و﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾... ؟ وإنّها لحقيقة ثابتة، لا مجال للشكّ فيها البتّة، هي أنّ المصحف العثماني قد دُوّن في عصر سابق جدًا لعصر نحاة البصرة والكوفة، الذين ينسب إليهم هؤلاء المشكّكون اختراع قواعد الإعراب[٤].

(١) فصول في فقه العربية، ص٣٨٠.
(٢) المرجع السابق، ص ٣٨١.
(٣) المرجع السابق، في المكان نفسه.
(٤) فقه اللغة، ص٢١٥. وانظر: فصول في فقه العربية، ص٣٨٦.



ولعلّ أقوى دليل، بل لعلّه الدليل القاطع، على أنّ القرآن الكريم قد نزل معربًا، وأنّ الإعراب فيه سمة طبيعيّة، وليس ظاهرة مصطنعة من وضع النحاة، كما زعم الزاعمون، وأرجف المرجفون، هو مجيء كلمات في القرآن الكريم يوحي ظاهرها بخروج واضح عن قواعد النحو ونواميسه، ويشي بوقوع اللحن في القرآن الكريم، وذلك نحو قراءة نافع (١٦٩هـ)، وابن عامر (١١٨هـ) وحمزة (١٥٦هـ)، والكسائي (١٨٩هـ): ﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣]، بتشديد ﴿إنَّ﴾[١]، ومن خارج السبعة، قرأ بذلك كلّ من الحسن البصري (١١٠هـ)، وسعيد بن جبير (٩٥هـ)، وعيسى ابن عمر (١٤٩هـ)، وعاصم الجحدري (١٢٨هـ)[٢].

وكذلك كلمة: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢] ، حيث وقعت كلمة ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ﴾ منصوبة مع أنّ ما قبلها وما بعدها مرفوع، وكذلك كلمة: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [المائدة: ٦٩]، حيث جاءت مرفوعة في سياق النصب.

وقد كان لبعض القرّاء - حتّى من الصحابة الكرام - موقف من بعض هذه القراءات، فقرءوها على نحو ينسجم وقواعد العربيّة؛ فبالنسبة إلى آية (سورة طه): ﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾، قرأتها أمّ المؤمنين عائشة (٥٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالنصب والتشديد، هكذا: ﴿إنَّ هذَيْنِ لَسَاحِرَانِ﴾. ومن القرّاء: قرأ بذلك كلّ من الحسن البصري، وإبراهيم

(١) السبعة في القراءات، ص٤١٩.

(٢) إعراب القرآن (النحاس) ٤٣/٣ ، والبحر المحيط ٢٣٨/٦.



النخعي (٩٦هـ)، وعاصم الجحدري، وسليمان بن مهران الأعمش (١٤٨هـ)، وسعيد بن جبير، وابن عبيد، وأبي عمرو بن العلاء (١٥٤هـ)[١].

وكأنّ هؤلاء قد استشعروا خروجًا عن سنن العربيّة في رفع اسم الإشارة: ﴿هـذان﴾ بعد ﴿إنّ﴾ النّاسخة، فآثروا - من ثَمَّ - قراءتها بالنّصب، ولا سيّما أنّه قد وردت روايات، وأخبار- مشكوك في صحّتها - عن عثمان بن عفّان (٣٥هـ)، وأمّ المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وعن غيرهما أيضًا، تفيد بوقوع اللّحن في القرآن الكريم[٢].

ويبدو أنّ بعضهم قد صدّق هذه الروايات، وحملها على محمل الجدّ، فأقرّ - من ثَمّ - باللّحن في هذه القراءة، ولكنّه تمسّك بها من باب الحرص على عدم مخالفة رسم المصحف ليس غير، قال الفرّاء (٢٠٧هـ): «وقوله: ﴿**إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ**﴾، قد اختلف فيه القرّاء، فقال بعضهم: هو لحنٌ. ولكنّا نمضي عليه لئلاّ نخالف الكتاب»[٣].

والسؤال الذي يفرض نفسه بقوّة الآن، هو: **لو كان الإعراب في القرآن الكريم عملاً متأخّرًا؛ من وضع النحاة**، أما كان ينبغي للنحاة أنْ يعدّلوا هذه القراءات، التي لا ينسجم ظاهرها وقواعد النحو، ويجعلوها منسجمة معها؟ وكيف يمكن أنْ يُفسّر سكوتهم عنها؟ وكيف يقومون

---

(١) معاني القرآن (الفراء)٢/١٨٣، والسبعة في القراءات، ص٤١٩، والبحر المحيط ٦/٢٣٨.
(٢) المصاحف ص٤٢-٤٣، وشرح شذور الذهب، ص ٥٠.
(٣) معاني القرآن (الفراء) ٢/١٨٣.

بضبط القرآن الكريم على نحو يخالف قواعدهم؟ أسئلة لا نجد لدينا إجابات مقنعة عنها، وأجزم بأنّ هؤلاء المدّعين لا يملكون إجابات عنها كذلك.

ونخلص من هذا كلّه إلى القول: إنّ القرآن الكريم نزل معربًا، وهو منزّه عن اللحن؛ لأنّه كلام ربّ العالمين، الذي تكفّلت العناية الإلهيّة بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحِجر].

وأمّا الروايات والأخبار التي تفيد بوقوع اللحن في القرآن الكريم، والمنسوبة إلى عثمان وعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا على وجه الخصوص = فأخبار باطلة، لا تصحّ عنهما. وقد بيّن المحقّقون زيفها - ومن ثَمَّ - بطلانها من وجوه:

أحدها: أنّ الصحابة (رضوان الله عليهم) كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى المنكرات، فكيف يقرّون اللّحن في القرآن الكريم، مع أنّه لا كلفة عليهم في إزالته؟

والثاني: أنّ العرب كانت تستقبح اللّحن غاية الاستقباح في الكلام، فكيف لا يستقبحون بقاءه في المصحف؟

والثالث: أنّ الاحتجاج بأنّ العرب ستقيمه بألسنتها غير مستقيم؛ لأنّ المصحف الكريم يقف عليه العربيّ والعجميّ.

والرابع: أنّه قد ثبت في الصحيح أنّ زيد بن ثابت (٤٥هـ) أراد أنْ يكتب (التابوت) بالهاء على لغة الأنصار فمنعوه من ذلك، ورفعوه إلى عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأمرهم أنْ يكتبوه بالتاء على لغة قريش. كما أنّه لمّا بلغ



عمر بن الخطّاب (٢٣هـ) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنّ ابن مسعود (٣٢هـ) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قرأ: ﴿عتّى حين﴾، على لغة هذيل، أنكر ذلك عليه، وقال: أقرئ الناس بلغة قريش؛ فإنّ الله تعالى إنّما أنزله بلغتهم، ولم يُنزله بلغة هذيل[١] (٦٦).

هذا، وقد انبرى الدكتور علي وافي (١٩٠١-١٩٩١م) للردّ على مزاعم هؤلاء المشكّكين، وتفنيدها أبلغ ردّ، قائلاً: «وإذا أمكن أنْ نتصور أنّ علماء القواعد تواطئوا جميعًا على اختلاق الإعراب، فإنّه لا يمكن أنْ نتصور أنّه تواطأ معهم عليه جميع العلماء من معاصريهم، فأجمعوا كلمتهم ألاّ يذكر أحد منهم شيئًا ما عن هذا الاختراع العجيب، ولا يعقل أنْ يقبل معاصروهم هذه القواعد على أنّها ممثلة لقواعد لغتهم ويحتذوها في كتاباتهم اللّهم إلاّ إذا كان علماء البصرة والكوفة قد سحروا عقول الناس واسترهبوهم، وأنسوهم معارفهم عن لغتهم وتاريخها، فجعلوهم يعتقدون أنّ ما جاءوا به من الإفك ممثل لفصيح هذه اللغة»[٢].

وعليه؛ فإنّ كلّ الدلائل تشير إلى أنّ العرب قد ورثوا لغتهم معربة، وأنّ الإعراب ليس قصّة، ولا حكاية مصطنعة كما يروّج لها بعض المستشرقين، ومن لفّ لفّهم من الباحثين العرب.

بقي أنْ نقول إنّ العربية قد عمدت - بعبقريتها - إلى تطوير نوع آخر من الإعراب، ألا وهو الإعراب الناقص المعروف بإعراب الممنوع من الصرف، فهذا النوع من الإعراب خاصّ بالعربية وحدها[٣]. كما أنّها

(١) شرح شذور الذهب، ص ٥٠.
(٢) فقه اللغة، ص٢١٤. وانظر: فصول في فقه العربية، ص٣٩١-٣٩٢.
(٣) العربية الفصحى، ص٦٠. وانظر: التطور النحوي للغة العربية، ص١١٦.



ابتدعت إعراب الخبر والمضاف، وإنْ كانت تتّفق في بعض هذا مع أخواتها[(١)].

ثانيًا: الإسهامات الإيجابية على المستويين: القومي والديني

رأيت أنْ أُدمج هذين البعدين معًا في محور واحد هو الاعتبار القومي والديني، وذلك بسببٍ من تلازمهما وترابطهما التاريخي، بحيث يتعذر تصوّر أحدهما دون الآخر؛ وذلك أنّه بالدين الإسلامي، وبالدين وحده، قد أصبحت العربية لغة لها وزنها وحضورها، وبفضل الدين الإسلامي وحده أيضًا، أصبح العرب أمّة لها شأنها ووزنها على المسرح الدولي، فقبل ظهور الإسلام لم يكن للعرب، ولا للغتهم شأن يذكر، وإنّما كانوا هم ولغتهم يعيشون على هامش التاريخ الحضاري، يلفّهم الإهمال والنسيان، لا يشعر بهم أحد؛ لا يُسأل عنهم إذا غابوا، ولا يستشهدون وهم حضور، على حدّ قول المثل العربيّ: (**لا في العير ولا في النفير**).

وبالقرآن والإسلام بدأ تاريخ العرب والعربية الحقيقي، حيث انتقلوا هم ولغتهم - وفي زمن قياسي، لا يزيد على مائة عام - من هامش التاريخ، إلى قلب التاريخ، إلى صُنّاع التاريخ.

لقد ارتبطت العربية بالقرآن الكريم ارتباطًا وثيقًا ومصيريًّا، وقد ارتفع القرآن بها، وحلّق بها عاليًا في سماء المجد والشهرة، فقضى على آثار اللهجات الإقليمية، وحاك من لهجات القبائل المتعددة لغة واحدة، طبعها بطابعة، ووسمها بميسمه، وبارك وحدتها، وسما بها إلى الذروة

(١) التطور النحوي للغة العربية، ص١١٦.



العليا من الكمال؛ فبالقرآن والإسلام يّكشف - ولأوّل مرّة في تاريخ العربيّة - الستار عن عالم فكريّ وحضاريّ جديد يتألّق تحت شعار التوحيد، بحيث لم تعد معه لغة الكهنة، والعرّافين الفنيّة المسجوعة إلا نموذجًا ضعيفًا وباليًا له، من حيث المواد اللغوية، ومسالك المجاز في اللفظ والدلالة[١].

إنّ جدلية العلاقة بين العربيّة والدين الإسلامي جعلت منهما توأمين، وصنوين متلازمين تلازم وجهي العملة النقدية، فالإسلام يستدعي العربيّة، والعربيّة تستدعي الإسلام.

فالإسلام هو الرسالة التي تحملها العربية إلى الإنسانيّة جمعاء، والعربيّة هي الوسيلة التي تعتمد عليها الرسالة، وتشقّ بها الطريق إلى قلوب المؤمنين، متخطيّة حواجز الزمان والمكان والأعراق.

فالدين هو الرسالة، والغاية، والعربية هي الوسيلة والأداة لإيصال هذه الرسالة، وتحقيق هذه الغاية، فالعلاقة بينهما إذن هي العلاقة التي تربط بين الوسيلة والغاية. وما أعظمها من رسالة ! وما أكرمها من وسيلة!

ونظرًا إلى أنّ الدين الإسلامي رسالة عالميّة، موجّهة إلى البشريّة جمعاء، وليست محصورة بجنس معين، ولا بأقوام بأعيانهم، كان على الوسيلة التي تعتمدها هذه الرسالة أنْ تكون صنوًا لها، أي: أنْ تكون عالميّة هي الأخرى.

ومن هنا: فقد أخذ القرآن بيد العربية، ومضى بها قدمًا، وارتقى بها لتصبح وخلال مائة عام فقط لغة عالميّة حقًا، قال نولدكه: «إنّ العربيّة

(١) العربية، ص٥. وانظر: فقه اللغة المقارن، ص٩٤.

لم تصر حقًّا لغة عالميّة إلّا بسبب القرآن والإسلام»[(١)]. وهذا ما أكّدته أيضًا المستشرقة الألمانيّة، زيغريد هونكه (١٩١٣-١٩٩٩م)[(٢)]، بل لقد أصبحت أكمل لغة في العالم، وأكثرها قدرة على تلبية كلّ الضرورات والمتطلبات، على حدّ قول المستشرق الفرنسي، جاك ريسلر[(٣)].

وإلى جانب العالميّة والكمال، أضفت جدليّة العلاقة بين العربيّة والدين الإسلامي على هذه اللغة صفة أخرى هي صفة القداسة، فارتباطها بالنص القرآنيّ المقدّس- جوهر الدين، ودستور المسلمين- قد جعل العربيّة لغة مقدّسة أيضًا.

فقد منع العرف قديمًا ترجمة النصّ القرآنيّ أو التغيير فيه بأيّ شكل من الأشكال، لأنّه كلام ربّ العالمين، ولن تستطيع الترجمات بأيّ حال من الأحوال الوفاء بمتطلبات هذا النصّ المعجز، فضلاً عن قدرتها على الإحاطة بغنى العربية، إذْ إنّ جمال العربيّة يذبل في الترجمات كما تذبل زهرة مفصولة عن جذورها[(٤)].

والعربيّة ليست غنيّة فقط بالمفردات، ولكنّها غنيّة أيضًا بالصيغ النحويّة، ممّا يجعلها أداة طيّعة للعب بالألفاظ، وقد انتفع بهذه الخاصيّة إلى أقصى حدّ، المتاخّرون من أهل صناعة الكلام[(٥)].

(١) فصول في فقه العربية، ص١٠٩.
(٢) شمس العرب تسطع على الغرب، ص٣٦٧.
(٣) الحضارة العربية ، ص٥٤.
(٤) المرجع السابق، ص٥٢.
(٥) اللغات الساميّة، ص ٨٢.



ومن ثَمّ، فقد تحتّم على كلّ من يعتنق الإسلام عن اختيار ورغبة، أنْ يقرأ القرآن الكريم، وأنْ يتلوه، وأنْ يكتب ويتكلّم بلغة القرآن، وأنْ يمارس الشعائر الدينية بالعربية أيضًا.

وعليه؛ فإنّ واحدًا من كلّ خمسة أشخاص في هذا العالم، يتحتّم عليه أنْ يستخدم العربية، ولو لتلاوة القرآن، ولتأدية الصلوات، وسائر الشعائر الدينيّة الأخرى.

ذكرنا قبل قليل: أنّ العربية هي وسيلة القرآن الكريم ليسكن في القلوب، فيحييها بالإيمان، ويعمرها بالتقوى، وبدخوله في قلوب الناس لا يدخل وحده، وإنّما يدخلها مصحوبًا بالعربية، وهنا يتجلّى دور العربية القوميّ في التعريب، وتشكيل الأمّة العربيّة.

إنّ اللغة على ما هو معروف بنت المجتمع؛ فنحن نتكلّم لأنّنا نحيا في مجتمع، ولكنّ المجتمع الذي تخرج منه اللّغة، سرعان ما يقع في قبضة يدها، ويصبح أسيرًا لها، ذلك لأنّ اللغة هي الرابط الاجتماعي الذي يشدّ أفراد المجتمع بعضهم إلى بعض، ويشكل منهم كيانًا بشريًا متميّزًا. وعليه، فالمجتمع، والأمّة يدينان في وجودهما وثباتهما واستمرارهما للغة، لأنّها هي، وهي فقط التي تضطلع وإلى حد كبير بأن تجعل من الأمّة أمّة[1].

وقد بيّن ماكس مورو أنّه باللغة، وباللغة وحدها، يندمج الفرد في المجتمع، ويتلقّى تُراث الأمّة الفكري والشعري، والأخلاقي

(١) دروس في الألسنية العامية، ص٤٤.

والاجتماعي كلّه[1]؛ ذلك لأنّ الذين يتكلّمون بلغة واحدة، يكوّنون - على حدّ قول الفيلسوف الألماني، فخته (١٧٦٢-١٨١٤م) - كلاً موحّدًا، ربطته الطبيعة بروابط متينة، وإنْ كانت غير مرئيّة[2].

وهي بوصفها رابطًا تكون موجودة لدى أفراد المجتمع على شكل جُمَل من الارتسامات المودعة في كلّ دماغ، أشبه شيء بمعجم قد وُزّعت نسخه المتماثلة على كلّ فرد من أفراد المجتمع[3]، أو هي كنز مودع عن طريق ممارسة الكلام لدى جميع أفراد المجتمع.

وعليه، فاللغة لا تكون كاملة في دماغ أيّ فرد من الأفراد مهما كانت درجة ثقافته ومعرفته، فلا توجد كاملة إلاّ عند الجمهور[4].

وهذا الذي نصّ عليه أبو اللسانيّات الحديثة؛ سوسير، كان الإمام الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ) (رحمه الله) قد نصّ عليه قبله بقرون طويلة، وذلك حيث قال: «ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا. **ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبيّ**. ولكنّه لا يذهب منه شيء على عامّتها حتّى لا يكون موجودًا فيها من يعرفه. والعلم به عند العرب، كالعلم بالسنّة عند أهل الفقه، لا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء»[5].

(١) المرجع السابق، ص ٤٢.
(٢) التمكين للغة العربيّة، ص٣٠٢.
(٣) المرجع السابق، في المكان نفسه.
(٤) المرجع السابق، ص ٣٤.
(٥) الصاحبي، ص٢٦ هامش رقم ٢.



وقد علّق ابن فارس على كلام الشافعي هذا، قائلاً: «وهذا كلام حريّ أنْ يكون صحيحًا. وما بلغنا أنّ أحدًا ممن مضى ادّعى حفظ اللغة كلّها»[١].

وأيًّا كانت حقيقة اللغة، فهي أخطر رابطة اجتماعية تاريخية، تربط بين الأجيال المختلفة من الشعب الواحد، أي تربط حاضر الأمة بماضيها، وتجعل وحدة هذه الأجيال حقيقة ملموسة على كرّ الدهور ومرّ العصور، نظرًا إلى أنّها تشكل وعاء التجارب الشعبية، والعادات والتقاليد والعقائد التي تتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل.

وعليه؛ فإنّ صفة الاستمرار، والمتصلية في الهوية والشخصية، لا تتمّ إلاّ بوساطة اللغة، فإحساس الخلف بالشراكة اللغوية بينه وبين السلف، كفيل بإيجاد الإحساس بالوحدة الشعبية بينهما.

ولكنْ كيف تأتّى للعربية أنْ تشكّل هذه الوحدة البشرية المسماة بالوطن العربي، الذي يمتدّ من المحيط الأطلسيّ إلى الخليج العربيّ ؟

في الواقع، لم يكن بإمكان العربية وحدها أنْ تفعل ذلك، ولكنّ ارتباطها بالقرآن والإسلام جعلاها تنجح وبامتياز في تعريب هذه البقعة المترامية الأطراف؛ أرضًا وشعبًا، وتُحقّق من النتائج الباهرة، ما عجزت عن تحقيقه كلّ من الإغريقية واللاتينية.

لقد كانت أمنية الإسكندر المقدوني (٣٥٦ - ٣٢٣ق.م) الكبرى هي تحقيق الانصهار الكلّي بين اليونان والشرقيين، وأنْ يجمعهم في أمّة

(١) المرجع السابق، في المكان نفسه.

واحدة، وفي سبيل ذلك قام بإغراق آسيا الوسطى بمستوطنين إغريق، وأنشأ أكثر من سبعين مدينة إغريقية، ولكنّه - على الرغم من هذا كلّه- قد فشل هو وخلفاؤه فشلاً ذريعًا في سياسة جمع الشعوب وتحقيق الانصهار التام بينها(١).

وكما فشل الإغريق، فشل كذلك الرومان من بعدهم. ولكنْ لمّا جاء العرب، تحتّم على كلّ شيءٍ أنْ ينهار، وبضربة واحدة، بدءًا من انهيار السلطة العسكرية، وانتهاءً بانهيار اللغة والفكر اليوناني واللاتيني، فقد حلّت العربية محلّ الإغريقية واللاتينية، والقبطية، واضطرتها هي وغيرها من اللغات المحلّيّة إلى النزول عن خشبة المسرح الحياتي، ثم الانزواء والتقوقع، والابتعاد عن الأضواء.

لقد تمكنت العربية من أنْ تهزم كلّ اللغات التي صادفتها في طريق انتشارها بسبب ارتباطها بالقرآن والإسلام، اللذين كانا يعملان معها ولصالحها؛ فقد كان للقرآن الكريم من التاثير على لغات هذه المنطقة المتّسعة ما لم يكن لأيّ كتاب سواه في العالم(٢).

ثُمّ إنّ الدين بانتشاره فتح أمامها الآفاق، وأكسبها أراضي جديدة كلّ يوم، وسهّل لها سبل الانتشار والتغلغل في القلوب. واللغة بدورها، وبشموليّتها، حقّقت بين الشعوب المتنوّعة التي كانت تخترقها، نوعًا من أمميّة في الآداب والعلوم، وفرضت نفسها عليهم فرضًا لكونها لغة الدين الجديد، ولغة السّاسة والقادة الجدد، وبسيطرتها جعلت تأثير الدين في

(١) الحضارة العربية، ص٢٧، ٥١.
(٢) اللغات الساميّة ص ٨٦.



النفوس يأخذ في الازدياد والتعاظم، فكلٌّ من الدين واللغة العربية، كان يعضد الآخر ويخدمه. وبفضل هذا التعاضد بينهما، اتّحدت كلّ الشعوب التي حكمها العرب.

وتحقّقت المهمّة الكبرى، ألا وهي مهمّة تعريب هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف، وترسيخ الإسلام فيها. وبهاتين القوتين المتعاضدتين، أُطيح بكلّ الحواجز التي كانت تفصل الفاتحين عن السكان الأصليين، وقدّر لهما أنْ يظلّا بظلّهما، وأنْ يستوعبا من أبناء الشعوب الأخرى أكثر ممّا قدر لروما أنْ تستوعبه في العصور القديمة، بل أكثر مما قدر لبريطانيا العظمى أنْ تستوعبه في العصر الحديث[1].

لقد أزال التعريب الذي مارسته العربية كلّ الحدود السياسية، وطبعت بطابعها بلدانًا متفاوته ومنتشرة فوق قارات ثلاث، وجعلت الناس فيها يذوبون في الجسم العربي، وينسون ماضيهم التاريخي الخاصّ بهم، ويمتزجون بهذا الواقع الجديد كما لو كان الدين الإسلاميّ موجودًا لديهم من قبل، ولربما لم يشهد التاريخ - منذ أن كانْ هناك تاريخ - انصهارًا للشعوب أكمل ولا أروع من ذلك الانصهار الذي تمّ في بوتقة العروبة والإسلام[2].

فعلى الرغم من أنّ فتوحات المغول في القرن الثالث عشر كانت أوسع بكثير من الفتوحات العربيّة الإسلاميّة، فإنّها لم تكن دائمة وراسخة كالفتوحات العربيّة، فالمناطق التي يحتلّها المغول الآن هي فقط، تلك التي كانوا يشغلونها قبل جنكيزخان.

---

(١) الحضارة العربيّة، ص ٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٥.

لقد صهرت اللغة العربيّة جميع الشعوب في بوتقة العروبة، بحيث إنّ المعاصرين من العراقيين والمصريين والمغاربة، يفخرون في وقتنا هذا بمن فتح العراق ومصر والمغرب في التاريخ العربي القديم؛ لأنّهم يشعرون أنّ هؤلاء الفاتحين من أسلافهم، وإنْ لم يكونوا كذلك من جهة النسب.

وإلى جانب تعاون العربيّة والدين في هذه المهمّة، فإنّ ممّا ساعد على ذلك أيضًا، وسارع في وتيرة وقعه، تأثير الشخصية العربية الآسرة المشحونة بالتسامح والإنسانية، ممّا كان له أكبر الأثر في جعل العربي خير سفير للغته، وخير داعية لدينه.

ولعلنا - بهذا الذي قدّمناه - قد بينّا بطريق مباشر، أو غير مباشر، سرّ نجاح العرب في تعريب هذه المنطقة الشاسعة المسماة بالوطن العربي حاليًّا. في الوقت الذي فشل فيه الآخرون، والسبب واضح بما فيه الكفاية، وهو أنّ الإغريق ومن بعدهم الرومان، كانوا قوّة غاشمة، كانوا طلّاب دنيا، وأصحاب مصالح مادّيّة فقط، ولا رسالة لهم إلا رسالة القوّة والقهر والاستعباد؛ فلم تكن مصالح الشعوب في الأقطار التي قُدّر لهم أن يبسطوا سيطرتهم عليها، تلقى عناية منهم، ولا تثير اهتمامهم.

أمّا العرب فكانوا منقذين لا مستعبدين؛ كانوا أصحاب رسالة روحية سامية، رسالة محبّة وأخوّة وسلام؛ فقد خالطوا الناس، وشاركوهم همومهم ومشاكلهم؛ أحزانهم وأفراحهم، فلم يقبلوا لأنفسهم أنْ يتميّزوا عن أهل البلاد، فيعيشوا في أبراج عاجيّة ينظرون إلى الناس من علُ؛ لأنّ دينهم أوّلاً، وأخلاقهم ثانيًا، لا يسمحان لهم بذلك.



إنّ جدلية العلاقة بين اللغة العربيّة والدين الإسلاميّ، وهذا التلاحم المصيريّ بينهما، جعل أيّ خدمة لأحدهما، خدمة تلقائيّة للآخر، فتعزيز الدين تمكين للعربيّة، وتمكين العربيّة تعزيز للدين، فالعربيّة هي الوسيلة والمادّة، والدين هو الرسالة والغاية، فتلازمهما هو تلازم الروح والجسد.

وإذا كان كلّ مسلم على ثغرة من ثغر الإسلام، فإنّ كلّ واحد منّا - وفي ظل سعار العولمة الشديد، وسياسة التغريب والتهميش لكلّ ما هو عربيّ وإسلاميّ - هو: على ثغرة من ثغر العربية، فلا تؤتينّ من قبله؛ ذلك لأنّ العربيّة ليست لغة عاديّة كأيّ لغة أخرى، فليست هي مجرّد رباط قوميّ، وسياج حضاريّ فحسبُ، إنّها- علاوة على ذلك كلّه- لغة القرآن الكريم؛ جوهر الدين، ودستور المسلمين؛ يعني أنّها لغة للدين والدنيا معًا.

وعليه؛ فإنّ لها في أعناقنا ذمّتين؛ ذمّة دينيّة بوصفها لغة الوحي المنزّل، وذمّة دنيويّة بوصفها هويّة، وهذا يُلقي على كواهلنا مسئوليّة غير عاديّة في الذود عن حياضها، والمحافظة عليها محافظة تتناسب وسموّ الرسالة التي تضطلع بحملها، وعظم الوظيفة التي تؤدّيها في حياتنا، وكلّ عربيّ يعمل على صيانتها، والمحافظة عليها، هو في رباط إلى يوم الدين، لأنّ الرباط الديني لا يتصوّر بدون رباط لغوي عربي.

بقي أنْ نقول: طالما أنّ العناية الإلهية قد تعهدت بحفظ هذا الدين من خلال حماية دستوره العظيم؛ (القرآن الكريم) بصريح قوله عزّ من قائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ [الحِجر]، فإنّه لا خوف على اللّغة العربية، فهي بحمى الرحمن في حرز حريز، وحصن منيع؛ إذْ

إنّ مركزيّة القرآن الكريم في الدّين الإسلاميّ، وكونه مكتوبًا باللّغة العربيّة، قد أسهما في الحفاظ على العربيّة، وحالا دون تفتّتها إلى لهجات لا يفهم بعضها بعضًا، فلا خوف على العربيّة إذنْ، قال يوهان فك: «إنّ العربيّة الفصحى لتدين حتّى يومنا هذا بمركزها العالميّ أساسيًّا لهذه الحقيقة الثابتة، وهي أنّها قد قامت في جميع البلدان العربيّة، وما عداها من الأقاليم الداخلة في المحيط الإسلاميّ رمزًا لغويًّا لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنيّة. ولقد برهن جبروت التراث العربيّ التالد الخالد على أنّه أقوى من كلّ محاولة يُقصد بها زحزحة العربيّة الفصحى عن مقامها المسيطر، وإذا صدقت البوادر، ولم تُخطئ الدلائل، فستحتفظ أيضًا بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنيّة الإسلاميّة ما بقيت هناك مدنيّة إسلاميّة»[(١)].

وقال المستشرق الأمريكي " كوتهيل": «لقد كان للعربيّة ماضٍ مجيد، وفي تقديري سيكون لها مستقبل باهر»[(٢)].

وبناءً على استشراف مستقبليّ ينطلق من الدراسات اللسانيّة التي تعاين موت اللغات وتقهقرها، خلص الأديب الإسباني كاميليو جوزي سيلا، الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٩م، إلى أنّه لن يبقى سوى أربع لغات قادرة على الحضور على المستوى العالمي، من بينها العربيّة[(٣)].

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، ص١٨٠، ٣٧٩. وانظر: الحضارات العربية، ص٩١، ١٧٦.

(٢) الحضارة العربية، ص١٧٥.

(٣) التمكين للغة العربيّة (مجلة مجمع اللغة العربيذة/ دمشق، م٨٣،ج٢)، ص٣٠٨.



وعليه، فإذا كانت العربيّة تاريخيًا هي عميدة لغات العالم حاليًا، فهي كذلك عميدتها مستقبلاً؛ لأنّها لغة القرآن، فهي باقية ببقائه، وخالدة بخلوده.

ثالثًا: الإسهامات الإيجابيّة على المستوى الإنساني

إنّ البعد الإنساني للّغة العربيّة يمكن تلخيصه باقتضاب شديد، وبعبارة جامعة مانعة، بالقول: إنّ اللّغة العربيّة كانت طوق النجاة للحضارة الإنسانية. لقد أدّت اللغة العربية للحضارة الإنسانية نفس الدور الذي أدّته سفينة نوح للبشرية؛ فكما أنقذت سفينة نوح - بقدرة الله سبحانه - نوحًا والذين آمنوا معه من الغرق والموت المحتّم، فأمّنت بذلك للبريّة عُمّارًا، وللبشريّة استمرارا، كذلك فعلت العربيّة بالنسبة إلى الحضارة الإنسانيّة؛ فقد أنقذت تراث الحضارات القديمة، وحفظته من الدّروس والاندثار، فأوجدت بذلك الأساس المتين ،والقاعدة الصّلبة، للنّهضة الأوروبيّة الحديثة، الّتي يتفيّأ ظلالها الأوروبيّون، ويتنعّمون بخيراتها، وثمارها حاليًّا، والّتي نحظى بطرف منها بوصفنا عالة مستهلكين، نقتات على ما تجود به موائد الغربيين في جميع المجالات.

فبنزول القرآن، وظهور الإسلام، أصبحت اللغة العربيّة الركيزة الأساسيّة لحضارة إنسانيّة باهرة، وارتقت خلال مائة عام فقط فأصبحت لغة عالميّة، وقد أملت عليها عالميّتها هذه واجبات وتبعات تجاه الحضارة الإنسانيّة، عرفت اللغة العربيّة كيف تنهض بها، وكيف تؤدّيها على أحسن ما يكون الأداء.

وقد تمثّل ذلك في حفظ كنوز الحضارة الإنسانيّة عن طريق الترجمة، وقد بلغت جهود الترجمة ذروتها بإنشاء دار الحكمة في بغداد على يد الخليفة المأمون (٢١٨هـ) عام ٨٣٠م، التي ألحق بها جهازًا من المترجمين تحت إشراف حنين بن إسحاق (٨١٠ ـ ٨٧٣م)[١].

ولقد كانت دار الحكمة تمثّل أعظم المعاهد الثقافيّة التي ظهرت إلى حيّز الوجود بعد مكتبة الإسكندريّة.

وقد وفرّ المأمون لها كلّ الإمكانات الماديّة، كي تقوم بعملها في ترجمة كلّ ما يمكن الوصول إليه من كتب ومخطوطاتٍ للإغريق وغيرهم، ممّا يجعلنا لا نعدو الصّواب إذا قلنا: إنّ دار الحكمة كانت أول أكاديميّة للترجمة عرفتها البشريّة، وقد كان إنشاؤها عاملاً حاسمًا لتقدّم العلوم، ومنطلقًا للازدهار الإسلامي الساطع.

وقد قام حنين بن إسحاق، والفريق الذي كان يعمل معه، بجمع كلّ ما استطاعوا جمعه من مخطوطات إغريقيّة ولاتينيّة وغيرها، وترجموها إلى اللغة العربيّة التي كانت - ولا تزال حتّى يومنا هذا، بفضل ما تتمتع به من خصائص اشتقاقيّة وتوليديّة رائعة، إلى جانب غناها ودقّتها ومرونتها، وتنوّع طرق التعبير فيها - قادرة وبشكل مدهش على تقبّل كل شيء واستيعابه، فلم تواجهها أي مشكلة في التعبير عن كلّ دقائق الفكر ولطائفه[٢]، ولا في صياغة المصطلحات العلميّة النموذجيّة[٣].

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، ص٢٨٧.
(٢) المرجع السابق، ص٥٢٩.
(٣) الدور العربي في التاريخ الأدبي للقرون الوسطى، ص٥١.



لقد كان لديها ـ ولا تزال ـ القدرة على ترجمة روائع الفكر ومبتكرات العلم وبدائع الفنّ، وكلّ ما يلبّي مطالب الحياة والأحياء، قال المستشرق ألفرد غيوم: «يسهل على المرء أنْ يدرك مدى استيعاب اللغة العربيّة، واتّساعها للتعبير عن جميع المصطلحات العلميّة للعالم القديم بكلّ يسر وسهولة»(١) (٩٤).

وليس أدلّ على ذلك من أنّ جيران العرب في إسبانيا من المسيحيّين، قد وقعوا أسرى سحر هذه اللّغة، وجمالها ومنطقها السليم؛ إذْ على الرغم من العداء السياسي، والازدراء الدّيني اللّذين كان يكنّهما الأوروبيّون للعرب المسلمين في إسبانيا وصقلّية، فإنّ هذا العداء السافر لم ينجح أبدًا في التخفيف من تأثير العربيّة، ولا التقليل من إغرائها لكثير من الناس، الّذين تبنّوا الثقافة العربيّة الإسلاميّة وتشبّثوا بها؛ لاعتقادهم الرّاسخ أنّ لديها الكثير ممّا يمكن أنْ تقدّمه إليهم.

ومن هنا كان امتعاض بعض أساقفة إسبانيا، وشكاواهم المريرة من شدّة إقبال أبناء ملّتهم على تعلّم اللّغة العربيّة، والتحدّث بها بشغف بالغ، وخير دليل على ذلك هذه الشكوى المريرة التي جأر بها عام ٨٥٤م أسقف قرطبة ألفارو (Alvarus)، التي جاء فيها: «كثيرون من أبناء ديني يقرءون أشعار العرب وأساطيرهم، ويدرسون ما كتبه علماء الدين وفلاسفة المسلمين، لا ليخرجوا عن دينهم، وإنّما ليتعلّموا كيف يكتبون اللغة العربيّة ... أين تجد اليوم مسيحيًّا عاديًّا يقرأ النصوص المقدّسة باللغة اللاتينيّة ؟ من منكم يدرس اليوم الكتاب المقدّس، وما قاله

(١) العربيّة (فك)، ص ٢٣٤.

الرسـل؟ إنّ كـلّ الشـباب النابـه منصـرف الآن إلى تعلّـم اللغـة والأدب العربيّين. فهم يقرءون ويدرسون بحماسة بالغة الكتب العربية، ويـدفعون أموالهم في اقتناء المكتبات، ويتحدّثون في كلّ مكان بأنّ الأدب العـربيّ جدير بالدراسة والاهتمام، وإذا حـدّثهم أحـد عـن الكتـب المسـيحيّة، أجابوه بلا اكتراث: بأنّ هذه الكتب تافهة لا تستحقّ اهتمامهم».

ثم يضيف هذا الأسقف – معبّرًا عن أساه واستغرابه البالغين– قـائلاً: «يا للهول لقد نسي المسيحيون حتّى لغتهم! ولن تجد بـين الألـف منـهم واحدًا يستطيع كتابة خطاب باللغة اللاتينيّة، بينما تجد بينهم عـددًا كـبيرًا لا يُحصى يتكلّم العربيّـة بطلاقـة، ويقـرض الشـعر أحسـن مـن العـرب أنفسهم»[(١)].

ولو قُدِّر لألفارو هذا أنْ يشهد المكانة المرموقة، والنجـاح العظـيم، اللّذين حقّقتهما العربيّة على يد أحفاد الفاتحين العرب، وعلى يد أولئك الّذين تبنّوا لغتهم وثقافتهم بعد قرن واحد فقط من تفجّعه وشـكواه تلـك – حيث بلغت الحضارة العربية ذروة مجـدها، وقمّـة عطائهـا – لكانـت الفجيعة والشكوى أشدّ حدّة، وأكثر تسويغًا[(٢)].

إنّ هذا النّصّ الذي نقلناه آنفًا، لهو شاهد إثبات حيّ وصادق على أنّ العربية كانت لغة العلم والحضارة، يتسابق الناس إلى تعلّمهـا والتّحـدّث بها كما يتسابق الناس هذه الأيام إلى تعلّم اللغات الأجنبيّـة، والإنكليزيّـة من بينها على وجه الخصوص.

---

(١) اللغة العربيّة وأسئلة العصر، ص ٨٩.

(٢) الحضارة العربية، ص١٧٦.



إنّ نجاح العربيّة المنقطع النظير في استيعاب حضارات العالم القديم، لأبلغ ردّ على دعوات المرجفين والمشكّكين في صلاحية اللغة العربيّة هذه الأيام للاضطلاع بتدريس المواد العلميّة والتقنيّة في الجامعات والمعاهد العليا؛ فقد أثبتت العربية في عصور العرب الزاهرة أهليّتها وقدرتها الفائقة على استيعاب العلوم على اختلافها، فالمشكلة إذنْ ليست مشكلة قصور في اللغة؛ ذلك أنّ إحدى أكثر صفات اللغة شدًّا للانتباه، وجذبًا للنظر هو قدرتها غير المحدودة على التجديد، وإنّه لمن المضحك حقًّا - على حدّ قول ديفيد كرستل - "أنْ نظنّ أنّ لغة ما تستطيع البقاء بينما هناك نقص في الكلمات التي يريد الناس استعمالها في الحديث عن أيّ ناحية من نواحي البيئة التي يعيشون فيها. فاللغة إنّما تحافظ على مواكبة التقدّم والتطوّر الاجتماعي لمن يستعملونها"[(١)] (٩٧).

إنّ المشكلة - في الحقيقة - هي مشكلة قصور وعجز من أبنائها، قال المستشرق الأمريكي وليم ورل:" إنّ للّغة العربيّة من اللين والمرونة ما يمكّنانها من التكيّف وفق معطيات العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضى أمام أيّ لغة أخرى من لغات العالم التي احتكّت بها، وهي ستحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي"[(٢)] (٩٨).

وعليه فإنّ ضعف موقف العربيّة هذه الأيّام، يعود - في الواقع - إلى تراجع الأمّة الحضاري في الميادين كافّة؛ فكريًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا وعسكريًّا، قال ابن حزم: «إنّ اللّغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ... فإنّما يقيّد لغة الأمّة وعلومها وأخبارها قوّة دولتها، ونشاط

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، ص٣٧٥.
(٢) المرجع السابق، في المكان نفسه.



أهلها وفراغهم، وأمّا من تلفت دولتهم، وغلب عليهم عدوّهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذلّ، وخدمة أعدائهم فمضمون منهم موت الخواطر، وربّما كان ذلك سببًا لذهاب لغتهم»[(١)].

وقال طه حسين بهذا الخصوص: «لن تتطوّر[يقصد اللغة] ما لم يتطوّر أصحابها أنفسهم، ولن تكون لغة حيّة إلاّ إذا حرص أصحابها على الحياة، ولن تكون لغة قادرة على الوفاء باحتياجات العصر إلاّ إذا ارتفع أصحابها إلى مستوى العصر: ثقافة وسلوكًا وفهمًا؛ أخذًا وعطاءً»[(٢)].

وقال فندريس (١٨٧٥-١٩٦٠م): «طاقة اللغة تتوقّف على عدد الذين يمارسونها، ودرجة تعلمهم»[(٣)].

إنّ المشكلة - في الحقيقة - هي مشكلة قرار سياسي ليس غير.

والذي يبدو لكلّ ذي عينين أنّ أولي الأمر في الوطن العربي غير مهتمّين باتّخاذ قرار سياسيّ كهذا، باستثناء سوريّا التي التزمت تدريس الطبّ والعلوم على اختلاف فروعها باللّغة العربيّة منذ عام ١٩١٩م، وهو العام الذي شهد افتتاح معهدي: الطب والحقوق، اللذين التزما اللّغة العربيّة في تدريس مختلف العلوم منذ افتتاحهما، واللذين شكّلا بدورهما نواة جامعة دمشق الحاليّة.

إنّ تدريس العلوم بلغة أجنبية يعني- في الواقع - تنازلاً طوعيًّا وإراديًّا عن جزء من هويّتنا واستقلالنا الثقافي، وإذعانًا لمبدأ الوصاية أو

(١) التمكين للغة العربيّة (مجلة مجمع اللغة العربية/ دمشق، م٨٣، ج٢): ص٣٩.
(٢) العربيّة(مجلّة)، العدد ١٧ ، ص٤٧.
(٣) التمكين للغة العربيّة (مجلة مجمع اللغة العربية/ دمشق، م٨٣/ج٢): ص٣١٥.



الانتداب الثقافي لهذه اللغة أو تلك. والأمّة التي تحترم نفسها، وتتمسّك بقيمها، وتعتز بتراثها، لا تقبل مطلقًا مبدأ الوصاية والانتداب بأيّ شكل من الأشكال.

إنّ بناء مجتمع معرفة عربيّ لا يمكن أنْ يتمّ إلاّ باللغة العربيّة؛ لأنّ التعليم باللغات الأجنبيّة يشكّل عائقًا، وحجر عثرة أمام نشر المعرفة وتعميمها، فالإبداع في العلوم لا يتأتّى استيعابها كما ينبغي إلاّ باللغة الأمّ، فالعربيّ يستطيع استيعاب العلوم الطبيعيّة على نحو أفضل إذا ما درسها بالعربيّة.

ولعلّ أكبر دليل على ذلك هو أنّ مصر؛ أكبر دولة عربيّة - على سبيل المثال - لم تنتج إلاّ ١% ممّا تنتجه أستراليا من البحوث الطبيّة، مع أنّ الطبّ يُدرّس في مصر باللغة الإنكليزيّة منذ مائة عام أو يزيد(١)، هذا مع العلم أنّ استراليا - بالنسبة إلى التقدّم العلمي- هي دون بلدان كأمريكا، و بريطانيا بدرجات كثيرة.

إنّ اللغة مظهر من مظاهر قوّة الابتكار في الأمّة، فإذا ضَعُفت قوّة الابتكار توقّفت اللغة، وإذا توقّفت اللغة، تقهقرت الأمّة.

وشواهد التاريخ قديمًا وحديثًا، تثبت أنّه لا يتأتّى للأمّة أنْ تتقدّم، ولا يتأتّى لها أنْ تُشيد حضارة، ما لم تكن لغة التعليم فيها هي لغة الأمّة نفسها، لا بأيّ لغة أُخرى.

ولنتأمّل في المقابل هذه المفارقة العجيبة: العدوّ الصهيوني الغاصب، لمّا كان يهمّه اتّخاذ قرار كهذا، استطاع - وعلى الرغم من

(١) الحضارة العربية، ص١٧٦.

تعدّد الأجناس والأعراق - أنْ ينبش على العبرية قبرها، وأنْ يحيـي لغـة خرجت من حيّز الاستعمال منذ أكثر من ألفي عام، ويجعلها لغة رسميّـة لكيانه الغاصب، ولغة للتخاطب والثقافة والأدب والعلم بشتّى فروعه.

وتقتضي منّا الموضوعيّة، والحَيـدة العلميّـة، أنْ نقـدّر لعـدوّنا هـذا الإنجاز العظيم الذي حقّقه، الذي يعد معجزة حقيقيّة على كلّ الصُـعُد، لقد أحيوا لغة ميتة، ونحن في المقابل نعمل جاهدين علـى وأد العربيّـة، وتقوقعها، وإخراجها من مسرح الحياة شيئًا فشيئًا، قال المستشرق لويس ماسينيون (١٨٨٣-١٩٦٢م): «ليس على وجه الأرض لغة لها من الروعة والعظمة ما للّغة العربيّة. ولكنْ ليس على وجه الأرض أمّة تسعى بوعي أو بلا وعي لتدمير لغتها كالأمّة العربيّة»[١].

هذا على الرغم من الفارق الكبير بين العربية والعبرية، من حيث غنى كلٍّ منـهما، ومـن حيـث رسـالتها، ومـدى إسـهامها في بنـاء الحضـارة الإنسانيّة.

إنّ العرب في عصورهم الزاهرة كـانوا يعـون جيـدًا عِظَـم المسـئوليّة الملقاة على عاتقهم تجاه الإنسانيّة، والحضارة البشريّة، لـذلك اجتهـدوا في المحافظة عليها بالترجمة ما استطاعوا إلى ذلـك سـبيلاً، ولم يبخلـوا على جهود الترجمة بالمال؛ لأنّ العلم عندهم لا يُقدّر بمال، ولذلك فقد أهانوا أموالهم في سبيله، وليس أدلّ على ذلك من أنّ الخليفة أبـا جعفـر المنصور (١٥٨هـ)، قد عرّض الخزينة العامّـة للدولـة لخطـر الإفـلاس، بسبب كثرة ما أنفق من ذهب على عدد كبير من أولئك العلماء[٢].

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، ص٣٧٧.
(٢) التعريف بعلم اللغة، ص ٥٤.



ويتجلّى هذا الحبّ للعلم، وذاك الحرص الشديد عليه عند العرب، فيما قام به الخليفة هارون الرشيد (١٩٣هـ) من وضعه شرطًا أساسيًا لعقد الصلح بعد احتلاله عمّوريّة وأنقِرة، يقضي بتسليم المخطوطات الإغريقية القديمة[١].

وقد تكرّر هذا السلوك الرشيد، من الخليفة الرشيد، على يد ابنه المأمون، فبعد انتصاره على قيصر بيزنطة ميخائيل الثالث Michael III، طلب المأمون منه أنْ يتنازل له عن إحدى المكتبات الشهيرة في القسطنطينيّة، وتسليم كلّ ما يمكن تسليمه من أعمال الفلاسفة الإغريق القدماء التي لم تتمّ ترجمتها بعدُ إلى العربية.

وقد عدّ المأمون ذلك بديلاً عن تعويضات الحرب[٢]، الأمر الذي أثار دهشة إمبراطور بيزنطة واستغرابه. فبدلاً من تسليم الأسلحة والسفن الحربيّة، كما تجري به العادة في الحروب، اشترط العرب تسليم المخطوطات والكتب العلميّة؛ لأنّهم يوقنون تمامًا أنّ العلم أقوى الأسلحة على الإطلاق، فما أروعه من موقف ! وما أعظمها من عبرة !

وبفضل الترجمات أمكن الحفاظ على مخطوطات كثيرة، ضاعت واختفت معالمها، ولم يبق منها أثر، والنقل والترجمة في حالة كهذا تساوي الابتكار والإبداع[٣].

(١) الإحكام في أصول الأحكام، ١/ ٣١
(٢) اللغة، ص ٤٢١.
(٣) اللغة العربيّة وأسئلة العصر، ص ١٥١.

لقد أنقذت اللغة العربية من خلال الترجمة تراث الثقافة والحضارة القديمة من براثن الضياع، ومتاهات النسيان.

ولقد كان هذا عملاً إنقاذيًّا رائعًا له مغزاه الكبير في تاريخ العالم(١)، فكثير من المخطوطات التي فُقدت وضاعت أصولها، لولا العرب ولغتهم ما عرف الغرب عنها شيئًا، ولا للوقوف على ما جاء فيها سبيلاً، مثل كتب جالينوس في علم التشريح، التي كانت مبعثرة في أكثر من مائة مخطوط، والتي حفظتها العربيّة من خلال كتب حنين بن إسحاق، وكتاب " الأصول " لابن رضوان (٩٩٨ ـ ١٠٦١م)(٢).

وكذلك مخطوطات هيرون Heron، وفيلون Philon، ومخطوطات فيلاوس في الميكانيكا والرياضيّات، ومخطوطات بطليموس في البصريّات، ومخطوطة لإقليدس في علم التوازن، ومخطوطة في ساعة الماء، وقانون العوم لأرخميدس(٣).

إنّ ما قامت به العربيّة من جهد إنسانيّ، تمثّل في إنقاذ كنوز الحضارة الإغريقيّة، وحفظها من خلال ترجمتها وتهذيبها وتطويرها، ونقلها إلى الغرب، لهو أعظم خدمة قدّمها العرب ولغتهم، بحيث يتعيّن على البشريّة جمعاء أنْ تقوم بواجب الشكر والعرفان للعربيّة وأهلها، فلم يكن العرب في عملهم هذا سلبيين، ولا أنانيّين، فما أنقذوه من ثقافات وعلوم لم يحتفظوا به لأنفسهم، ولم يضعوه في المتاحف والأقبية بعيدًا عن النور

(١) يزع بالحاكم، ص ٢١٩.
(٢) شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٢٨٦.
(٣) المرجع السابق ص ٣٨٤، وانظر: لهب المعرفة، ص ٦٤٨.



والهواء، وإنّما خرجوا به من عالم العفونة والنسيان، وبعثوا فيه الحياة من جديد، وجعلوه في متناول كلّ راغب في المعرفة[١].

فبفضل العربية تعرّفت أوروبا على أهم آثار القدامى، وبفضل الترجمات والتعليقات والتطويرات التي أدخلوها عليها استطاع التفكير والبحث العلميّين أنْ يشقّا طريقهما إلى الغرب، ويضعا بذلك حجر الأساس للنهضة الأوروبيّة الحديثة؛ إذْ لم يبدأ ازدهار الغرب، ولم تبدأ نهضته إلا عندما بدأ احتكاكه بالعرب: سياسيًّا وعلميًّا وتجاريًّا، الأمر الذي أدّى إلى استيقاظ التفكير الغربيّ بعد سبات طويل[٢].

والذي نحبّ أنْ نؤكّده ههنا، هو أنّ العربيّة في إنقاذها للحضارة الإغريقيّة، وتراث القدماء عامّة، وتقديمها للغرب، لم تكن في عملها هذا مجرّد ناقل لحضارات الشعوب مثل ساعي البريد، كما تنادي بذلك بعض النظريات التاريخيّة الغربيّة المغرضة والحاقدة.

إنّ تصوير العرب ولغتهم بأنّهم مجرّد نقلة، تصوير باطل، وموقف متحامل، متجنّ على شرف الحقيقة[٣].

فقد طوّر العرب بتجاربهم وأبحاثهم العلميّة ما أخذوه عن الإغريق من مادّة خامّ، وشكلّوها تشكيلاً جديدًا، فمن بين فرث ودم إغريقيّ ولاتينيّ وهنديّ وفارسيّ، استصفى العرب من هذه الأمشاج كلّها، علاوة

(١) المرجع السابق، ص ٣٧٨.
(٢) المرجع السابق، ص ٥٤١.
(٣) المرجع السابق، ص ١٢، ٤٧٤.



على ما توصّلوا إليه من تجاربهم وملحوظاتهم الخاصّة، حضارة قُدِّر لها أنْ تسود العالم مدّة سبعة قرون متتالية.

إنّ العرب ولغتهم لم ينقذوا الحضارة الإغريقية من الزوال، ولم ينظّموها ويرتّبوها ثمّ يهدوها لقمة سائغة إلى الغرب فحسب، وإنّما هم أيضًا من أسّس طريق البحث العلمي. فلم يبدأ البحث العلمي الحقّ القائم على الملاحظة والتجربة إلا عند العرب[١].

لقد أثّر العرب ولغتهم بقوّة في مجرى الأحداث العالمية، وقد كانوا روّادًا لغيرهم من الشعوب في كلّ أنحاء المعمورة، بحيث يدين لهم الغرب وتدين لهم الإنسانيّة كلّها بالشيء الكثير، ولا يملك المنصفون من الغربيّين أنفسهم إلاّ الاعتراف والإقرار بهذه الحقيقة، فهذه المستشرقة الألمانيّة زيغريد هونكه على سبيل المثال تعترف قائلة: «إنّنا لندين - والتاريخ شاهد على ذلك - في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب»[٢].

وقال جاك ريسلر: «فلنتخيّل فقط أوروبا في فجر الأزمنة الحديثة، وهي لا تجد في متناولها تلك الموروثات الثلاثة، التي أسهم الإسلام في تقديمها للمشروع البشري: البارود، والبوصلة والكتاب، ولنتوقع ماذا يمكن أنْ تكون عليه أوروبا من دون ذلك كلّه»[٣].

(١) المرجع السابق، ص ٤٠١.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٠.
(٣) الحضارة العربية، ص١٩٣.



لقد اعترف الأوروبيون بدور العرب في التاريخ حين قالوا: إنّ العرب قد نقلوا كنوز القدامى إلى بلاد الغرب[١].

ولكنّ المفارقة العجيبة هي أنّ من يتصفّح مائة كتاب تاريخيّ، لا يجد اسمًا للعرب في ثمانية وتسعين منها، ويرجع ذلك إلى ما يسميه بعضهم مبدأ التنقيحيّة التاريخيّة[٢].

ولعلّ الأصح هو مبدأ التزوير التاريخيّ الذي قُصد به محو أيّ أثر للعرب في الحضارة الغربيّة، ومعلوم أنّ الأقوياء والمنتصرين، هم الذين يكتبون التاريخ ويوظّفونه عادة، لإقرار هيمنتهم وتمجيدها، الأمر الذي يتطلّب طمس كثير من الحقائق والآثار.

إنّ الغربيين المسكونين عمومًا بجنون العظمة، والشعور بالقوة والتفوّق، يجدون مشقّة كبيرة في الإقرار باحتمال أنْ يكونوا - بطريقة أو أخرى - مدينين بصورة بالغة للأمّة العربيّة، أو أنْ يكون العرب عاملاً رئيسيًّا في صنع أوروبا القرون الوسطى[٣].

وعليه؛ فلم يكن ممكنًا ولا متخيّلاً- من ثَمَّ- الاعتراف بوجود مكوّن عربيّ إسلاميّ إيجابيّ في الحضارة الغربية. وانطلاقًا من مبدأ التنقيحيّة التاريخيّة، أو التزوير التاريخيّ، أخذ الغرب يروّج لفكرة خطيرة ما زالت قويّة حتّى الآن، ألا وهي فكرة استمراريّة أو متّصليّة الحضارة الغربيّة ووحدتها، اللّتين بدأتا بالإغريق، واستمرّتا خلال إيطاليا في القرن الخامس عشر الميلادي، بعد أنْ نجتا من ركود العصور المظلمة[٤].

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، ص١٢.
(٢) الدور العربي في التاريخ الأدبي للقرون الوسطى، ص٢٣.
(٣) المرجع السابق، ص٦.
(٤) المرجع السابق، ص ١٨.

وهذا يعني قطعًا لأيّ علاقة للحضارة الغربيّة بمنجزات العرب في فترة عصور الغرب الوسطى، وتبنيًّا واعتمادًا في المقابل، لسلف آخر لحضارتهم، غير العرب ولغتهم.

ومهما حاول الغربيون طمس الحقائق، باغتيال أجزاء من التاريخ، فإنّ الحقائق على الأرض، وعلى رفوف المكتبات، لا يمكن محوها، ولا إسكات صوتها بأيّ حال من الأحوال.

لقد أدّت العربية دورها في الحضارة الإنسانيّة، على خير ما يكون عليه الأداء، ولسوف تظلّ العربية الفصحى مشعلاً حضاريًا، وستظلّ قوام أمتنا الثقافيّ والسياسيّ والحضاريّ، وستظلّ رمز وحدتنا، والروح المجسّدة لهويّتنا الفكريّة، والنافذة المشرعة إلى التاريخ والحضارة، وأداة صناعة المستقبل بأبعاده الإسلاميّة والإنسانيّة السامية.

وأخيرًا .. فإن اعتراف هيئة الأمم المتحدة بالعربيّة لغة عالميّة سادسة عام ١٩٧٣م، إلى جانب الإنجليزيّة والفرنسيّة والروسيّة والصينيّة والإسبانيّة، الّذي هو مظهر من مظاهر التكريم والتقدير لدورها في خدمة الحضارة الإنسانيّة، ليعد تعبيرًا عن صحوة متأخرة للضمير العالميّ تجاه اللغة العربيّة، ومحاولة لإنصافها، وتقديرها حقّ قدرها، وهو في المحصلة النهائيّة لا يزيد على كونه بعضًا مما تدين به البشريّة كلّها لعميدة لغات العالم حاضرًا ومستقبلاً.

ولا يسعني في نهاية هذا المطاف إلاّ أنْ أردّد مع الشاعر العربيّ الكبير؛ نزار قبّاني (١٩٢٣-١٩٩٨م)، كلماته الرائعة، التي تغنّى فيها



بحبّ العربيّة، والمتضمّنة لأنبل المشاعر، مصوغة في أعـذب الألحـان، والمعبّرة بصدق عمّا يجيش به الصدر من لواعج وأشجان، فأقول:

إنّي أُحبّـك كـي نبقـى علـى صـلة
بالله، بالأرض، بالتاريخ، بالزمن
أنــت الــبلاد الــتي تُعطـي هويّتــها
من لا يُحبّك يبقى دون مـا وطـن

المراجـع

أ- الكتب :

- إفيتش، ميلكا، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: سعد مصلوح ووفاء كامل ط٢، المجلس الأعلى للثقافة ـ القاهرة ٢٠٠٠م.
- الأنطـاكي، محمـد، الـوجيز في فقـه اللغـة، ط٣، مكتبـة دار الشروق ـ بيروت، د.ق.
- أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة، ١٩٧٥م.
- برجشتراسر، جوتلف، التطـور النحـوي للغـة العربيـة، إخـراج وتصحيح وتعليق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي ـ القـاهرة ١٩٩٧م.
- بروكلمان، كارل، ، تاريخ الأدب العربي، ترجمة مجموعة مـن المترجمين بإشـراف محمـود حجـازي، الهيئـة المصـريّة العامّـة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م
- فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، جامعة الرياض ١٩٧٧م.
- بلعيد، صالح، يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٠م



- الجندي، أنـور، الفصـحى لغـة القـرآن، دار الكتـاب اللبنـاني، ومكتبة المدرسة ـ بيروت ١٩٨٢م.
- ابن حـزم. أبـو محمّـد، علـيّ بـن أحمـد، الإحكـام في أصـول الأحكـام، تحقيـق: أحمـد محمّـد شـاكر، ط١، دار الآفـاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م
- حسّان، تمام، مناهج البحث في اللغة، ط٢، دار الثقافة ـ الـدار البيضاء، ١٩٧٤م.
- أبو حيّان، أثـير الـدين، محمّـد بـن يوسـف، البحـر المحـيط، تحقيق: عادل عبد الموجود وزملائه، دار الكتب العلميّـة، ط١، بيروت، ٢٠٠١م
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ط١، دار الفكر العربي ـ بيروت ١٩٩٧م.
- الراجحي، عبده، النحو العربي والدرس الحـديث، دار النهضـة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٧٩م.
- ريسلر، جاك، الحضـارة العربيـة، ط١، منشـورات عويـدات ـ بيروت، باريس ١٩٩٣م.
- السامرائي، إبراهيم. فقه اللغة المقارن، ط٢، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٨م.
- سامسـون، جفـري، مـدارس اللسـانيات، التسـابق والتطـور، ترجمة: محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود ـ الرياض ١٩٩٧م.

- السجستاني، أبو بكر عبدالله بن أبي داود، المصاحف، دار الكتب العلميّة، ط١، بيروت، ١٩٨٥م
- سوسير، فردينان، دروس في الألسنية العامة، ترجمة: صالح القرمادي، ومحمد الشاوش، ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب ـ طرابلس ١٩٨٥م
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال :
- الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ط١، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٨٥م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ القاهرة ١٩٨٥م.
- شاده، آرتور، علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، محاضرة نشرت بصحيفة الجامعة المصرية، السنة الثانية، العدد الخامس ـ القاهرة ١٩٣١م.
- الشايب، فوزي، محاضرات في اللسانيات، ط١، وزارة الثقافة ـ عَمَّان ١٩٩٩م.
- الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، ط٦، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٦م.



- الطنطاوي، محمد، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ط٥، دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٣م.

- عبد التواب، رمضان، فصول في فقه العربية، ط٢، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ١٩٨٠م.

- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط١، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، ومكتبة الرفاعي ـ الرياض ١٩٨٢م.

- العناتي، وليد، وبرهومة، عيسى، اللغة العربيّة وأسئلة العصر، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠٠٧م

- ابن فارس، أحمد، الصاحبي، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي وشركاه ـ القاهرة، د.ت.

- الفرّاء، أبو زكريّا، يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: على محمّد النجّار ويوسف نجاتي، عالم الكتب، ط٣، بيروت، ١٩٨٠م

- فك، يوهان، العربية، ترجمة: عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ١٩٥١م.

- فليش، هنري، العربية الفصحى، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط١، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٦٦م.

- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٣، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨١م.

- كرستل، ديفيد، التعريف بعلم اللغة، ترجمة : حلمي خليل، ط١ ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، الإسكندريّة، ١٩٧٩م

- الكنتوري، كرامت حسين، مقدمة فقه اللسان ـ الهند ١٩١٥م.

- ابن مجاهد، أبو بكر، أحمد بن موسى، السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٩٨٠م

- مونيكال، ماريا روزا، الدور العربي في التاريخ الأدبي للقرون الوسطى، ترجمة: صالح بن معيض الغامدي، جامعة الملك سعود ـ الرياض ١٩٩٩م.

- النحاس، أبو جعفر،أحمد بن محمّد، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربيّة، ط٢، القاهرة، ١٩٨٥م

- نولدكه، ثيودور، اللغات الساميّة، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، د.ت

- ابن هشام، أبو محمّد، عبدالله جمال الدين، شرح شذور الذهب، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجاريّة الكبرى، ط١٠، القاهرة، ١٩٦٥م



- هلبش، جرهارد، تاريخ علـم اللغـة الحـديث، ترجمـة: سـعيد حسن بحيري، ط١ ، مكتبة زهراء الشرق ـ القاهرة ٢٠٠٣م.
- هونكه، زيغريد، شمس العرب تسـطع علـى الغـرب، ترجمـة: فـاروق بيضـون وكمـال دسـوقي، ومراجعـة: مـارون عيسـى الخوري، ط٨، دار الجيل ـ بيروت ١٩٩٣م.
- هيشن، كلاوس، القضايا الأساسيّة في علم اللغة، ترجمة: سعيد حسـن بحـيري، مؤسّسـة المختـار للنشـر والتوزيـع، القـاهرة، ٢٠٠٣م
- وافي، علي، فقه اللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القـاهرة ١٩٥٦م.
- 41- O'leary, Delacy: Comparative grammar of the semitic languages. Phillo Press Amsterdam, 1969
- 42-Wright. W.: lectures on the comparative grammar of the semitic languages. Phillo Press Amsterdam, 1981

ب- الدوريات

- العربيّة، العدد ١٧، الشارقة، ٢٠٠٧م
- مجلّة مجمع اللغة العربية/ دمشق، التمكين للغة العربية، آفاق وحدود، محمود السيد، المجلد ٨٣، الجزء ٢، دمشق، ٢٠٠٨م



منح القراءة والشرح

عند الشيخ محمود محمد شاكر

من خلال كتاب (طبقات فحول الشّعراء)

عبد الحميد بن محمد العُمَري

باحث في الأدب العربي

العدد الثاني
ذو القعدة ١٤٣٤هـ
سبتمبر ٢٠١٣م

مجلة مجمع اللّغة العربية
على الشبكة العالمية



السيرة العلمية:

عبد الحميد بن محمد العُمَري

- باحث مغربي في الأدب العربي.
- له أعمال مطبوعة، منها:

امسح دموعك (ديوان شعر).

قلبي إليك (ديوان شعر .. تحت الطبع).

سحر الأدب .. الأدب مدخلاً إلى النهضة وبلوغ الأرب (بالاشتراك مع: فاطمة مرداني).

الدّرر النّقية بشرح المنظومة الخزرجيّة، لعثمان بن إبراهيم نعمة الله (تحقيق، بالاشتراك مع: فاطمة مرداني).

في قِرَاءة النُّصُوص وَنَشْرِهَا

التحقيق صناعة وعلمٌ؛ فأما جانب الصَّنْعة فقد كُتبت حوله كثير من الكتب والدراسات، وصارت له قوانينه وأدواته ومصطلحاته، وتأسَّسَتْ فيه مناهجُ ومدارس، تتفق على قواعد في جمع النسخ والموازنة بينها، وتوثيق العنوان واسم المؤلف ونسبة المخطوط إليه، ونسخه والتعليق عليه وتخريج نُقُولِه، ثم مَا يكونُ من صُنع الفهارس الفنية وما يرتبط بها. وهذا أمر يشترك فيه الناس جميعا، ولا مجال للتفاضل فيه إلا ما يكونُ من الوفاء بالقواعد أو القصور عنها.

وأما جانبُ العلم في التحقيق، فهو الميدان التي تختلف فيه أقدار المحققين، ويَتَمَايَزُ فيه الرجالُ، فيرتفع العالم ويقصُرُ عن منزلته مَنْ هو دونه، وهو الغاية التي ليس من ورائها شيءٌ، وإليها تُشَدُّ الرِّحالُ، وعليها مدارُ الإحسان في القراءة، والإتقان في العمل. ذلك أن كلَّ داخلٍ إلى هذا الميدان يستَنِدُ إلى معرفته، وعُدَّتِه مِن العلم والإحاطةِ بموضوع المخطوط الذي هو بصدده، وحُسْنِ التعامل مع نصه، وتحَرِّيهِ في التوثيقِ والنقلِ والشرحِ والتعليق، ويكونُ الإتقانُ بحسب تمكُّنِه مِن ذلك العلم.

وكان المستشرقون أسبقَ إلى نشر التراث العربي، ولهم جهودٌ في ذلك دعت إليها أهدافهم التي سعوا إليها. ولكن دخولهم ميدان التحقيق والنشر، فتح أعين العرب على ضرورة القيام بهذا العمل على أكملِ وجه، وإلى النظر في طرق نشر التراث وإخراجه نظرة جدٍّ وإتقان، فكانَ منهم من اقتفى أثر المستشرقين وحذا حذوهم في إحسانهم وإساءتهم، وفي عِلْمِهم بالتراث وجهلهم. وكان منهم من خالف طريقهم واستفاد من



أخطائهم فتفاداها، ومِنْ أوهامهم فتحاشاها، وأماط عن المنهج كثيرا من قواعد القراءة الفاسدة، وصفَّاهُ من ملحقات وزوائد لا معنى لها في صناعة التحقيق.

وقد مَرَّ تاريخ نشر التراث العربي من لدن علماء الأمة بِعِدَّة مَراحلَ حتى استوى على سُوقه، وقامَ على أُسُسٍ مَتِينة بَلَغَ فيها الغايةَ طائفةٌ من العلماء الأجلاء، فصاروا نجوما في سماء تحقيق التراث لا تطاولُ، وقامات عزَّ أن يبلغَ ما بلغت مَن يُحاوِلُ. فكان مِن أبرز هؤلاء المحققين الكبار الشيخ أحمد محمد شاكر (١٣٠٩هـ/١٨٩٢م-١٣٧٧هـ/١٩٥٨م) محقق كتاب "الرسالة" للإمام الشافعي، ومحمود محمد شاكر (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م –١٤١٨هـ/١٩٩٧م) قارئُ "جامع البيان" لابن جرير الطبري و"طبقات فحول الشعراء" لمحمد بن سلام الجمحي، وعبد السلام محمد هارون (١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٩ م - ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م) محقِّقُ أكثر كُتُبِ الجاحظ، وعلى رأسها "البيان والتبيين" و"الحيوان"، والسيد أحمد صقر (١٣٣٥ هـ/ ١٩١٥م- ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) محقق كتاب "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة، وغيرهم من الأئمة الأعلام في ميدان التحقيق. وقد بلغ هؤلاء في إتقانهم مبلغا عظيما فكان من عملهم "التنبه الشديد لفرق ما بين النسخ، وإضافات النساخ، فيما خفي ودقَّ، وربط كلام [المؤلف] بكتبه الأخرى، وتوثيق النقول، وتحرير المسائل، ثم العناية الفائقة بالضبط، وصنع الفهارس الفنية"[(١)].

---

(١) مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٧٤ م ، ص:٩٣. مع بعض التصرف، حيث يتحدث بصورة خاصة عن عمل الشيخ أحمد شاكر في "الرسالة".



وقد صارت هذه الفهارس الفنية مفاتيحَ أساسيةً للكتب المحقَّقَة تضيف معرفة واسعة محيطة بكل مواد الكتاب، وتُقَدِّمُ علما جليلا وفوائد لغوية مما يَرِدُ في أَثْنَاءِ الكتاب، فاستَكْمَلَتْ تلك الكتبُ كلَّ أسباب التوثيق والتحقيق، كان يراها الناس جديدة، ولكنها مُتَّصِلة بما سَنَّهُ الأوائلُ مِن علماء الأمة وأصَّلُوهُ، وهذا الأصل القديم في صناعة التحقيق والتوثيق من الأُمُور التي برع فيها علماء الأمة في الزمن الأول، فلم يكن لمن جاء بعدهم من المستشرقين وعلماء العربية الذين قاموا بنشر تراثهم إلا أن يبعثوا تلك الأصول ويُعِيدُواْ النظر فيها، ويضيفوا إليها ما به تصير طيِّعة لعمل النشر بالوسائل الحديثة، وهذا أمر لا ينكره أحد.

مَنهَجُ الشَّيخ محْمُود محمَّد شَاكر

لقد دخل الشيخ محمود محمد شاكر إلى هذا الميدان من باب أوسع وأرحب، وكان هذا العملُ وسيلة من وسائل خدمة مشروعه الكبير، لا غايةً في نفسه كما نرى عند كثير من أهل التحقيق. ذلك أن الرجل قد أرَّقَتْهُ قضية أُمَّته العربية وما يُحَاكُ ضِدَّها في كل ميادين المعرفة والثقافة لغةً وشعرا وتراثا بأكمله، فنصب نفسه - منذ فتح عينيه على واقع أمته - مُدافعا عنها في غير هوادة، لا يُمَارِي في سبيل الحق أحدا، ولا يخاف في الله لومة لائم، يجهر بذلك ويسر، فلا يغتَرُّ أن يُوَافِقَهُ في ما يؤمن به مَنْ يوافقُ، ولا تَضُرُّه مخالفة من يخالفه.

فَلا مُبَالٍ، وَلا مُدَاجٍ، وَلا وَانٍ، ولا عَاجِزٌ، ولا تُكَلَهْ[1]

(١) أبو الطيب المتنبي.



وقد بث هذا في جميع ما كتب، وجاء به على نحو خاص في كتابيه "أباطيل وأسمار"، و"رسالة في الطريق إلى ثقافتنا"، فنجده رحمه الله يقول في مقدمة "أباطيل وأسمار" إن غرضه من كتابة فصول الكتاب:

"الدفاعُ عن أمة برُمَّتِها، هي أمتي العربية الإسلامية، وجعلت طريقيَ أن أهتك الأستار المسدلة التي عمل مِنْ وراءها رجال فيما خلا من الزمان، ورجال آخرون قد ورثوهم في زماننا. وهمُّهم جميعًا كان: أن يحققوا للثقافة الغربية الوثنية كلَّ الغلبة على عقولنا، وعلى مجتمعنا، وعلى حياتنا، وعلى ثقافتنا، وبهذه الغلبة يتِمُّ انهيار الكيان العظيم الذي بناه آباؤنا في قرون متطاولة، وصحَّحُوا به فسادَ الحياة البشرية في نواحيها الإنسانية والأدبية والأخلاقية والعملية والعلمية والفكرية، وردُّوها إلى طريق مستقيم. عَلِمَ ذلك مَن عَلِمَه وجهله مَن جهله"(١).

فهو يرى أن عمله في نشر النصوص جُزْءٌ من جهاده في خدمة العربية وحراستها والدفاعِ عنها لا ينفصلُ عنه في شيء. وأمرٌ ثان ليس لأحد شك فيه، هو ثقافته الموسوعية التي قلَّ لها نظيرٌ في زمننا هذا، يَتَبَيَّنُ هذا كلُّ مَن اقترب من كتب الشيخ ومقالاته وما أخرَجَه من كتب التراث، سواء في ذلك من توقَّف مُتَأملا أو مرَّ بها سريعا.

وفي كلِّ وقفة يكتشف القارئ من بيانه - رحمه الله - هذه الحقيقة الصارخة التي لا يماري فيها أحدٌ، وهي التي دفعت بمعاصريه من أعلام التحقيق أن يعترفوا له في طريقهم بالريادة.

(١) أباطيل وأسمار، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م. ص: ٠٧.

يقول عنه العلامة المحقق السيد أحمد صقر رحمه الله: "أعرفه راويةً، غزير المادة، قويَّ الذاكرة، وناقدًا، ثاقب الفكر، أَلْمَعِيَّ النظر، بصيرًا بأسرار اللغة ووقائعها، خبيرًا بعلوم العرب ومعارفها، ومنازعها في بيانها وتبْيينهَا، وسَنَنِهَا في منظومها ومنثورها. وهو إلى ذلك كاتب قدير، تلمح فيما تُدَبِّجُهُ يَرَاعَتُه أصالة الرأي، وصدق الحس، ووضوح الفكرة، ونصاعة الحجة، وقوة التصوير، وفحولة التعبير. وشعره كذلك شعر رائع، تلمس فيه فورة الشعور، وثورة العاطفة، وذكاء القلب، واشتغال الفكر، والتمَرُّسَ البصير بأشعار الفصحاء من القدماء"(١).

هذان الأمران اللذان تميز بهما عن غيره من رواد نشر النصوص، لا بدَّ يظهر أثرهما في ما نَشَرَ من أصول التراث بشكل مُلْفِتٍ للنظر، ففي كل كتاب منها "يظهر علمه الغزير الواسع الذي لا يُدانيه فيه أحد من أهل زماننا، لأنه علم موصولٌ بكلام الأوائل، مُنْتَزَعٌ منه ودالٌّ عليه ومُكَمِّلٌ له"(٢).

هذا هو الرّجلُ في علمه وهمَّتِه !! أمَّا جانبُ الصنعة في تحقيقه للنصوص، فقد حاز فيها الغايةَ، واستوفى فيها كل شروط التحقيق الصحيحة، وزاد عليها شروطا ألزم بها نفسه مما يقتضيه مَنْهَجُ "التَّذَوُّق" الذي ارتضاه لنفسه، من بعد أن استخرجه من تراث الأمة، وجمع شتاته، وأصَّلَ له في نفسه، حتى إذا صار واضحَ المعالم بيِّنًا سَوِيا، التزم

(١) مقالات العلامة المحقق اللغوي الأديب السيد أحمد صقر، جمع وإعداد أحمد بن موسى الحازمي، دار التوحيد للنشر بالرياض، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م- مقالة "نقد كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي"، ص ٣٧٧.

(٢) مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي، جمع وتقديم محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية- الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٦م. ص: ٤٨١.



به. فانضَافَت إلى عَمَله شروطٌ في دقَّة النظر، والتَّحَرِّي المتواصل فيما يشغله من قضايا مطروحةٍ في تلك النصوص. وهذا كلُّهُ مُتَّصِل بجانب العلم، ولكنه مُنطلقٌ مِن جهة الصنعة !

وهو يُقْبِلُ على قِراءة النصوص - أيَّ نَصٍّ كانَ، شعرا أو نثرا - فيخلع عليه من نفسه ثوبا من الحب، فتربطهما علاقة حميمية وطيدة، يعيشُ أحداثه لحظة بلحظة؛ فيغدو معه ويَرُوح، ويُرَاوِدُه عن نفسه مرة بعد مرة حتى يستسلم فينقادَ له. فتراه يتذوق بيانَه حتى يتدسَّسَ إلى خبايا نفس الشاعر، ويتغلغل إلى ما وراء الكتابة مما لم يَبُح به الناثر.

وتزداد هذه العلاقة ارتباطا وعمقا، حتى إذا قدَّم النص وأخرجه، رأيتَ من فهمه لأسراره عَجَبًا، ومن دقة نظره ورَوِيَّتِهِ ما تقِفُ أمامه مشدوها، ثم تنظرُ إليه وبيانُ النَّص طيِّعٌ له؛ فكأنه صاحبُه !

والشيخ محمود محمد شاكر يرفض أن يُسَمِّيَ نفسه "محققا" أو يسَمِّيَ ما ينشره "تحقيقا"، ولكنه يرى نفسه "قارئا" و"شارحا" و"معلقا" على النص لا غير، ويرفض كذلك أن يلتزم بما يُسَمُّونَه "المنهج العلمي" في التحقيق، لأنه مِن وضْعِ مستشرقين لا يفقهون في الكتب العربية إلا قليلا، فلا يصِحُّ أن تَصِيرَ أخطاؤهم الناتجة عن سوء الفهم قواعدَ لدينا إلا نَتَّبِعْهَا في "التحقيق" يَكُنْ فاسدا.

يُصرِّحُ بهذا ويُلِحُّ عليه في جُلِّ الأصُول التي نَشَرَهَا، يقول - رحمه الله - في "برنامج طبقات فحول الشعراء": "ولم أَتَّبِع في عَمَلي في كتاب الطبقات وغيره من الكتب إلا (منهجا) آخر يخالف (المنهج العلمي) كُلَّ المخالفة، في جذوره وفروعه. وكذلك نبَذْتُ أيضا مُسْتَنْكِفًا لفْظَ (حقَّقَ،

وتحقيق، ومحقق)، وما يخرج منها نبْذا بعيدا دبْرَ أُذُني، لما فيه من التبَجُّح والتعالي والادعاء، واقتصرتُ على (قرأ) لأن عملي في كلِّ كتاب لا يزيد على هذا: أن أقرأ الكتاب قراءة صحيحة، وأُؤَدِّيَهُ للنَّاس بقراءة صحيحة، وكل ما أُعَلِّقُ به عليه، فهو شرح لغامضه، أو دلالة للقارئ من بعدي على ما يُعِينُه على فهم الكلام المقروء والاطمئنان إلى صحة قراءته وصحة معناه، لا أكثر ولا أقل إن شاء الله. إنما أنا قارئ أو شارح، أو دليل ليس غيرُ، لستُ (محققا)، إنما المحقق من يقول في (د): قال، وفي نسخة (ع): نال، وفي نسخة (م) فال، وهلم جرا"[١].

وواضح هنا ما يقصد بذكر فروق النسخ، والتركيز على هذا المسمى البراق "التحقيق"، فهو يشير إلى أن غاية هؤلاء المستشرقين ومن لفَّ لفيفَهم إنما هي في جمع النسخ، فإذا كانت تسميتها بعد اختيار النسخة الأم يكون على ترتيب حروف الهجاء، فما بين النسخة (د) و(م) نسخ كثيرة، لا يبذل هذا "المحقق" جهدا في تمييز سقيمها من صحيحها - حرصا على الأمانة العلمية !- فينقل أخطاء النّساخ ظنا منه أنها من أصل الكتاب، ثم لا يملك من اللّغة ما يجعله يرى مِن سياق الكلام ما يحتمل وجها مما لا يحتَمِل، فأتى بنموذج من الكلمات مما يقع فيه التصحيف والتحريف (قال، نال، فال) ولا شيء يربط بينها، ولا يمكن أن تصِحَّ هذه الكلمات عن الأصل بوجه من الوجوه. فيقول: إذا كانَ هذا هو (المنهج العلمي) الذي وضع المستشرقون أصوله، فإن منهجي في القراءة مخالف له تماما. ومن أجل ذلك يُصرُّ على هذا، لأنَّ تلك القواعدَ التي

(١) برنامج طبقات فحول الشعراء، محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة. منشورة مع الطبعة الثانية من "طبقات فحول الشعراء"، ص:١٥٨.



سَنُّوها (حَقَّقَ) على نهجها أقوامٌ كتبا، فجاءت هجينةً لا تحمل علما ولا تُثبت أصلا، وكأن "المحقق" لم يَزِدْ على أن جمع كلَّ النسخ - بأخطاء نُسَّاخها - في كتاب واحد !

هذا في أمر المنهج العلمي، أما "التحقيق" ففي قول الشيخ وجهان:

الأول: أن "التحقيق" عند هؤلاء عملٌ على جعلِ النص صحيحا، وحرصٌ على نقله كما هو. وهذا يُلبِسُ "المحقق" عندهم لَبُوسا مِن التعالي والغرور، يرى نفسه قد بلغ بما "حقق" مبلغا لن يُطاوله فيه أحد، بل ربما تجرأ على المؤلف نفسه، فوجَّه كلامه إلى غير ما يحتمله، أو قصَّر في فهمه؛ فحرَّفه عن وجهته.

والثاني: أن هؤلاء السائرين على خطى (المنهج العلمي) يُقَدِّسُونَ النسَخ أكثر مما يقدسونَ النصَّ نفسَهُ، ويُقِرُّونَ بما فيها ولو كان من جهل الناسخ أو سهوه، فلا يفرقون بين الصحيح والخطأ. وهذا مُنَافٍ لما يريد الواحد منهم أن يُلبِسَ نفسه حينَ يُسَمَّى "محققا"، إلا أن يكونَ "التحقيق" حَشْدًا للنُّسَخِ ونَظَرًا فيها لا غير.

ثم يُلفِتُ النظرَ إلى الحقيقة التي يجب أن يكونَ عليها العملُ، فيكونَ حرصُ "القارئ والشارح" منصَبًّا على النص نفسِه لا على قُشُوره، وعلى مَعناه ولغته وألفاظه لا على أول ما يرى من فروق بين النسخ. ولكنه يصير بعدَ الحديثِ عن مُراده من القراءة والشّرح في أعلى مراتب العمل والإخراج، وهل هناك شيء أكمل وأتم مما أن يكون قارئا قراءة صحيحة للنص؟؟

فهذه الكلمة في الحقيقة تجعله في مرتبة أكبر من "المحقق" بدرجاتٍ، وهذه العبارة هي الحدّ الفاصل بين طبيعة عمله، وطبيعة عمل غيره من "شيوخ" المحققين.

إنه يُوَجِّهُ النص، ويُبَيِّنُ معناه، بِنَوعٍ مِن التوجيه أو القراءة التي تجعله محرَّرًا، لأنها قراءة ترفدها خبرة نوعية عميقة بطريقة الكتابة العربية، ونوعِ مَنْطِقِهَا، وطبيعةِ أساليبها. وهو إذا مَال "بالقراءة" ناحية مُعَيَّنَةً أتى شرحُهُ مُقارِبا، وضبطُه مُقنعا، وأفقُ فهمه واسعا، فخَلَعَ على النّص بعضَ نفسه، وأصبح كأنه صاحبُه ومُبدِعُه"[١].

وهذا كله ظاهر في منهج الشيخ، وواضحٌ كل الوضوح في كتبه.

وقد نشر محمود محمد شاكر منذ تفرغ سنة ١٩٢٥ من نفائس الكتب العربية وأصولها ما تيسر، فأنت ترى أن اسمه مُقْتَرِنٌ بـ"طبقات فحول الشعراء" لمحمد بن سلام الجمحي (٢٣١هـ)، و"جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، و"تهذيب الآثار" لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ)، و"دلائل الإعجاز"، و"أسرار البلاغة" للإمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ)، ثم تتحول عن هذه الكتب المنتشرة بين الدارسين والمتخصصين والمشتغلين بالأدب عموما؛ فتجده قد أخرج "المكافأة وحسن العقبى" لأحمد بن يوسف ابن الدّاية الكاتب، و"إمتاع الأسماع" للمقريزي، و"جمهرة نسب قريش" للزّبير بن بكّار، و"فضل العطاء على العسر" للعسكري، وشارك في إخراج عدد آخر من الكتب.

(١) محمود الربيعي، مقالة "الشيخ الذي لم يكن تقليديا"- مجلة العربي، العدد ٤٦٩ – دجنبر ١٩٩٧ – ملف خاص.



عَمَلُهُ في طبَقَات فُحُول الشُّعرَاءِ

صَدَرَت الطبعة الأولى من كتاب "طبقات فحول الشعراء" سنة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م، وكانت قد طُبِعَت قبل ذلك مرَّتَين كان أشهرُها طبعة المستشرق "يوسف هل" وكان عنوانها "طبقات الشعراء"، وقد تميزت الطبعة الجديدة بأمرين أثارا كثيرا من الجدل في الأوساط الثقافية والعلمية، وكُتِبَت كثير من المقالات في نقد نشرة الشيخ محمود محمد شاكر، فقد تغير اسم الكتاب من "طبقات الشعراء" إلى "طبقات فحول الشعراء"، ونقل من كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني بعضَ الأخبار التي رأى أنها في موضع الخروم التي في المخطوطة المعتمدة لديه.

فعاب عليه ذلك بعض أهل العلم المشتغلين بالتحقيق والأدب، وكان من أهمِّ من توَلَّوا نقد الكتاب العلامة المحقق اللغوي السيد أحمد صقر رحمه الله.

فنشر في مجلة "الكتاب" نقدا ركَّزَ فيه على قضيَّةِ تغيير العُنوان، ومسألة النُّقُولِ التي لم تثبت في المخطوطة، ثم ذكر بعضَ مآخذه على شرح الشيخ للَشعر، وقد ردَّ أبو فهر عليه في نفس المجلة فأوجز في قضية الاسم والأسانيد، وفصَّل قليلا في شرح الشعر.

ثم توالت بعد ذلك المقالات التي كُتِبَتْ في الموضوع، فجدَّ في ذلك مَن جدَّ وتجرأ مِن غير عِلْمٍ مَنْ تجرأَ. ثمَّ طُبِعَ الكتاب طبعة ثانية صَحَّح فيها بعض الأخطاء التي وردت في الأولى، خصوصا بعد حصوله على نسخة من مخطوطته التي فقدها. وقدمَّ لها بمقدمة شرحَ فيها قضيَّة الاسم جيدا، وفصلَّ فيها، وأورد الحديث عن الأسانيد.

ولكن النقد لم يَقِفْ عند هذا الحد، بل استمر، وكان أشهر الذين قاموا بالنقد هذه المرة الدكتور علي جواد الطاهر، ونشر نقده في مجلة "المورد" العراقية بعنوان "طبقات الشعراء مخطوطا ومطبوعا"، وقد تَبَيَّنَ للشيخ أن الرجلَ إنما اعتمد في نقده على الطبعة الأولى، وكان قد نَشَر مما كتبَ قديما في مجلات عديدة، وذكر في رسالة أرسلها للشيخ أنه ينتظر صُدورَ الطبعة الثانية ليكونَ النقد مَبْنِيًّا عليها، ثم راح يُعِيدُ الحديث عن الاسم ومسألة الأسانيد، وزاد عليها "المنهج العلمي" وشروط "التحقيق"، ولكنه في ذلك كله لم يَعْدُ أن عاد إلى ما كتب قديما فزاد عليه قليلا وحذف، ثم أعاد نشره بأخطائه في الفهم والتسرُّع وعدمِ العودة إلى الطبعة الجديدة إلا في مواضع قليلة.

فكتبَ الشيخ ردا عليه عازما على نشره في مجلة "المورد" فلما طال الأمر وتشعبت الطرق وهو يشرح ويوضح، ويرد الخطأ والنقد بالحجة بعدَ الحُجَّة - لم يشأ أن يثقل على المجلة؛ فنشره في صدر الطبعة الثانية من "الطبقات" بعنوان "برنامج طبقات فحول الشعراء".

ولسنا بصدد إعادة ما كتبه الشيخ رحمه الله، فعملنا هو النظر في منهج القراءة والشرح لديه، والكشف عما لم يكشف عنه الشيخُ من منهجه. أما ما فصَّله هو، فلا يحتاج واسطة بينه وبين القارئ ليصل إليه.

بدأت قصة أبي فهر رحمه الله مع طبقات فحول الشعراء سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م، حينَ عاد أمين الخانجي من بعض رحلاته في سبيل الكتب والمخطوطات، فكان من ضمنِ ما حَصَلَ عليه مخطوطة عتيقة حائلة اللون لكتاب الطبقات، كانت أوراقا مبعثرة متفرقة، فلما عرفها وأدرك الخانجي رحمه الله قيمتها طلب من الفتى الحدَثِ يومئذ أن يقوم



بجمعها وترتيبها ونقلها مخافة عليها من الضياع، ففعلَ "مُقَصِّرًا مُتَرَاخِيًـا" - كما قال - فلم يُتِمَّ نَقْلَها، وبقي من المخطوطة شيءٌ لم ينقله، ثم طلب منه أمين أن يرد النسخة الأم فأعادها إليه ولم يخبره بأنه لم ينـهِ عملـه في نقلها. ثم أخذ يحثُّه من بعدما عاد من الحجاز إلى مصرَ على إعادة النظـر في الكتاب ليُعِدَّهُ للنشر، فتراخى عن ذلك حتى قضى أمينٌ نحبَه. ولم يَدْرِ الفتى أينَ استقرَّت المخطوطةُ العتيقة، وسأل عنها بعضَ ولده فلم يسمع من أحدٍ عَنْهَا خَبَرًا، ثم بحث عنها في دُورِ الكُتُب العامـة والخاصـة فلـم يجد لها أثرا.

فلما دعاه أخوه الشـيخ أحمـد شـاكر - رحمهمـا الله - لنشـر تلـك النسخة الناقصة مما نقله عن النسـخة العتيقـة، قـامَ بالعمـل واجتهـد في سبيل ذلك ما وَسِعَهُ الأمرُ. وهنا بدأت قضية الاسم؛ فقد وجد في النسخة التي نقلها العنوان "طبقات فحول الشعراء" وهو عنوانٌ مغايرٌ لما عُرِفَ بـه الكتابُ في طبعاته السابقة، واستبعدَ أن يَكُونَ غيَّر في العنوان حـين كـان ينقله، وجَهَدَ نفسه في سبيل الكشف عن حقيقة ذلك، حتى اتضح له من المخطوطة، وقرَّ لديه مما وجد عند صاحب "الأغاني" في بعض ما روى عن ابن سلام= أن اسمَ الكتاب كما وجد في مخطوطته. فأثبته كذلك.

فلما نقده السيد أحمد صقر؛ كـان أول مـن فـتح البـاب للشّـكّ في مسألة الاسم، فيقول رحمه الله: "وتسميةُ الكتاب هي النَّقْـبُ الـذي نَقَبَـهُ صديقنا وأستاذنا السيد أحمد صقر (والنقب: الثقب في الحائط) فتدسَّسَ منه كلُّ مَن أرادَ أن يقول في كتاب الطبقـات قـولا يُـذكَرُ بـه في النـاس، مُتَبَحْبِحًا في فضاء واسع"[1].

(١) برنامج طبقات فحول الشعراء، ص: ١٢٧.

وقد بَيَّنَ - رحمه الله - في المقدمة أسبابَ عُدُولِه عن الاسم الشائع إلى "طبقات فحول الشعراء"، فلم يُقْنِع ذلك السيد أحمد صقر، فعاد الشيخُ يُبَيِّنُ ذلك ويَرُدُّ على نقده في المقالة التي ذكرنا من قبلُ.

فلما عَثَرَ على النسخة العتيقة التي ضاعت وصارت إلى مكتبة "تشستر بتي" بإنجلترا، وحصل على نُسخة مصوَّرَةٍ عنها= وَجَدَ العنوان كما كتبه لم يُغَيَّرْ فيه شَيْءٌ، ولم يتدخَّلْ هو في نقله - كما قال في الطبعة الأولى -. فرأى أن يُعِيدَ نَشْرَ الكتاب تاما في طبعة جديدة مبنية على النسخة العتيقة، ونسخة أخرى مختصرة من الكتاب وجدها بالمدينة المنورة. وفي مقدمة الطبعة الثانية - التي ظهرت سنة ١٩٧٤ - فصَّلَ الحديثَ بعض الشيء عن مسألة الاسم أكثر مما كانَ في رده على نقد السيد أحمد صقر، ثم استمر النقدُ أيضا مع الدكتور منير سلطان والدكتور مصطفى مندور، حتى كانَ ما كان من أمر الدكتور علي جواد الطاهر، فعادَ ليقطع في الأمر بشكل لا يدع الشك لأحد، في بيان مُفَصَّل مطول أحاط به بكل الجوانب المتعلقة بكل المشاكل التي أثيرت حول الكتاب، صدَّرَ به من بعدُ الطبعة الثانية كما ذكرنا.

وقد ذكرنا أن أبا فهر قد زادَ على الكتاب نُقُولاً مما وجده في كتاب الأغاني والموشح وكتب أخرى وتيَقَّنَ مِنْ إسناده إلى ابن سلام في الطبقات، فأباحَ لنفسه أن يُضيفَها إلى الكتاب لأنها من أصْلِه لا محالة، فقد كان من أعجَب ما وقع في الطبعة الأولى أنْ زاد بعض الأخبار من كتاب الأغاني في الجزء الذي لم يُتْمِمْ نقله من المخطوطة، واعتمد فيه على طبعة "يوسف هل"، ولم تَرِدْ فيها النصوصُ، فلما حصل على



النسخة العتيقة وجد الأخبار فيها كما أَثْبَتَ، بل إن كثيرا منها وافق الموضع الذي جَعَلَهُ فيه بَعْدَ إنعَامِ نَظَرٍ. يقول: "فالأخبارُ التي كنتُ زِدْتُها على نسخة المدينة "م" (أي على طبعة يوسف هل) في هذا النصف الثاني من كتاب الطبقات، والتي كانَ أكثرها من أخبار أبي الفرج في الأغاني بالأسانيد التي مَيَّزْتُها مِن سَائر أسانيده إلى أبي خليفة عن محمد بن سلام، وجدتها كلها ثابتة في المخطوطة، بل كان بعضها في نفس سياق ابن سلام، وفي نفس موضعها من كتاب الطبقات. وقد وضعتها في هذه الأماكن استظهارا، فوافق استظهاري ما هو ثابت في المخطوطة"[١].

وهذه الدقة في الاستظهار، وإنعامُ النظر في ما يمكن أن يكونَ في صُلْبِ الكتاب مما أخَلَّتْ بِهِ المخطوطتان، تظهرُ أيضا في الأخبار التي لم يُورِدْهَا عَن الكُتُب التي أخذ منها الأُولى، على أنها مرويَّةٌ عن ابن سلام. ولكنه لم يقبلْ أن يُضِيفَ إلى المتن إلا ما رآه مرتبطا به لا غُبَارَ عليه بعد تمحيص الأسانيد، وتمييزها تمييزا لا يَدَعُ لأحد مَطْعَنًا في عمله. فإن تعجَبْ، فاعجَبْ لموافَقَةِ استظهاره ما في المخطوطة، ثم انظر كيف تعامل مع تلك الأخبار حتى بلغ من دِقَّة النظر أن وَضَعَ بعضها في مَوضِعِه من الكتاب دونَ تَقْديم أو تأخير! وقد بَيَّنَ قضية الأسانيد في مقدمة الكتاب، وفي "البرنامج"، فلا حاجة لنا بذكرها والخوضِ فيما هُوَ واضِحٌ هنالكَ لمن نظر. وهذا في باب الصنعة عزِيزٌ نَادِر، ولكنه مُتَّصِلٌ بباب العِلْم مُرْتَبِطٌ به.

---

(١) برنامج طبقات فحول الشعراء، ص: ٦٢. وقد ذكر نحوا من هذا في مواضع مختلفة من البرنامج وفي مقدمة الطبعة الثانية.

جانب العلم والرواية في المنهج

"طبقات فحول الشعراء" من أهم مصادر الأدب العربي ونقده، وهو "أقدم كتاب وصل إلينا من كتب قدماء نقاد الأدب والشعر، بل لعله طليعة كتب النقد في الأدب العربي، وهو حَقِيقٌ بهذه المنزلة والتقديم والجلال"[(١)].

وقد صنَّفَهُ ابنُ سلام - رحمه الله - على منهج مخالف لكثير من مناهج اليوم التي تعمل على تقسيم الشعراء ودراسة أشعارهم حسب الزمان أو المكان، فكانَ تقسِيمُهُ مَبْنِيًّا على تأليف الشعراء المتشابهين في شعرهم إلى نظرائهم، "ولا يتشابه شاعران إلا في شيء واحد، هو مَذهبُهُمَا في الشعر أو منهجهما الذي يتميز به كل واحد منهم، ويكاد يكونُ رأسا فيه"[(٢)]، وقد جعل الشعراء عشر طبقات في الجاهلية وعشرا في الإسلام، كُلُّ طَبَقَة تَضمُّ أربعة شعراء.

يقول في مقدمة الكتاب " ثمَّ إِنَّا اقتصرنا - بعد الفحص وَالنَّظَر وَالرِّوَايَة عَمَّن مضى مِن أهل الْعلم- إِلَى رَهْط أَرْبَعَة، اجْتَمعُوا على أَنهم أشعَرُ الْعَرَب طَبَقَةً، ثمَّ اخْتلفُوا فيهم بعدُ. وسَنَسُوقُ اخْتلافهمْ واتفاقَهُم، ونسَمِّي الأَرْبَعَة، وَنَذْكُر الْحُجَّةَ لكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُم - وَلَيْسَ تبدِئَتُنَا أحدَهم فِي الْكتاب نحكم لَهُ، وَلا بُد من مُبْتَدأ- وَنَذْكُر من شِعرهم الأبيات الَّتِي تكون في الحَدِيث وَالْمعْنَى"[(٣)].

---

(١) طبقات فحول الشعراء، مقدمة الطبعة الثانية، ص: ٦٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٦٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٤٩.



ثم عاد فأقحم بعد طبقات الجاهلية طبقـاتٍ ذكـر فيهـا شـعراء مكـة وشعراء المدينة وشعراء الطائف، وشعراء يهود، ثم شعراء اليمن.

فلم يجعل للمخضرمين طبقة وحدهم، بل نزَّلَهُم مَنَازِلهم مع نظرائهم من أهل الجاهلية أو الإسلام غيرَ ناظرٍ إلى تَرتيب زمن الـولادة والوفـاة، ولم يحفل بأن يكونَ الواحدُ منهم مُتَقَدِّمًا أو يكون غيره - إذا شَابَهَ شِـعْرُهُ شِعْرَهُ - متأخرا.

وقد صدَّر ابنُ سلام كتابه بمقدمة أثارت جَدَلاً كـبيرا، واختلـف في أمرها أهلُ الأدب اختلافا كبيرا، ولم تُفْهَم على وجهها الصحيح في طبعة "يوسف هل" لأنها كانت ناقصة مختَلَّةً. وكان ما وَرَدَ فيها مِن حَدِيثٍ عـن "الشعر المصنوع" و"المنحول" من أهم الأسباب المؤثرة في ما عرفته قضية الشعر الجاهلي يومئذ، وصار الناس يُؤَوِّلُونَ كلامه تأويلا حسب فَهْمِهِم، حتى إذا طُبِعَتْ نَشْرَةُ الشَّيْخِ - رحمـه الله -، فأزالـت بعـضَ الغُمُـوض، ولكنها زادت في الإبهام في بَعض ما جدَّ فيها، وقد اتضـح لأبي فهـر أن في المقدمة استطرادا طويلا فَصَلَ بين فقراتها، حـتى كـادَ يختَـلُّ الكـلام فيها، وهذا ما جَعَلَ النَّاسَ يَفْهَمُونَ خِـلاَفَ مـا قصـده ابـن سـلام بهـا، ويستعملون كلامَه في غَيْرِ ما وَضَعَهُ فيه أَصْلاً.

وقد انبرى الشيخُ لِبَيَانِ هَذِهِ القَضِيَّة فألقى في ذلك سـت محاضـرات بجامعة الإمام محمد بن سعود بالسعودية، وهي التي جُمِعَتْ مِنْ بعدُ في كتاب "قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام"، وفيها كشف اللثام عن أكثر الأمور الغامضة التي وردت في المقدمة، وفي الكتـاب كلّـه، فجـاء بكلام نَفِيسٍ؛ نراه أزال به ما كان غامضا، ونَفَى به كُلَّ إبهام.

وهذا بابٌ يؤكد ما قلناه من قبل في شأن تحَرِّيهِ - رحمه الله - ودِقَّةِ نَظَرِه، وتَغَلْغُلِهِ إلى دَقَائِقِ الأسرار في ما يَنْشُرُ حتى كأنه يعيشُ مَعَهُ مُؤَلِّفُهُ.

وَقَد ساهم في بلوغ الشيخ هذا المقامَ أنه كانَ يقرأُ كلَّ ما وصلت إليه يَدُهُ مِن عُلوم العربية ليستخرجَ منها منهج التذوق الذي كان مبثوثا في كل ما كتبه أسلافنا على اختلاف العلوم. فكانت المكتبة العربية عنده كتابًا واحدًا، يقرأ فيه كلَّ الفنون بلا استثناء كما أخبر بذلك في "الرسالة"، وكان انفتاحه على تلك الكتب التي لم يُطْبَع أغلبها يومئذ بعدُ مِن خلال المخطوطات، حتى صار يقرأ المخطوطات كما نقرأ نحن الكتب المطبوعة اليوم.

وجانب العلم والرواية في ما نَشَرَ الشَّيْخُ بَابٌ قد شَرَعَهُ فانفرد به وفاق فيه غيره ممن حاولوا صنيعه، وأتى فيه عِلْمُه مَوصُولا بعِلْمِ الكِتَابِ الذي هو بصدده، فإذا اطَّلَعْتَ على تعليقاته وشروحه للكلام وجدت بحرا لا سَاحل له من العلم، فهو لا يتوقف عندَ الشرح المجردِ أو التعليق؛ إنما تراه يحَاورُ النصَّ ويجاذب صاحِبَهُ العِلْمَ، فيَقْبَلُ رَأيَهُ ويرفُضُ، ويُدَافِعُ عنه حينا ويَدْفَعُ الوَهْمَ عَن بيَانِهِ حِينًا آخرَ، ويُصَحِّحُ ما يَرَاهُ خَطَأً، ويُثْبِتُ ما يَرَاهُ صَوَابًا وإن خالفه البعض في قراءته. وهذه الميزة تكاد تكونُ خاصة به - رحمه الله - من بين سائر المشتغلين بصناعة "التحقيق".

وسنتوقف عند بعض الجوانب التي تُظْهِرُ هذا الذي ذَكَرْنَا، وإن كانَ عَمَلُنَا غيرَ سَاعٍ للإحاطة والاستقصاء، لكنه يسعى ليكشف بعض هذه الوجوه، ثم نتركُ للقارئ بعدُ أن يستمتعَ بنفسه حين يعودُ للكتاب، "ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق". فعسى نكونُ من المحسنين.



وَمِن أهَمِّ مَا يُطالعُنَا في هذا الجانب: تَصْحِيحُه لمعاني الشعر، وتصحيحُ رِوَايَتِه، وترجيح هذه الروايات، وتصحيح ترتيب الشعر وترجيحه، وتصحيح اللغة، والتقاطها من الشعر مما أخلت به المعاجم، وإكماله الخروم من كتب الأدب التي رَوَتْ عن الطبقات، ثم نقد المكتوبِ. وسنورد أمثلة عن كل هذا بحول الله.

في تذوق الشعر ونقده

بلغ أبو فهر - رحمه الله - في تذوق الشعر غاية ليست تتيسَّر لكل أحد، وهذا التذوُّقُ ظاهرٌ في كُلِّ كُتُبِهِ ومَقَالاته وأحاديثه، ويظهر هذا التفوق والتفرد في كتابه الفريد "المتنبي"، وهو أولُ كتاب يؤلفه في منهج التذوق، فوصل فيه إلى نتائج مُبْهِرَةٍ عظيمة في ما يتعلق بشيخ الشعراء أبي الطيب المتنبي، وأتى فيه بفرائدَ لعَلَّ أبرزَهَا: الفصلُ في قضية نَسَبِهِ، ورَدُّهُ دعوى النبوة، واكتشافه حبه لخولةَ أخت سيف الدولة. ثم يزدادُ الأمر وضوحا في كتابه الفذ "نمط صعب ونمط مخيف" لأنه بسَّطَ فيه مَنْهَجَهُ وطبَّقَهُ تَطْبِيقًا وَافيًا، وكانت المقالات التي نُشِرَتْ فيما بعدُ في كتاب واحد = جوابا على أسئلة طرحها صديق عُمْرِهِ الأستاذ يحيى حقي في مجلة "المجلة" حول الشعر الجاهلي وما يتعلق به، فأتى فيه بأشياء عظيمة في تحليله لقصيدة ابن أخت تأبط شرا:

إن بالشِّعب الذي دُونَ سَلْعٍ لَقَتِيلاً دَمُهُ مَا يُطَلُّ

وكذا في "أباطيل وأسمار"، وفي كلِّ ما كتب حول الشعر، وإنما ذكرنا تلك الكتبَ لأن المنهج فيها أظهرُ، وهي عليه أدَلُّ. أما في الأصول

التي أخرجها، ففي هذا الذي سنورد هنا دليل واضحٌ على عُلُوٍّ كعبه وحيازَتِهِ قَصَبَ السَّبْقِ، فاللهم يسر وأعن.

- **تصحيح معاني الشعر :**

ورد في الصفحة ٣٦٨، برقم ٥٠٠ بيت الفرزدق المشهور:

والشيبُ ينْهضُ فِي الشَّبَاب كَأَنَّـهُ ليـلٌ يَصِـيحُ بجانِبَيْـهِ نَهَـارُ

وقال أبو فهر في التعليق عليه (رقم ٥) :

وهذا البيتُ معدودٌ عند أهل البلاغة من أجودِ التشبيه والمجاز والاستعارة، في قرب المأخذ ووضوح المعنى، إلا أن ابن قتيبة، عَدَّهُ من الضرب الذي جاد معناه وقصُرَتْ ألفاظه عنه. وقال الزنجاني (أنوار الربيع) هو من فساد التشبيه، الذي يأتي منكوسا، «فذكر أن الشيب يبدو في الشباب، ثم ترك ما ابتدأ به. ووصف الشباب بأنه كالليل. والذي تقتضيه المقابلة الصحيحة أن يقول: كما ينهض نهار في جانبي الليل». وقال الصفدي في الغيث: «الصياح هنا لا مناسبة وله ولا معنى». وهو نقد قديم، أراد قوم أن يخرجوا منه، فقالوا: الصياح هنا، انصِدَاعُ الفجر، من انصاح الثوب انْصِيَاحًا، إذا تَشَقَّقَ (الاقتضاب)، وأراد صاحب العمدة أن يجعله من قولهم: «صاح العنقود يصيح» إذا استَتَمَّ خُرُوجَهُ من أكَمَتِهِ وطال، وهو في ذلك غَضٌّ.

وأصحاب البلاغة يَعُدُّونَهُ من التشبيه، تشبيه بياض الشعر وسواده، ببياض النهار وسواد الليل. وهذا معنى مغسولٌ لا خير فيه، وإنما فعلوا



ذلك حين أفردوا هذا البيت بالاستشهاد، وهو ثالث أبيات أربعة مُتَمَاسِكَاتٍ، وهي من الذُّرَى الرفيعة في الشعر، ساقها الفرزدق بعد أن فرغ من التشبيب بنساء أجاد في تمجيدهن، ثم خرج إلى مَلامَـةِ امرأته "النوار "/ تلُومُهُ على تَبَذُّلِهِ وتصَابِيهِ ولَهْوِهِ، وقد بلغ ما بلغ، فقال:

إنّ المَلامَةَ مِثْلُ مَا بَكَرَتْ بِه، مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِها عَلَيكَ، نَوَارُ

وتَقُولُ: كَيْفَ يَميلُ مِثْلُكَ للصِّبا وَعَلَيْكَ مِنْ سَمَةِ الحَلِيمِ عِذارُ

وَالشَّيبُ يَنهَضُ في السّوَادِ كأنّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ

إنّ الشّبابَ لَرَابِحٌ مَنْ بَاعَهُ، وَالشَّيْبُ لَيسَ لِبَائِعِيهِ تِجَارُ

فهذا البيت الثالث من تمام الذي قبله، وهو من قول النُّوار في مَلامَتِهَا له، والبيت الرابع زَفْرَةٌ زَفَرَهَا الفرزدق بعد أن سمع مَلامَتَهَا فجاءت تقطُرُ حسَرَاتٍ على ما فات من شبابه، والواو في قوله: «والشيب ينهض» واو الحال. «وسمةُ الحليم»، هي الشّيب الدّال على أنه بلغ مبلغ المجَرِّبينَ ذَوِي الأناة، لا يستخِفُّهُم لَهْوٌ، ولا يطيش بألبابهم جهلٌ، و«العِذَارُ» من اللّجام، ما وقع منه على خدَّي الفرس، يَكْبَحُ من غُلْوائه.

تقول النوار للفرزدق وهما خاليان تحت الليل: كيف تصبو سادرًا في غفلتك، وقد كبرت وتحنَّكْتَ وحكمتك التجارب؟ والمرء إذا بلغ من العمر ما بلغتَ، وشاب عارضاه، كفَّ الشيبُ من عُنْفُوَانه، وانبعثت تجاربُه تُذَكِّرُهُ وتُنْذِرُهُ وتُوقِظه وتُبَصِّرُهُ، وتهديه إلى حياة أخرى غير حياة اللهو والصبا وجنون الشباب، فتنقشع الغشاوة عندئذ عن عينيه، ويَنْهَتِكُ ظلام الغفلة التي كانت مطبقة عليه، يرى فيها لذاذاته، ولا يستمتع إلا بأحلام غفلته.

ثم شبَّهَتْ هذا كله بالفجر أقبل فأسفر على القوم النيام، فانبعثت الأصوات من نواحي الحي: كلبٌ ينبح، وشاة تثغو، وبعير يرغو، وديك يؤذِّنُ، وقائم يُكَبِّرُ، وداعٍ يصيح، ومنادٍ يُنادي، وأقدامٌ تَدِبُّ، ومُسْرِعَةٌ تُعِدُّ الطعامَ تَدُقُّ، وأصواتُ الحياة في ظلمة الليل وهدأته تُنْذِرُ النوام أن النهار قد أقبل بِفَوْرَتِهِ، يطرُد الظَّلامَ المطبقَ، فجَدَّ الجدُّ وطارَت الأحلامُ.

فلم يُرِدْ بالشيب والشباب ولا بالليل والنهار، لونَهُمَا من بياض وسواد، وإنما أراد الحِلْمَ والجهْلَ، والهُدَى والضَّلال، واليقظة والغفلة.

وقوله: «والشيب ينهض بالشباب»، يُسْرِعُ فيه كأنه يتحرك ويدب، تدب التجربة والعقل والفهم واليقظة، لتنفي عن النفس جهلها وصباها وطيشها وغفلتها، وقوله: «كأنه» أراد تشبيه حالة مجتمعة، بحال أخرى مجتمعة، لا تشبيه لون بلون، فإنه إسقاط للشعر. ورحم الله من قال بذلك من علماء البلاغة[١].

وأنت ترى أن هذا التصحيحَ يبعث الروح في الشعر، ويكسوه من أسْرِهِ وسِحْرِهِ ما هو به ألَيَقُ، وما به مَعْنى الفرزدق أحَقُّ.

ومن أهم ما يميِّزُ الشيخ أنه لا يخشى أن يقولَ لمن تقدَّمَ من أهل العلم الفضلاء إذا ما جانب الصواب: إنه أخطأ، فالمرء مُعَرَّضٌ للخطأ، ولا يقدح في أحد منهم أن يخطئ، ولكن الحقَّ أحقُّ أن يُتَّبَعَ. وكذلك كان يفعل علماءُ هذه الأمة الأجلاء خدمةً للعلم وأخلاقه، ولم يكن يضيرُ أحدَهُمْ أن يُصَوِّبَ أهْلُ الفَضْلِ خَطَأَهُ، ويخالفَهُ غيرُهُ في الذي يرى، فإنما خدمةُ العلمِ والإخلاصُ له أولى.

---

(١) طبقات فحول الشعراء، ص: ٣٦٩.



ورد في الصفحة ٣٤ برقم ٤٠، أبيات للمُسْتَوْغِرِ بن ربيعة بن كعب:

إِذا مَـا الْمَـرْءُ صَـمَّ فَلَـمْ يُنَـاجى	وأَوْدَى سَـــمْعُهُ إِلاَّ نِـــدَايَا
وَلاعَـــبَ بالعَشِـــيِّ بَـــني بَنِيـــهِ	كَفِعْـلِ الهـرِّ يَحْتَـرِشُ العَظَايَـا
يُلاعِـــبُهُم وَوَدُّوا لَـــو سَـــقَوْهُ	مِـــن الـــذِّيفَانِ مترعَـــةً مِلايَـــا
فَـــلا ذاقَ النَّعِـــيمَ وَلاَ شَـــرابًا	وَلا يُسْقَى مِنَ الْمَرَضِ الشِّفَايَا

فقـال في التعليـق علـى البيـت الثـاني (رقـم ٧): "حـرشَ الضَّـبَّ واحتَرَشَهُ، أتى جُحْرَهُ فقَعْقَعَ بِعَصَاهُ أو بحجرٍ، فإذا سَمِعَ الصَّوْتَ حَسِـبَهُ دَابَّةً تُرِيدُ أنْ تَدْخُلَ عليه، فجاء يَزَحَلُ على رجليه وعَجُزِهِ، مُتَهَيِّئا للقتـال ضاربا بذَنَبِهِ، فيُنَاهِزُهُ الرَّجُلُ، فيأخذُ بذنَبِه، فيَشُدُّ عليـه قبضَـتَهُ حـتى مـا يستطيعُ أن يُفْلتَ. والعَظايا والعِظاء جمع عظاية: وهي المعروفة في مصر بالسحلية. ولا يريد أن فِعله ببني بنيه كفعل الهر، بل أراد العكس: أن بني بنيه يفعلون به فعلَ الهرِّ في احتراش العظاء وصَيْدِهَا، يأتيها من هنا وهنا، ويمسكها مرة ويرسلها أخرى. وهذه عادة الصغار بأجدادهم إذا عَجَـزُوا. وقد دخلتُ أعود شيخي رحمـه الله - سـيد بـن علـي المرصـفي - وقـد كُسِّرَتْ ساقه، فلما رآني أنشـدني هـذه الأبيـات. وذلـك أنـه كـان علـى أريكة، فجاء ابن ابنه الصغير، فظلَّ يُعاكِسُهُ فانقَلَبَ فوَقَعَ علـى الأرض، فأُصِيبَتْ ساقه. وكان ذلك في آخر عمره، تغمده الله برحمته. وكان ذلـك أول سماعي للأبيات فقرأتها عليه".

وكان هذا الشرح من مآخذ العلامة السيد أحمد صقر عليه، فقال في مقالة التي نقد فيها الكتاب:

"ومَا أخذه الأستاذ عن اللسان ٨ : ١٦٧ في معنى حَرَشَ الضبَّ واحتَرَشَهُ، ليست بنا إليه حاجة في شرح هذا البيت، فإن احتراشَ الإنسان للضب غير احتراش الهر للعظايا، وحسبنا أن نقول في معنى يحترش هنا: يصطاد. والشاعر يريد أن يقول: إنه يُلاعِبَ أحفاده، ويفعل معهم فِعْلَ الهر مَع ما يصطاده من العظايا، فإنه إذا وثب عليها تَلَعَّبَ بها ساعة وربما خلَّى سبيلها وأظهر التغافل عنها، فتُمْعِنُ في الهرب، فإذا ظَنَّتْ أنها نَجَتْ وَثَبَ عليها فأخذها ولعب بها ما شاء له مِزَاجُهُ أن يَلْعَبَ، وكذلك يفعلُ من يُلاعب أحفادَه من الجدُود، فإنه يمشي على يديه ورُكبتيه يحاوِرُهم مِن هُنَا ويُدَاوِرُهُمْ مِن هناك، ولو كان الشاعر قد قصد إلى أن بَني بنيه يفعلون به فعل الهر في احتراش العظايا لقال في البيت الأول: (ولاعبه بالعشي بنو بنيه)، ولقال في البيت الثاني: (يلاعبونه وودوا لو سقوه). وقد جاء في اللسان ١٩ : ٣٠٢: «العَظَاية على خِلْقة سامِّ أَبْرص أُعَيْظِمُ منها شيئًا، والجمع عَظَايا وعَظَاءٌ. وفي حديث عبد الرحمن بن عوف: كَفِعْلِ الهِرِّ يَفْتَرِسُ العَظَايا»"[1].

وقد ردّ عليه الشّيخ في "صدى النقد" بمجلة الكتاب بمقالة "طبقات فحول الشعراء، رد على نقد"، فكان مما قال: "رحم الله المستوغر ! فيمَ أتعبنا؟ كان حَسْبُهُ أن يقول: (كفِعْلِ الهرِّ يصطادُ العظايا) فيستقيمَ الشِّعْرُ، ويُسْقط عنا مؤونة التعب، ونقلَ ما في لسان العرب ! ولكنَّ المستوغرَ عَرَبيٌّ قديمٌ سَليمُ الطبع، فاختار كلاما - قلت: إني لا أستطيع أن أُسْقِطَ دلالته، وأراد معنى- قلت: إني لا أطيق إغفاله. ولما كانَ ذلك كذلك،

(١) مقالات العلامة المحقق اللغوي الأديب السيد أحمد صقر، مقالة "نقد كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي"، ص ٣٨٣.



نقَلْتُ صفة الاحتراش كما كانوا يفعلونها، ولم أزعم لنفسي أن احتراش الإنسان للضب، غير احتراش العظايا، فإنه غير صحيح، إذا راقبت هرا وعظاء. ولم أُرِدْ بما وصفوه من الاحتراش إلا ما يكونُ فيه من كثرة حركة الهر، ومن الإمساك والإرسال، ومن الغفلة والترقب، ومن الجُثُوم والقفز، ومن سرعة اليد بضربة، وفرار العظاية منها.

وإذا علم من يُحِبُّ أن يعلمَ، أن المستوغر، يزعمون، عاش ثلاثمائة وخمسين عاما حتى أدركه الإسلام فأسلم، فهو خليقٌ أن يعلمَ أن المستوغر قد عجز عن أن يفعل فعل الهر فيما وصفنا من حركته، وخليق أن يستدل أيضا بما بدأ به في شِعره من ذكر صَمَمِهِ وذهاب سَمْعه، على أنه ضَعُفَ ضعفا مُبِينا ذَهَبَ بقوته، فبلغ أرذل العمر، ونَسِيَهُ الموتُ نِسْيانا تاما، أو كما يقولون.

ولما كانَ ذلك كذلك، وكان المستوغر عندئذ غيرَ مُطيق أن يفعل فِعْلَ الهر المحتَرِشِ، وظننتُ أيضا أن الْمُطِيقَ لهذه الشَّيْطَنَةِ، هُمُ العفاريتُ من بني بنيه، أجْرَيْتُهُ على ما جرى عليه كلام العرب من "القلب"، لأنه هنا بيِّنٌ مفهومٌ من سياق الشعر، ومن صفة المستوغر وعمره، ومن بديهة الفطرة.

ولم أفهم اعتراض أستاذنا على "لاعب" وإيجابه أن يقال - إذا صحَّ ما ذهبنا إليه، وهو صحيح ! - "ولاعبَه بالعشي بنو بنيه". فالذي أعلمه، والله أعلم، أن قولك "لاعبتُ الصبي" معناه: لعبت معه، وسواء عندي أن تكونَ أنت البادئ باللعب وهو مستجيب، أم يكون هو البادئ وأنت مستجيب. ولو ذهبنا مذهب الأستاذ لقلنا في قول العرجي:

مِثْلَ الضـفادعِ نَقَّـاقُونَ وَحْـدَهُمُ   إذا خَلَواْ، وإذا "لاقَيْتَهُمْ" خُرْسُ

إنهم لا يخرَسُونَ حتى يكون اللقاء منك، فـإن كـان اللقـاء منـهم لم يخرسوا. وتصيرُ العربية عجبا في لغات الناس. وأما ما تَبِعَ ذلك من قولـه إنه كان ينبغي عندئذ أن يقول: "يلاعبونه وودوا لـو سـقوه" فيـدخل فيمـا دخل فيه السابق.

على أني أرى أجودَ الروايَتَيْنِ ما ذكرتُهُ في التعليق "يُفَدِّيهم ووَدُّواْ لـو سقوه"، أي هو عليهم بنفسه، وهم يتمنون موته بل قتله بسم يجرعونه إياه بأيديهم. أما ملاعبة الجدود الذي ذكرها وظـن أن الشـعر يسـتقيم بهـا، فربما صحت في جَدٍّ بلغ الخمسـين والسـتين، أمـا جَـدٌّ في أرذل العمـر أعشى أصمٌّ ميتُ الأعضاء، فصعبٌ أن يتصوَّر المرء مثله ماشيا على يديه وركبتيه، يُحَاوِرُ من هنا ويُدَاوِرُ من هناك ! فوق كل ذي علم عليم.

هذا على أن المستوغر لم يكد يَقُصُّ قصة هذا اللِّعاب حتى ختمها بما يَلْقَى مِن أذَاهُم، وأنه لا نجاة له من شَرِّهِمْ إلا أن يموتَ مَوْتًـا مُضَـاعَفًا، فقال:

فَـــذَاكَ الهـــمُّ لَـــيْسَ لَـــهُ دَوَاءٌ   سِوى الموتِ المنَطَّقِ بالمنَايَا[1]

وقد اقتصرنا على هذين النموذجين من نماذج كـثيرة، وفيهمـا غِـنىً يدُلُّ دلالة واضحة علـى بَصَـرِ الشـيخ بالشـعر، ولا يتسـع المقـام لـذكر شواهد أخرى. وإنما نحن نومئُ ونشير إلى الأمر ولا نستقصي.

(١) جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، جمعها وقرأها وقدم لها الدكتور عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية ٢٠٠٣. الجزء الثاني، ص: ٩٠٥.



- **تصحيح رواية الشّعر والتّرجيح بين الروايات :**

جاءت في الصفحة ٣٣٩ برقم ٤٤٣ ، أبيات للفرزدق في هجاء يزيد بن المهلب:

دَعَاني إِلَى جُرْجَانَ والرَّيُّ دُونَـهُ   لآتِيَــهُ، إِنِّــي إِذن لــزَؤُورُ

لآتِــيَ مِــن آلِ الْمُهلَّــبِ ذَائِــرًا   بأَعْرَاضِــهمْ والــدائراتُ تَــدُورُ

ســآبى وتــأبَى لي تَمِـيمٌ وَرُبَّمـا   أَبَيْــتُ فَلَــمْ يَقْــدِرْ عَلَــيَّ أَمِــيرُ

فعلَّقَ - رحمه الله - على كلمة "ذَائِر" في البيت الثاني (رقم١):

"في الأغاني (زائـرا)، ولا معـنى لـه، وفي الـديوان (ثـائرا)، وهـي واضحة. وذئِرَ للشيء أنف منه واستنكره. وذئِـرَ: إذا اغتـاظ مـن عـدوه واستعد لمواثبته. وأراد الفرزدق: أن يأتيهم فيغضب لهـم ويـدفع عنـهم. يقول: لا آتيكم فأدفع عن أعراضكم مَن وقع فيهـا، وعيَّـرَهُم بهزيمتـهم. والدائرات: الهزائم والشرور".

وقال أبو زبيد حرملة بن المنذر الطـائي في عبـد لـه أعـان أعـداءهم عليهم، فقُتلَ (الصفحة ٦٠٧ رقم ٧٩٧):

قَــدْ كُنْــتَ فِــي مَنْظَــرٍ وَمُسْــتَمَعٍ   عَنْ نَصْرِ بَهْرَاءَ غَيْـرَ ذِي فَـرَسِ

تَسْعَى إِلَـى فِتْيَـةِ الأَرَاقِـمِ وَاسْــ   ـتَعْجَلْتَ قَبْلَ الْجُمَانِ وَالقَـبَسِ

فِي عَارِضٍ مِنْ جِبَـالِ بَهْـرَا بِهَـا   الألُّ مَرَيْنَ الحرُوبَ عَـنْ دُرَسِ

فقال الشيخ في تعليقه على البيت الأخير (رقم ٣):

"العارِضُ: السحاب المطل يعتَرِضُ أفُقَ السَّمَاء. يريد جيشا كثيفا. ويقال "فلان جَبَلٌ من الجبال": عزيز منيع، يريد جيوشهم والجيوش تُشَبَّهُ بالجبال. وبهرا: بهراء القبيلة، يمد ويقصر. والألُّ جمع ألَّةٍ: حَرْبَةٌ من حديد عريضةُ النصل عظيمة. ومرى الناقة يمريها: حلبها. وقد شبَّهُواْ الحربَ باللاقح من النوق، تحلُبُ الشر، فقالوا: مَرَى الحربَ: إذا احْتَلَبَهَا فَدَرَّتْ عليه شرا، قال جرير:

مَرَيتُمْ حَرْبَنَا لكمُ فدَرَّتْ ... بِذِي عَلَقٍ فأبطأتِ الغِرَارَا

وهو كثير في أشعارهم. والدُّرَسُ جمع دُرْسَة (بضم فسكون): وهي الدُّربةُ والتجربة. والرماح والسيوف تُمْدَح بطول تجربتها في الحروب.

وهذا البيتُ في الأغاني، وفي مخطوطة العباب مضبوط كما أُثْبِتُه هنا:

فِي عَارِضٍ مِنْ جِبَالِ بَهْرَائِهَا ... الأولى مَرَيْنَ الحرُوبَ عَنْ دُرُسِ

الأُوْلى في "العُباب" بضم الألف وسكون على الواو وفتحة على اللام. و "دُرُس" بضم الدال والراء. وفي التاج "الحرور" وهو خطأ، فإنه نقل عن العباب. وأنا مُرتَابٌ أشدَّ الارتياب فيما جاء في العباب والأغاني، وهو كلام مختلٌّ مُشْكِلٌ. فلا أدري ما معنى إضافة "بهراء" في قوله "بهرائها"، وإلى أي شيء يعود هذا الضميرُ. ومعنى "الأولى" مُشكلٌ هنا، ولو قُرِئَتْ "الأُلَى" بمعنى الذين، فعسى أن يكونَ وجها. ولكن تبقى النون في "مَرَيْنَ"، إلى أي شيء تعودُ؟ فذلك كله حملني على الشك في تصحيفه، فاجتهدتُ في إزالة تصحيفه، حتى رأيتُ ما أثبتُّ، فعسى أن



أكونَ قد وُفِّقْتُ. وأما "دُرُس" بضمتين فهو "دُرْسة" أيضا. على توهم حذف التاء، كأنه قيل "دُرْسَة" و"دُرْسٌ" بضم فسكون. ثم ضم الراء إتْبَاعًا لضم الدال. فمَن اجتهد فأصابَ غير اجتهادي فقد أحسنَ".

وهذا الجهدُ الذي بذله للوصول إلى صحة الرواية، والاطمئنان إلى المعنى السوي فيها، يوضح ما ذهبنا إليه. على أن الخبر مما أضافه من الأغاني، فلذلك تجده لا يتحدث عن المخطوطة لأنه غير وارد فيها وواقع - فيما رجح - في موضع الخرم الذي وقع فيها.

تصحيح ترتيب الشعر وترجيحه في الصفحة ٤٤٦ برقم ٦١٣، قصيدة لجرير في هجاء العباس بن يزيد الكندي، يقول فيها:

ستطلُعُ مِن ذُرى شُعَبَى قَوَافٍ	عَلَى الْكِنْدِيِّ تَلْتَهِبُ الْتِهَابَا
أَيَومًا فِي فَزَارَة مُسْتَجيرا؟	وَيَوْمًا نَاشِدًا حِلْفًا كِلاَبَا؟
أَعَتَّابًا تُجَاوِرُ حِينَ أَجْنَتْ	نخيلُ أجًا، وأَعْنُزُهُ الرُّبَابَا
يخاتِلُهَا وَتحسِبُهُ لِعَابًا	أَسَاءَ غُلاَمُ جِيرَتِكَ اللِّعَابَا
وَمَا خَفِيَتْ هُضَيْبَةُ يَوْمَ جَرَّتْ	وَلاَ إِطْعَامُ سَخْلَتِهَا الكِلاَبَا
يُقَطِّعُ بِالمَشَاقِصِ حَالِبَيْهَا	وَقَدْ بَلَّتْ مَشِيمَتُهَا التُّرَابَا
وَقَدْ حَمَلَتْ ثَمَانِيَةً، وَتَمَّتْ	لِتَاسِعِهَا، وَتَحْسِبُهَا كَعَابَا !
أَعَبْدًا حَلَّ فِي شُعَبَى غَرِيبًا	أَلُؤْمًا -لاَ أَبَا لَك- وَاغْتِرَابَا
إِذَا نَزَلَ الحجِيجُ عَلَى قُنَيْعٍ	دَبَبْتَ اللَّيْلَ تَسْتَرِقُ العِيَابَا
فَقَدْ حَلَّتْ يَمِينُكَ إِنْ إِمَامٌ	أَقَامَ الْحَدَّ وَاتَّبَعَ الكِتَابَا

يقول أبو فهر في تعليقه على البيت السابع (رقم ١ في الصفحة ٤٤٧): "الكعابُ: الجارية حين يبدو ثديها للنهود. وهو يستجهلها بهذا البيت ويستحمقه: لم يميز كعابا لم تتزوج، من أنثى قد حملت ثمانية أشهر وطعنت في تاسعها. ولعل هذا البيتَ أولى به أن يكونَ بعد البيت الرابع (يخاتلها ...)".

ويبدو أن البيتَ ينبغي أن يكونَ حيث قال الشيخ ليستقيم الشعر ويتم المعنى، وفي البيتِ الثامن تصحيح لمعنى الشعر وتوجيه له، لم نورده في تصحيح المعنى لكي لا نكثر، وخلاصته أنه يقول: أأرى عبدا؟ أو نحوه ... وفي الصفحة ٤٩٦ برقم ٦٧٩، وردت قصيدة للأخطل، وفيها أبياتٌ مختلة الترتيب:

بَنِي أُمَيَّةَ قَدْ نَاضَلْتُ دُونَكُمُ
أَبنَاءَ قَوْمٍ هُمُ آوَوْا وَهُمْ نَصَرُوْا

وَقَيْسَ عَيْلاَنَ حَتَّى أَقبلُواْ رَقَصًا
فَبَايَعُوكَ جِهَارًا بَعْدَمَا كَفَرُوْا

ضَجُّواْ مِنَ الْحَرْبِ إِذْ عَضَّتْ غَوَارِبُهُمْ
وَقَيْسُ عَيْلاَنَ مِنْ أَخْلاَقِهَا الضَّجَرُ

فيقول عن البيت الأول (التعليق ١): " هذا البيتُ في غير مكانه من ترتيب الشعر" ويقول في الثاني (التعليق ٢) "هذا بيتٌ انتُزِعَ انتزاعا من سياق الشعر، فهو في آخر أبيات ذكر فيها الأخطل مقتل عمير بن الحباب السلمي في يوم الحشاك."



تصحيح اللغة والتقاطها

تصحيح اللغة والتقاطها من كتب الشعر والأدب مما لم يقيَّد في المعاجم أمر مرتبط بتذوق الشعر والكلام بشكل عام، ولأبي فهر باعٌ في فهم كلام العرب، والوقوفِ على ما أخلت به المعاجم أو أخطأت في تقييده، وهو مبثوث في كتب الشيخ تماما كما هو الأمر في تذوق الشعر، ولكنه أظهر في كتاب "نمط صعب ونمط مخيف".

وهو كثير في بعض الكتب التي أخرجها الشيخ أحمد محمد شاكر، حيث كان يعهد إلى أخيه محمود بالجانب اللغوي، ومن نظر في "لباب الأدب" للأمير أسامة بن منقذ يظهر له الأمر جليا. وكذا تجد في "الشعر والشعراء" وغيرهما.

يقول العلامة السيد أحمد صقر رحمه في بعض ردوده على أحد الأساتذة في حديث عن كلمة "بواسل" نشرت في مجلة الرسالة "هذا؛ وإني أنصح الأستاذ المعقِّبَ بنصيحة خالصة، نصحني بها منذ أكثر من عشرة أعوام صديقي الراوية، الأستاذ محمود محمد شاكر، ونحن نقرأ حماسة ابن الشجري، قال لي عندما قرأت قول باعث اليَشْكُرِي (وكَتِيبَةٍ سُفْعِ الوُجُوهِ بَوَاسِلٍ): وهذه كلمة - يعني (بواسل) - أغفلتْها المعاجم فيما أغفلتْ من أوابد اللغة وشواردها؛ ومِن ثَمَّ أنصح لك ألاَّ تقطع برأي فيما لا تجده في المعاجم إلا بعد تَثْبِيتٍ؛ فإنَّ كثيرًا من ألفاظ اللغة موجودة في الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي، ولم يُقيّدهُ الرواة في معاجم اللغة، واقتصروا أيضًا في شرح بعض الكلمات على ما وَرَدَ في

أبيات بعينها مما رَوَوْهُ، وفيما لم يرْوُوهُ ولم يشرحوه كثيرٌ مما ينبغي أن يُشرح مرة ثانية بدلالة هذا الشعر. هذه نصيحة صديقي الأستاذ محمود محمد شاكر، وهي نصيحة قيمة، تعصم من اتبع هداها من التَّرِّدي في مهاوي العثرات" (١).

وهذا الذي نورده هنا من هذا الباب الذي طرقه الشيخ رحمه الله أو دلّه عليه الشعر العربي القديم وتذوقه- فأجاد فيه وأبدع.

التقاط اللغة من الشعر والأدب مما أخلت به المعاجم

وقد أفرد الشيخ رحمه الله فهرسا خاصا بهذه الألفاظ التي أخلت بها المعاجم أو قصرت في بيانها، فأحصى كلَّ ما جاء في الكتاب، وسنورد أمثلة لأنها داخلة في أمر المنهج، وإلا فبيانها هناك، وهي مستقصاةٌ وافية وافرة.

جاءت في الصفحة ١٠٦ برقم ١٢٢، أبيات لكعب بن زهير يثبت فيها أنه من مُزينة مطلعها:

أَلا أبلغا هَذَا المعرِّضَ آيَة   أيقظانَ قَالَ القَوْل إِذْ قَالَ أَو حلمْ

قال أبو فهر معلقا على كلمة "آية" (التعليق ٣):

"ديوانه: ٦٤، والاستيعاب١: ٢٢٠، وفيهما: (أنه) مكان (آية)، وهي ضعيفة جدا، والصواب ما في المخطوطة. وقد جاء أبو جعفر الطبري

(١) مقالات العلامة المحقق اللغوي السيد أحمد صقر، ص: ٢١٧.



بهذا البيت شاهدا على أن (الآية) القصة، وأن كعبا عنى بقوله (آية)، رسالة مني وخبرا عني. و(الآية) بمعنى الرسالة لم تذكره كتب اللغة، ولكنَّ شواهدَه لا تُعَدُّ كثرةً، من ذلك قول حجل بن نضلة (الأصمعيات: ٤٣):

أبلغ مُعاويةَ الممَزِّقَ آيةً عني، فلستُ كبعضِ ما يُتَقَوَّلُ

وقول أبي العيال الهذلي: (شرح أشعار الهذليين: ٤٣٣):

أبلغْ معاويَةَ ابنَ صخرٍ آيَةً يَهْوِي إِلَيْكَ بها البَرِيدُ الأَعْجَلُ

وهذا تفسير واضح في الشعر، وأوضح منه قول القائل (الأشباه والنظائر١ : ٧):

أَتَتْنِي آيَةٌ مِنْ أمِّ عَمْرٍو فَكِدْتُ أَغَصُّ بالماءِ القَرَاحِ
فَمَا أنْسَى رسَالَتَهَا ولكِنْ ذَلِيلٌ مَنْ يَنُوءُ بِلا جَنَاحِ

وفي هذا حُجَّة كافية وبرهان".

جاء في الصفحة ٧٨١ برقم ٩٤٧، أبيات ليزيد بن الطثرية في امرأة كان معجبا بها ثم صرمها، وختمها بهذه الأبيات الثلاثة:

أريا ! احذري نقضَ القُوى، لاَ يزلْ لنَا
علَى النَّأْيِ وَالهجْرَانِ مِنْكِ نَصِيبُ
وكُوني عَلَى الوَاشين لدَّاءَ شَغْبَةً
كَمَا أَنَا للواشِي أَلَدُّ شَغُوبُ

فَإِنْ خِفْـتِ أَنْ لاَ تحكُمِـى مِـرَّةَ القُـوَى

فَـــرُدِّي فُـــؤَادِي، وَالْمَـــرَدُّ قَرِيـــبُ

قال أبـو فهـر رحمـه الله في التعليـق علـى البيـت الثـاني (التعليـق١ بالصفحة ٧٨٢):

"رجل أَلَدُّ وامرأة لدَّاءُ: وهو الشديد الخصومة العنيد الجدل. شـغب يشغب: عند عن الحق وعصى وخالف وخاصم. ولم تذكر كتـب اللغـة: (شَغْبَةٌ وشَغُوبُ)، ولكنها صحيحة البنـاء والاشـتقاق، بـل قـالوا رجـل شغِبٌ (بفتح فكسر) ومِشْغَبٌ ومُشَاغِبٌ".

تصحيح ألفاظ من اللغة قصرت كتب اللغة عن بيانها

قال محمد بن سلام رحمه الله في مقدمة كتابه (الصفحة ٥، برقم ٤): "وللشـعر صَـنَاعَةٌ وثقافـة يعرفهَـا أهـل الْعلـم، كَسَـائِر أَصْـنَاف الْعلـم والصناعات: مِنْهَا مَا تثقفه الْعين، وَمِنْهَا مَا تثقفه الْأذن، وَمِنْهَـا مَـا تثقفـه الْيَد، وَمِنْهَا مَا يثقفه اللِّسَان".

فقال أبو فهر في تعليقه على كلمة "صَـناعة" (التعليـق١): "كتَـبَ في المخطوطة (صناعة) بكسر الصاد، ثم ضَرَب على الكسرة، ووضع علـى الصاد فتحة، وكذلك فعل بعدُ في لفظ (الصَّـناعات). وقـد خلَـتْ كتـب اللغة من النص على (صَناعة) بفـتح الصـاد، إلا أني وجـدت في كتـاب "الكليـات" لأبي البقـاء مـا نصـه: "والصَّـناعة بـالفتح، تسـتعمل في المحسوسات، وبالكسر في المعاني"، ولكنَّ إجماعَ كتب اللغة على ذكر



(الصناعة) بالكسر، وأنها حرفة الصانع وعمله بيده، دَالٌّ على أن الصناعة بالفتح في المعاني، دون المحسوسات، وأنها الحذق والدُّرْبَةُ على الشيء".

وأورد ابن سلام بيتي جرير اللذين يرد فيهما على الفرزدق حين قال (رقم ٥٢٩، الصفحة ٣٨٩):

وَلستَ وَلَو فَقَّأْتَ عَيْنَكَ وَاجِدًا
أَبًا لَكَ إِنْ عُدَّ المسَاعِي كَدَارِمِ
هُوَ الشَّيْخُ وَابْنُ الشَّيْخِ لاَ شَيْخَ مِثْلَهُ
أَبُو كُلِّ ذِي بَيْتِ رَفيعِ الدَّعَائِمِ

وبيتا جرير:

أَ قَيْنَ بْنَ قَيْنٍ مَا يَسُرُّ نِسَاءَنَا
بِذِي نُجُبٍ أَنَّا ادَّعَيْنَا لِدَارِمِ
هُوَ الْقَيْنُ وَابْنُ الْقَيْنِ لا قَيْنَ مِثْلُهُ
لِفَطْحِ الْمَسَاحِي أَوْ لِجَدْلِ الأَدَاهِمِ

ثم أخذ في شرح ألفاظ بيتي جرير، فقال (ص ٣٩١):

" الجدل: الفتل، والأداهم: الحبال، نَا أَبُو خَلِيفَة: كل من كَانَ فِي عمله حَدِيد فَهُوَ قين، بذى نجب: يَوْم الْتَقت بَنو حَنْظَلَة وَبَنُو عَامر إِلَّا بني مَالك بن حَنْظَلَة".

فعلّق الشيخ محمود على شرح ابن سلام لكلمة "الأدهم"، فقال (التعليق٢) :

"الأداهم جمع أدهم: وهو القيدُ، سُمِّيَ به لسواده. يقال إنه من خشب، والأجود أن يُقَالَ: هو المتَّخَذُ من الحديد، فلذلك تجيء صفته بالدُّهمَةِ، أي السواد. أما قوله "الأداهم: الحبال"، فليس بشيء. وغرَّر بابن سلام قوله "الجدل" والجدل للحبال، بل هو أيضا للحديد إذا صُنِعَ: وذلك أن يُضْرَبَ عرض الحديد حتى يُدَمْلَجَ، وتُضْرَب حُرُوفُه حتى يستدير، ويتخذ عندئذ للقيود والدروع."

وهذا كاف لبيان القضية وعرضها، والكتاب حافل بهذه الفوائد الجليلة الفريدة، فمن تتبع ذلك وجد فيه بغيته. وفي فهارس الكتاب استقصاء لكثير من هذه المادة سواء في ما يتعلق بالنحو أو ما ذكرنا في تصحيح اللغة وبيانها، أو ما يتعلق ببعض الفوائد الأخرى التي لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحات الكتاب.

في نَقْدِ المكْتُوبِ وامْتِدَادِ المعرِفَة

لم يتوقف الشيخ محمود محمد شاكر في عمله عند الشرح والتعليق فحسب، بل امتد به الأمر إلى ما هو أبعدُ، وتشعبت به الطرق إلى آفاق رحبة واسعة من العلم أفاد فيها الأمة إفادات عظيمة. ذلك أنه لا يسلِّم بكلِّ ما يَرِدُ في الكتاب ويأخذ به، ولكنه يعرضُه دائما على الفحص والنظر، فما وافق الصواب فهو صواب، وما خالفه لم يمنعه كون ابن سلام صاحبَ الكلام من أن يقول إنه أخطأ، تماما مثلما يفعل في تصحيح معنى الشعر واللغة.



ونقدُ المكتوب مصحوبٌ دائما بالحجة والبيان والدليل، فربما لم يَكْتَفِ من الوقوف أمام قضية ما بالشرح المجرَّد، بل يتعدى ذلك إلى البيان عنها، فإمَّا أَمْكَنَهُ ذلكَ في تعليقه على الكتاب فَذَاك، وإلا انتقل بها إلى فضاء أرحب فأفرد لها مقالة أو كتابا حتى يوَضِّحَ غَامِضَهَا ويربطَها بأصُولها وامتداداتها. وهذه خاصية يكاد ينفرد بها الشيخ عن غيره من شيوخ "التحقيق". وهنا يظهر علم الشيخ واهتمامه بما ينشره اهتماما منقطع النظير، ويظهر جليا مصاحبته للكتاب ومؤلفه وغوصه في أثناء الكلام حتى يستخرج دُرَرَهُ، ويكشف عن غامضه، ويصحِّح الخطأ فيه ليعيد بناء المعرفة على أُسُسٍ سليمة لا تتزعزع.

وفي مقدمة كتاب "طبقات فحول الشعراء" كثير من الأمور التي أثارت جدلا واسعا، ونقاشا كبيرا في أوساط المشتغلين بالأدب والنقد العربي، سواء منهم الذين ينكرون وجود الشعر الجاهلي أو الذين يرفضون هذه الدعوى الفاسدة. وآراء الشيخ في هذه المقدمة هي خير مفتاح لهذا الباب الذي نحن بصدده. فمن ذلك تعليقه على قول ابن سلام (المقدمة، رقم ٣٥، صفحة ٢٦): "وَلم يكن لأوائل الْعَرَب من الشّعْر إِلا الأبياتُ يَقُولهَا الرجل في حَاجته وَإِنَّمَا قُصِّدت القصائد وَطُوِّلَ الشّعْر على عهد عبد الْمطلب وهَاشِم بن عبد منَاف".

يقول أبو فهر (التعليق ٤): "هكذا يرى ابن سلام وغيره من المتقدمين. وهو عندي باطل، فالشعر أقدم مما يزعم، وطَويلُه أعْتَقُ مما يتَوَهَّمُ. وليته قال هنا ما قاله منذ قليل في سبب ذهاب شعر عبيد وطرفة: أن قدمهما كان السبب في قلة ما روي عنهما. فإن صح ذلك، فمن كان قبلهما أجدر أن يذهب من كلامه أكثر مما ذهب من كلامهما. وهذا بحث طويل ليس هذا مكان الاحتجاج له".

ولقد وفى الشيخ بما قال، فاحتج لرأيه في محاضـراته الـتي جمعـت من بعدُ في كتاب "قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام"، وفصل في قضية عمر الشعر الجاهلي تفصيلا وافيا حيـث يـرى أن الشـعر لا بـدَّ أن يكونَ أقدم مما قاله ابن سلام فتبعه فيه الجاحظ وبنى عليه حسـاباته الـتي جعلته يقدر عمره في مائتي سنة، فأسقط ذلك الفرض، بنـاء علـى أمـور أكثر منطقية، ارتباطا بقضية إعجاز القـرآن وعلاقتـها بالشـعر الجـاهلي، والتي تخلص إلى أن أول شيء كان يطالب به الرسول النـاس أن يسـمعوا هذا الكلام الذي يتلو عليهم ويميزوه عن كلام البشـر، وغـير ممكـن أن يطالبهم إلا وهم قادرون على ذلك التمييز، ثم لا يمكن أن تتكـون تلـك القدرة إلا بعد مِرَاس طويل، وزمن متقادم يجـد فيـه هـؤلاء القـوم بـين أيديهم كلاما رفيعا يتذوقونه بينهم، وهو الشعر في أغلبه؛ يكون بينهم في جميع أحوالهم، ويتلقاه كل فرد منهم على اختلاف طبقـاتهم وأعمـارهم وأقدارهم، ويتداولونه بينهم، فتصقل هذه التجربة وتتطور حتى تصير في حالتها التي هي عليه عند هؤلاء قبيل نزول القرآن الكريم.

وقد أجاب في هـذا الكتـاب علـى كـثير ممـا أثـير في المقدمـة مـن مشاكل، ومنها التحقيق في قضية الإقحام الذي أحدثه ابـن سـلام فيهـا، وفي مصطلحات أوردها الرجل، فأخذها عنه غيره واستعملوها استعمالا آخر، ثم جاء أهل فتنة الشعر الجاهلي فبنوا علـى ذلـك شـيئا كـثيرا مـن أفكارهم وتصوراتهم. والكتاب إن شئتَ أن تصفه مدخل لا بدَّ منـه لكـل دارس لكتاب طبقات فحـول الشـعراء، ومفتـاح يحُـلُّ غامضَـهُ ويشـرح مُبهَمَهُ. ثم هو في باب إعجاز القرآن ظاهرة فريدة، ونظرة ثاقبة تكادُ تَـتِمُّ حين يُقْرَنُ إلى صنوه "مداخل إعجاز القرآن".



وبعدُ:

فهذه لمحات خاطفة، ووقفات خفيفة عند أهم معالم منهج الاستبانة عند الشيخ محمود محمد شاكر في قراءة النصوص العربية، لم نتوسع فيه، ولم نستقص كل شيء، فالموقف موقف تلميح وإشارة، ليس يسمح بالإطالة والإحاطة وبسط العبارة، ومن زعم أنه قادر على ذلك فقد وهم.

والحمد لله أولا وآخرا.

المراجع

- أباطيل وأسمار، محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٢٦ هـ /٢٠٠٥ م.
- برنامج طبقات فحول الشعراء، محمود محمد شاكر، نشر في مقدمة كتاب طبقات فحول الشعراء، دار المدني بجدة ، دون طبعة، دون تاريخ.
- جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، جمعها وقرأها وقدم لها عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية ٢٠٠٣.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، قرأه وشرحه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، دار المدني بجدة، الطبعة الثانية، ١٩٧٤.
- مجلة العربي، العدد ٤٦٩.
- مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٧٤ م
- مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي، جمع وتقديم محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٦م.
- مقالات العلامة المحقق اللغوي الأديب السيد أحمد صقر، جمع وإعداد أحمد بن موسى الحازمي، دار التوحيد للنشر بالرياض، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.



القسم الثالث:

المقالات



مقياس المقاييس

أبو عبد الرّحمن ابن عقيل الظّاهريّ

١- معاني مادة (الأَمْرِ)، واشتقاقها:

قال أبو عبد الرّحمن:

سأتقصَّى هذه المادةَ إن شاء الله تِباعًا؛ لتكون منهجًا يُحتذَى عند مَن يريد ردَّ أشتات معاني المفردة إلى معنى واحدٍ جامع يدل عليه اللفظُ دلالةَ مُطابَقة؛ وذلك بالاستقراء العلمي، واللَّمَّاحِيَّة الفكرية وهو المعنى الوضعي الأولي الحقيقي الأصلي، وما سواه من المعاني مجاز: إما بالتضمُّن، وإما باللزوم، وإما بالشبهية، وإما بالانتقال من الوصف إلى الاسم .. إلخ؛ وذلك هو المجاز اللغوي في معاني المفردة، وهو غير المجاز الأدبي في الكلام الـمُركَّب، وهو الاشتقاق الكبير، ولا اشتقاقَ غيرُه؛ وأما قولهم: (ضاربٌ مشتق من ضَرَب، أو الفعل مشتقٌّ من المصدر .. إلخ): فذلك وَهْمٌ، بل هو تحويل المادة من صيغة إلى صيغة يريد مُحَوِّلُها معناها مثل تحويل ما جاء على وزن (فاعِل) إلى صيغة (فَعَّال) وفق المقاييس الصرفية المستقرأة من لغة العرب .. والصِّيغ مُحْصاةً بالاستقراء، ولكل صيغة معناها الوضعي ومعانيها المجازية .. وَلَمُّ أشتاتِ معاني المادة، وَحِذْقُ العلاقاتِ والفوارق بينها يمنح بعون الله سعةً في اللغة، وسرعةَ استحضارٍ لها .. وإن حصل نشاط تابعتُ البحث إن شاء الله في موادَّ أخرى.

قال أبو عبد الرّحمن:

للأمْر - بسكون الميم - معنيان: الأول اسم الصيغة الطلبية التي يُراد بها فِعلُ شيئ ما من مأمورٍ معيَّن، والثاني اسمٌ لكل شأن من الشؤون، وقد اختلفوا في جمع الأمر بهذين المعنيين كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

والصِّيغُ الطلبيةُ كثيرة مُحصاة في كُتب النحو مثل: قُمْ، واقعد، وتأمَّل، واعترف، ولْيَقُلْ .. وعُنِيَ اللُّغويون بصيغٍ غريبة حُمِلَتْ على الطلب مثل إِيْهٍ وخاءِ بِك - أي اِعْجَلْ علينا -، وحَيَّهلْ[(١)] من جهة اشتقاق معانيها، وكيفيةِ دلالتها على الطَّلب .. ولن أخوض في إحصاء صيغ الطلب، ولا في معنى الطلب: هل هو الوجوب، أو الاستحباب، أو التعجيز .. إلخ ؟ .. ولا في معاني الصيغ الغريبة التي عُني بها اللغويون كالأمثلة التي مرت؛ لأن كل هذا خارج عن الموضوع الذي هو دلالة (الأَمْر) على أنه اسم لكل صيغة دالَّةٍ على طلب فِعل شيئ ما من مطلوبٍ منه مُعَيَّن؛ فهذا هو المقصود وحسب.

ومن اللُّغويِّين مَن يُعَرِّفُ الأمر بأنه نقيض النهي، ومنهم مَن يُعَرِّفه بأنه ضد النهي .. وهذا غير محمود في التعريف بمعاني اللغة التي هي للدلالة العامة إلا في إحدى حالتين: إحداهما أن يكون النقيض أو الضد زيادة إيضاح بعد تعريفك النقيض أو الضد؛ فتقول: (الأمر اسمُ صيغة تدل على طلب فعلٍ ما من مطلوب معيَّن، وهو نقيض النهي الذي هو اسم صيغة تدل على طلب ترك فعلِ شيئ ما).

(١) انظر على سبيل المِثال: كتاب الجراثيم المنسوب إلى ابن قتيبة - وسواء أصحت نسبتُه إليه أم لم تصح: فهو كتابُ عالِمٍ مُحَقِّق - ١/٣٤٥-٣٤٦ بتحقيق محمد جاسم الحميدي / وزارة الثقافة بدمشق عام ١٩٩٧م.



وما دام الأمر طلبًا من مطلوب منه، وأنه طلب فعل: فلا احتمال لقسم ثالث بمعنى الطلب ههنا إلا طلب الترك، وأُخراهما أن تُوجَدَ جهةُ قسمةٍ جامعة كما في مصطلحات العلوم كعلم البلاغة؛ فتقول: (الكلام إما خبر، وإما إنشاء .. ومن الإنشاء الأمر، وهو ضد النهي).

وههنا يتعيَّن الضِّد لا النقيض؛ لأن النقيض واحد مُتَعَيِّن، ولا ثالث للنقيضين إلا العدم، والأضداد كثيرة، ولكنها محصورة في جامع القسمة، وهو الإنشاء ههنا، وهو أنواع كثيرة مُتَصَوَّرة بتعريف البلاغي لها؛ فَتَعْلَمُ من تعيين النهي بالضدية (مع أن الأضداد كثيرة) أنهما نقيضان في جهةِ قسمةٍ أخصَّ؛ وحينئذٍ تقول: (الإنشاء طلب وغير طلب، والإنشاء الطلبي: إما أن يكون طلب شيءٍ مُعَيَّن من مطلوب معين، وهو الأمر ونقيضه النهي .. وإما أن يكون طلبًا بغير صيغة الأمر والنهي كالتمني والاستفهام[1]، وضد ذلك الأمر والنهي؛ فهما ضدان لا نقيضان؛ لأن القسمة الجامعة مُطْلَق الطلب.

وأما كون الأمر الذي هو اسمٌ صيغةُ طلبِ فعلٍ ما قد يكون لمعنى آخر غير طلب الفعل كالتعجيز؛ فذلك من دلالات تركيب الكلام لغة ونحوًا، وليس هذا شأن اللغوي؛ وإنما شأنه بيانُ معاني المفردات؛ فإذا قال اللغوي (الأمر اسم صيغةُ طلبِ فعل ما من مطلوب معيَّن): فقد صح تعريفه، ولم ينخرم بكون الأمر يأتي تعجيزًا؛ لأن التعجيز جاء بصيغةِ

(١) انظر عن أنواع الإنشاء على سبيل المثال: الإيضاحَ للخطيب القزويني رحمه الله تعالى ص ١٣٥-١٥٠ / دار الكتب العلمية ببيروت / طبعتهم الأولى عام ١٤٠٥هـ، ومختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني رحمه الله تعالى ص ١٢٩-١٤٤ / مؤسسة التاريخ العربي ببيروت عام ١٤٢٤هـ.

طلبٍ اسمُها في اللغة أمر، وخروجها عن طلب الفعل إلى إظهار العجز يؤخذ من علوم الدلالة عندما تكون المفردات مركَّبة في جملة مفيدة؛ ولهذا كانت متون اللغة علمًا نقليًا بحتًا، وعلوم تركيب الكلام نحواً وبلاغة علمًا نقليًا وعقليًا معًا؛ فلتركيب الكلام نحواً وبلاغة قوانين نقلية مستقرأة من كلام العرب، ولمآل الكلام المركَّب (دلالة الجملة أو الجُمَلِ) قوانينُ عقلية وحسية؛ وإنما يهتمُّ اللُّغوي بعلم الدلالة من الكلام المركَّب حينما يجد معنى منسوبًا إلى المفردة وليس هو من المعنى الجامع لمعاني المفردة بوجهٍ من الوجوه؛ وإنما هو مبني على شاهدِ من كلام العرب أُسِيءَ فَهْمُه، والأمثلة على ذلك كثيرة، وأكتفي ههنا بمثال واحد؛ لأن المثال شارح لا حاصر؛ وذلك هو قول البَعيث: (لها في أقاصي الأرض شَأْوٌ ومَنْجَمُ)، وقول ابن لجإٍ:

فصبَّحتُ والشمسُ لـمَّا تُنْعِمِ   أن تَبْلُغَ الجُدَّة فوقَ الـمَنجمِ

فقد فَسَّر جُمَّاع اللغة المنْجَم بمعنى (الطريق الواضح)[1]، بناء على هذين الشاهدين، وهذا سوءُ فهم للشاهِدين من جهتين: **أولاهما** أن وضوحَ الطريق ليس من معاني (نجم)، بل النجم واضح في نفسه، غير كاشف للطريق ولا مُوَضِّح له؛ فيكون بالمطاوَعَة واضحًا، بل يُهْتَدَى بالنجم إلى سَمْت الاتجاه شرقًا وغربًا إلى آخره.

وليس في المشاهَدة أن طريقًا ما تجتمع النجوم فوقه فيكون مَنْجمًا، ولو اتَّضح الطريق بالنجم لكان مُنَجَّمًا لا مَنجَمًا .. والله سبحانه جعل الشمس ضياءً، والقمر نورًا، والنجمَ هاديًا في الأفق غيرَ مزيلٍ الظلمة

(١) انظر تاج العروس ٣٣/٤٧٩/ ط دولة الكويت

على سطح البر والبحر .. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ [سورة يونس: ٥]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ٩٧]؛ فحصلت الهداية وبقيت الظلمة تحت النجوم.

وأخراهما: أن سياق الكلام في الشاهِدين عن البُعْدِ لا عن الوضوح، والوضوح في بيت ابن لجإ آتٍ من (الجُدَّة) لا من (المَنْجَم)؛ وبيان ذلك أنه أخذ من بُعْد النجم في العُلُوِّ معنى البُعد سواء أكان أُفُقِيًّا كما في الشاهِدين، أم كان رأسيًا كقولهم عن الطير الجارح إذا ارتفع فوق الحُبارَى كثيرًا ثم أهوى عليها وأخذ منها ريشًا مرتين أو ثلاثًا، ثم ارتفع بعيدًا وأهوى عليها فقتلها بخنق أو قصٍّ: (الطير يُنَجِّم) أي يرتفع كأنه يريد بلوغ النَّجم.

وَأُخذ من النجم معنى البُعْد في الغور؛ فتوصف الأرض الغائرة بالمنجم كأن الأرض حُفِرَتْ بشهاب هَوَى من السماء محاذيًا النجمَ أو من النجم نفسه حسب اعتقاد العرب، ومِن اللغة ما يُبْنى على اعتقاد العرب.

وأما بيتُ البَعِيثِ فهو في سياق أقاصي الأرض (وفي هذا معنى البعد)، والشَّأوُ وهو البُعدُ في السير، والمنجم تفسير ترادفي للشأوِ.

وأما بيتُ ابن لجإ فهو في سياق الإصباح بعد السُّرى، وهذا دليل على بُعْدِ المسافة؛ فصار المنجم مكانًا بعيدًا ما كاد يصل إليه بعد السرى إلا عند طلوع الشمس، وفي أمثال العرب: (عند الصباح يحمد القوم السُّرى) .. وحمرة الصباح الواضحة بنص الشاهِد ليست هي المنجم، ولكنها فوق المنجم؛ فالوضوح آت من (الجُدَّة)، وهي حمرة الشمس

قبل إشراقها تكون خَطًّا في الأُفُق، وفي مجاز لغة العرب: أن الجُدَّة - بضم الجيم، والدال المهملة المفتوحة المشدَّدة - الطريق من كل شيء كالطريق في السماء، وطريق في الجبل تخالف لونه، وفي ظهر الحمار الوحشي؛ فهو ذو جُدَد، وفي الجبال جُدَد بيض وسود وحمر، ومن ذلك أُخذ معنى العلامة [١].

وفي لغة العرب: (نجم الشيئ إذا ظهر وطلع كنجم النبات) [٢]، ولا تزال العامّة اليوم تقول: (نجم علينا فلان) إذا ظهر مُفاجأة؛ فهو قد وَضُحَ في نفسه بظهوره كالنجم، ولم يكن مُوْضِحًا غيرَه.

والمعنى الثاني للأمر أنه اسم عام لكلِّ شأن، ويأتي إن شاء الله وجه اشتقاق ذلك، وقال الليث تلميذ الخليل [١٠٠-١٧٥هـ] رحمهما الله تعالى في تعريف الأمر بِقِسْمَيْه: «الأمر نقيض النهي، والأمر واحد من أمور [٣] الناس» [٤].

كلمة عارضة عن كتاب العين:

قال أبو عبدالرحمن:

الخلاف كثير جدًا حول المؤلف الحقيقي لكتاب العين: أهو الخليل،

(١) تاج العروس ٧/٤٧٧.

(٢) تاج العروس ٧/٤٧٤، و٤٧٥، و٤٧٧.

(٣) **قال أبو عبدالرحمن**: هذا تفسير الشيئ بنفسه، ولو قال: (من شؤون الناس) لكان تفسيرًا معنويًا باللفظ.

(٤) كتاب العين ٨/٢٩٨ / بتحقيق الدكتورين مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي / وزارة الثقافة والإعلام ببغداد عام ١٩٨٥م.



أو تلميذه الليث ؟

كما أن الخلاف كثير جدًا حول اسم أبي الليث، ولست متفرغًا لعرض بحث كامل للخلاف؛ وإنما أنص على بعض أقوال قريبي العهد من الليث والخليل، وأحيل إلى بعض المصادر، ورأيي وترجيحي مُداخلة بين النصوص .. ومع هذا الاختصار فهو سيكون استطرادًا طويلًا ما دام خلال تحقيق مسألة لغوية، ولا يضيرني هذا كما سأبين ذلك في آخر هذه المقالة .. وأقدَم نصٍّ وجدتُه قولُ أبي العباس عبد الله بن الـمُعْتَزِّ ابن المتوكِّل بن المعتصم بن هارون الرشيد [٢٣٧-٢٩٦هـ] رحمهم الله تعالى: وحدثني أبو العباس أحمد بن عبدالله بن محمد بن جعفر، قال: حدثني محمد بن المهلَّبي قال:

كان الخليل بن أحمد منقطعًا إلى الليث بن نَصر بن سيَّار، وكان الليث من أكتب الناس في زمانه، وكان بارع الأدب، بصيرًا بالنحو والشعر والغريب، وكان يكتب للبرامكة، ويطير معهم في دولتهم بجناحين، وكانوا به معجبين؛ فارتحل إليه الخليل بن أحمد؛ فلما عاشره وجده بحرًا، فأجزل له وأغناه.

وأحبّ الخليل أن يهدي إليه هدية تليق به، فأقبل وأدبر، وعلم أن المال والأثاث لا يقع منه موقعًا حسنًا، لوجود ذلك عنده، وكثرته لديه، وأنه لا يُسرُّ بشيء سرورَه بمعنى لطيف من الأدب، فجهد نفسه في تصنيف (كتاب العين)، فصنَّفه لليث بن نصر دون سائر النّاس، ونمَّقه وحَبَّره، وأخرجه في أَسْرى ظرف وأحسن خَطٍّ، فوقع منه موقعًا عظيمًا، وسُرَّ به سرورًا شديدًا؛ فوصله بمئة ألف درهم، واعتذر إليه من التقصير، وأقبل ينظر فيه ليلًا ونهارًا، ولا يمل منه ولا يفتر، وكان يغدو

ويروح على البرامكة، فكأنه على الرَّضْف [الحجارة الـمُحْمَّاة؛ ليسخَّن عليها] حتى يرجع إلى الكتاب وينظر فيه إلى أن حفظ نصف الكتاب.

وكانت تحته بنت عمٍّ له، وكانت سَرِيَّة نبيلة موسرة جميلة، وكانت تهوى ابن عمها وتحبه؛ فاشترى الليث جارية نفيسة فائقة الجمال بثمن جزيل، فأقعدها في منزل صديق له يَتسرَّى بها؛ فبلغ ذلك ابنة عمه؛ فَوَجَدَتْ من ذلك أشدَّ وَجْدٍ، وحزنت، وقالت: والله لأُغيظنَّه، ولا أَتقي الغاية. وقالت: إن غِظْته في المال فهو لا يبالي به ولا يكترث له، ولكني أراه مشغوفًا بهذا الكتاب، وقد هجر كل لهو ولذة، وأقبل على النظر فيه، والله لأفجعنَّه به.

ثم عمدت إلى الكتاب بأسره فأحرقته، فلما كان بالعشي، وراح اللّيث من دار البرامكة، ودخل المنزل: لم يكن له همٌّ إلا الكتاب، فصاح بالغلام أن يحمله إليه، فلم يُوجد الكتاب، وكاد يطير طيشًا، وظن أنه سرق، فجمع غلمانه وتهدَّدهم. فقال بعضهم: يا سيدنا أخذته الـحُرَّة.

فبادر إليها ليترضاها ويسترجع الكتاب، وقال لها: رُدِّي الكتاب والجاريةُ لك، وقد حرَّمتها على نفسي. فأخذتْ بيده، وأدخلته البيت الذي أحرقته فيه، فلما نظر إلى رماده، وصحّ عنده أنه احترق، سُقِطَ في يديه.

وظُنَّ أنه أصيب بمال عظيم أو بولد أو أعظم منه، وكان قد حفظ نصف الكتاب، وبقى عليه نصفه، وقد مات الخليل؛ فطلبه في الدّنيا كلّها فأعجزه ذلك، ولم تكن النسخة وقعت إلى أحد؛ فاستدرك النصف من حفظه وجمع على النصف الباقي علماء أهل زمانه. فقالوا: ما تروم؟ قال: مثلوا عليه، فمثَّلوا، فلم يلحقوه، ولا شقَّوا غباره؛ فأنت ترى ما في



أيدي الناس من ذلك، فإذا ما تأملته تـراه نصـفين، النصـف الأول أتقـن وأحكم، والنصف الآخر مقصر عن ذلك[١].

قال أبو عبدالرحمن:

هذا النّصّ أقرب إلى الأسطورة، وهو معارِض إنكارَ مَنْ هُمْ أمْكَنُ في اللغة، وهم قريبو العهد بالليث وشيخه، وهو مع هذا نـافٍ بقـاء نسـخة الخليل بخطه - لو صح أن الخليل ألَّفه -.

وقال أبو الحسن محمد بن الحسن بن دريد [- ٣٢١هـ]: «وقد ألَّف أبو عبد الرحمن الخليل بـن أحمـد الفراهيـدي رضـوان الله عليـه كتـابَ العين؛ فأتعب مَن تصدَّى لغايته، وعَنَّى مَن سما إلى نهايته؛ فالمنصفُ له بالغَلَبِ مُعْتَرِفٌ، والـمُعاند مُتكلِّفٌ .. وكلُّ مَن بعده له تَبَعٌ (أقرَّ بـذلك، أم جحد)، ولكنه رحمه الله ألَّف كتابًا مُشكلًا[٢]؛ لثقوب فهمـه، وذكـاء

(١) طبقات الشعراء ص١٢٤-١٢٦ بتحقيق الدكتور عمر فاروق الطباع / شركة الأرقـم / طبعتهم الأولى عام ١٤١٩هـ، وانظره بتحقيق عبدالسـتار أحمـد فـراج ص ٩٦-٩٨/ دار المعارف بمصر / طبعتهم الرابعة.

(٢) **قال أبو عبدالرحمن:**

هكذا في طبعة الهند للجمهـرة، وفي طبعـة دار العلـم للملايـين اختـار المحقِّـق (مشاكلًا) متابعًا محقِّقي الـمُزهر للسـيوطي ٩٢/١ .. والمشـكل هـي الأصـح؛ لأنـه مشكل عند المتأخرين كما في سياق مقدمة ابـن دريـد، ووجـه الإشـكال في ترتيـب حروفه على المخارج، ولهذا قال عن جمهرته، وعن العين: «ووطَّأنا شأوه، وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة .. إلخ» .. أي حتى لا يشكل علـى أبنـاء عصـره الـذين وصفهم بأن النقص فيهم فاشٍ، والعجزَ لهم شاملٌ .. وترتيب العين غير مشـكل علـى الخليل وأبناء جيله؛ لثقوب فهمه، وحدة أذهان أهل عصره .. ولـو كانـت (مشـاكلاً) لكان معناها قلقًا في سياق الكلام، ولكان الأصـح تعديـة مشـاكلًا مباشـرة هكـذا: =

فطنته، وحِدَّة أذهان أهل دهره»[١].

وقال أبو الطيب عبدالواحد بن علي [-٣٥١هـ] رحمه الله تعالى: «وأبدع الخليلُ بدائع لم يُسبق إليها؛ فمِن ذلك تأليفُه كلام العرب على الحروف في الكتاب المسمَّى بكتاب العين فإنه هو الذي رتَّب أبوابه، وتوفي من قبل أن يَحْشُوَه [٢] .. أخبرنا محمد بن يحيى قال: سمعت أحمد بن يحيى ثعلبًا يقول: إنما وقع الغلط في كتاب العين؛ لأن الخليل رسمه ولم يحشه، ولو كان حشاه ما بقَّى فيه شيئًا؛ لأن الخليل رجلٌ لم يُرَ مثلُه .. قال: وقد حشا الكتاب أيضًا قومٌ علماءُ، إلا أنهم لم يؤخذ منهم رواية؛ وإنما وُجِد بنقل الورَّاقين؛ فاختلَّ الكتابُ لهذه الجهة .. أخبرنا محمد بن عبدالواحد الزاهد قال: حدثني فتى قدم علينا من خراسان - وكان يقرأُ عليَّ كتاب العين قال: أخبرني أبي: عن إسحاق بن راهويه، قال: كان الليث صاحب الخليل بن أحمد رجلًا صالحًا، وكان الخليل عمل من كتاب العين باب العين وحده؛ فأحبَّ الليث أن تَنْفُق سوق الخليل؛ فصنَّف باقي الكتاب، وسمَّى نفسه الخليل .. وقال لي مرة أخرى: فسمى لسانه الخليل من حبِّه للخليل بن أحمد؛ فهو إذا قال في الكتاب: (قال الخليل بن أحمد)؛ فهو الخليل، وإذا قال: (قال الخليل)

= (مشاكلًا ثقوب ذهنه)؛ فصح أن (لثقوب ذهنه) تعليل للإشكال، وليس معمولًا للمشاكلة.

(١) كتاب جمهرة اللغة ١/٤٠/دار العلم للملايين بتحقيق الدكتور رمزي منير بعلبكي / طبعتهم الأولى ١٩٨٧م.

(٢) **قال أبو عبدالرحمن:**

يعني أنه رتَّب أبوب الكتاب على ترتيب الحروف الذي اختاره وَفْق مخارج الحروف، ولم يجعله محشواً بالمواد اللغوية لكل مادة.



مطلقًا فهو يحكي عن نفسه، فكلُّ ما كان في الكتاب من خللٍ فإنه منه، لا من الخليل بن أحمد»[١].

قال أبو عبدالرحمن:

ابن دريد مُقِرٌّ بأن العين تأليف الخليل، ومَن قَبْله يأبون ذلك .. وترتيبُ الخليل الحروف حسب المخارج، وذِكْرُ معاني المفردات مع تقليب حروف المفردة تقديمًا وتأخيرًا - منهجًا، لا تنصيصًا (أي محشوًا) - هو الأصح؛ لأن ثعلبًا قريب العهد من الخليل والليث، وهو عدل ثقة، ولأن كثرة الأخطاء التي لاحظها العلماء في كتاب العين لا تليق بإمامة الخليل.

وأما الخبر عن الإمام المحدِّث ابن راهويه رحمه الله تعالى ففي سنده اثنان مجهولان. والترتيب الذي اختاره الخليل قالبًا لكتابٍ تُدْرج فيه موادُّ اللغة حسب مخارج الحروف هكذا: «ع ح هـ خ غ ق كً ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ث ذ ر د ن ف ب م و ا ي أ». وتُرتَّبُ المخارج على صفاتها؛ فبدأ بحروف الحلق، ثم حرفي اللهاة .. إلخ.

وكل حرف على أبواب هي: باب الثنائي المضاعف مثل (قشّ)، ثم يأتي بمقلوبه (شقّ)، ثم يأتي بالثلاثي الصحيح مثل (شقص)، ثم الثلاثي المعتل مثل (جوق)، ثم اللفيف[٢] مثل (وقى)، ثم الرباعي مثل

(١) مراتب النحويين ص ٥٧-٥٨ بتحقيق أبو الفضل إبراهيم / دار الفكر العربي.

(٢) **قال أبو عبدالرحمن:**
اللفيف نوعان يكونان في الفعل الـمُعْتَلِّ، وهما اللفيف المقرون إذا كان وسطه وآخره حرفي علة مثل هوى .. واللفيف المفروق، وهو ما كان أوله وآخره حرفي علة مثل وقى.

(جرمق)، ثم الخماسي مثل (فرزدق) .. وليس بعد الخماسي شيئ؛ لأن ما زاد على الخماسي فهو محمول عنده على أصل لا زيادة فيه مثل (عنكبوت)؛ إنما هي (عنكب).

قال أبو عبدالرحمن :

ليس هذا مجال تحقيق المسألة، ولكن موجز القول أن ما زاد على خمسة يجب أن يفْرد بباب، لأن للصيغ (الأوزان) دلالتها الخاصة؛ فليس هناك زيادة حرف، وإنما هو تحويل المادة إلى صيغة ذات حروف أكثر يعرف العرب معناها .. وختم كتابه بباب الحروف المعتلة [(١)].

ثم تجد في الحرف أبوابًا من أجل بيان معاني المادة بعد تقليبها مثل (باب الثلاثي المعتل من الشين: باب الشين والصاد ومعهما (و ا ي أ) مثل شصو وشوص وشيص .. وهو يذكر المستعمل، ويدع المهمل، أو يشير إليه [(٢)].

قال أبو عبدالرحمن :

المطلوب تسهيل العلم، وبناء اللغة ينبغي أن يكون على حروف المعجم الهجائية (ألف باء .. إلخ)؛ فالباب للحرف الأول، والفصل للحرف الأخير؛ لتسهل على الـمُراجِع معرفةُ الاستعمال العربي الذي يريده من معاني المادة، وأما من أراد تحقيق الاشتقاق المعنوي فإنه يستقرئ من معاني المادة، ويكون على باله الجذر الثنائي مثل النون

(١) انظر كتاب العين ٨/٤٣٧-٤٤٥.

(٢) **قال أبو عبدالرحمن** : للاهتداء إلى بحث المادة في كتاب العين انظر مقدمة مُحقِّقيه ١/٢٨-٣٠.



والفاء في نفت ونفث ونفج ونفح ونفخ .. إلخ.

وذلك ظاهرة أغلبية، ويكون على باله تقليب المادة مثل قول وولق ولوق؛ فالاشتراك في المعاني ظاهرة أغلب منها في الجذر الثنائي. ويكون على باله ما هو طارئ على الاشتقاق المعنوي الذي هو وضع آخر كالمعرَّب والمقترض وحكاية الصوت والقلب من مادة أخرى على سبيل بدلِ حرفٍ من حرف.

ومنهج الخليل رحمه الله تعالى عسير جداً في تحقيق هذا المطلب، وله قيمته المستقلة في موضعه كالتجويد وعلم الأصوات، ويُستمدُّ منه في متون اللغة كالعلم بحرفين لا يجتمعان أو لا يتجاوران في مادة واحدة.

وبعد أبي الطيب عبد الواحد الحلبي أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ثم الأندلسي [-٣٥٦هـ]، تلميذ ابن دريد رحمهما الله تعالى، وقد أنكر نسبة كتاب العين، وذكر إنكار أبي حاتم السّجستاني وأصحابه نسبةَ الكتاب إلى الخليل كما سيأتي إن شاء الله من نقل بعض النّصوص من (المزهر) للسيوطي؛ فلما حقَّق الأستاذ هاشم الطعان كراسة من البارع، ووجد أن القالي ينقل عن الخليل لا عن اللّيث أو بالتحفُّظ عن صاحب العين[١]، بل بالغ فقال: «البارع ما هو إلا كتاب العين للخليل» [٢].

(١) البارع ص ٦٥ / الطبعة الأولى عام ١٩٧٥م / مكتبة النهضة ببغداد، ودار الحضارة العربية ببيروت.

(٢) البارع ص ٦٤ [البارع أقل حروفًا من (المصدر السابق)؛ فيحسن ذكر اسم المصدر].

قال أبو عبدالرحمن :

أمّا نسبة القالي النّصوص في كتابه (البارع) إلى الخليل فيأتي سببه في استعراض كلام الأزهري رحمهم الله تعالى، وأمّا دعوى الطعان وغيره من أنّ البارع هو كتاب العين أو تهذيبٌ له فذلك من المجازفات؛ وإنما هو تأليف مُسْتَقِلٌّ رتَّبه على نظام الحروف التي اقترحها الخليل.

وليس كلّ من مشى على منهج الخليل في ترتيب المواد على الحروف التي اختارها يكون آخذاً كتاب الخليل (الصحيح كتاب الليث)، أو يوصف بأنه هذَّبه، وليس كلّ من قال قصيدة في المدح يكون آخذاً لكل قصيدٍ في المدح.

ولكنَّ منهج القالي في سائر كتبه أن يختار كتابًا أُفْرد بالتصنيف؛ فيجعل موضوعه مادة كتابه. والقالي رحمه الله من جُمَّاع الأخبار، ومن جُمَّاع اللغة، ولكنه ليس من فقهاء اللّغة مهما كابر المكابرون، ومهما كانت إمامته في الأندلس؛ فالمرجع إلى آثاره لا إلى مناقبه في كتب التراجم.

والبارع أربع وستون ومئة كراسة في خمسة آلاف ورقة، وما طبعه الطعان كُرَيْرِيسة لا تُعطي صورة كاملة عن الكتاب الذي لا يزال مفقودًا[١].

ولهذه الجولة بقية في الحلقة القادمة إن شاء الله، ولا يضيرني

(١) انظر عن البارع تاريخ التراث العربي للدكتور فؤاد سزكين م٨ ج١ علم اللغة /جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١١هـ ص ٤٨٧-٤٨٨.



الاستطراد في مسألة علمية عارضة؛ فالغرض تحرير العلم وتحقيقه وتدقيقه، وأمّا ترتيب العلم، وإلحاق المسائل التي حصل فيها الاستطراد بجنسها فذلك إن لم يقم به الكاتب فهو سهل على من سيأتي بعده، وإلى لقاء عاجل إن شاء الله، والله المستعان، وعليه الاتكال.

وكتبه لكم

أبو عبد الرّحمن ابنُ عقيل الظّاهري

- عفا الله عنه -

اللغات والكتابات الجزيرية

أ. د. عبد الرحمن السليمان
جامعة لوفان - بلجيكا

(أ) اللغات الجزيرية:

من المعروف أن اللغة العربية تنتمي إلى أسرة (اللغات السامية) وأن (اللغات السامية) تنتمي إلى أسرة لغوية أكبر هي أسرة (اللغات السامية الحامية). وتتكون هذه الأسرة اللغوية الكبيرة من لغات استعملتها مجموعات كثيرة من البشر منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد ولا تزال تستعملها حتى اليوم، وفي منطقة تمتد من الجزيرة العربية حتى المغرب، ومن جنوب تركيا حتى إثيوبيا. أشهر تلك اللغات العربية والأكادية والأوغاريتية والفينيقية والآرامية والعبرية والحبشية والمصرية القديمة والأمازيغية[١].

١. التسمية

ظهر تسمية (اللغات السامية) سنة ١٧٨١، وأطلقها المستشرق النمساوي شلوتزر (Schloezer) الذي أخذها عن التصنيف التوراتي

(١) انظر Brockelmann C. (١٩١٣) وBergsträsser G. (١٩٩٥) و De Lacy O. (١٩٢٣) و Wright W. & Smith W. (٢٠٠٢) و Nöldeke Th. (١٩٨٢) وMoscati S. (١٩٦٤) وBennett R. P. (١٩٩٨)، وهي من أهم الكتب المرجعية في الدراسات الجزيرية.



للبشر بعد الطوفان، أي نسبة لأبناء نوح وهم: سام وحام ويافث.[١] أما تسمية (اللغات السامية الحامية) التي كانت فيما بعد، فهي مركبة قياسًا بأسرة (اللغات الهندية الأوربية). وهذا التصنيف غير دقيق في جميع الأحوال لأنه يعتبر الفينيقيين الذين يتحدثون لغة "سامية" حاميين لأنه كان بينهم وبين اليهود الذين دونوا التوراة عداوات كثيرة. أضف إلى ذلك أن الزنوج اعتبروا من سلالة حام الملعون، لأن التوراة تنسب إلى نوح عليه السلام لعنته حامًا الذي لم يغط عورة أبيه حسب رواية التوراة[٢]، مما برر للغربيين فيما بعد استعبادهم.

ولما كانت تسمية (اللغات السامية الحامية) أثارت جدلاً واسعًا فيما بعد لأسباب لا يتسع هذا الملخص لذكرها، فقد استبدلت في الأوساط البحثية بتسمية (اللغات الأفرو-آسيوية). أما نحن فنستعمل تسمية (اللغات الجزيرية) ونميز بين (اللغات الجزيرية الشرقية) كناية عن أسرة (اللغات السامية)، وبين (اللغات الجزيرية الغربية) كناية عن أسرة (اللغات الحامية).

إن مصطلَح (اللغات الجزيرية) أقرب إلى الحقيقة التاريخية من غيره من المصطلحات المستعملة للدلالة على هذه الأسرة اللغوية المهمة لأن أولئك الأقوام خرجوا جميعهم من شبه الجزيرة العربية كما يذهب أكثر الباحثين إلى ذلك. وهذه التسمية ليست لنا، ذلك أن أول مَن أطلق مصطلَح (اللغات الجزيرية) هو عالِم الآثار العراقي الأستاذ طه باقر في

(١) انظر سفر التكوين، الإصحاح ١٠، الآيات ٢١ إلى٣١، وكذلك الإصحاح ١١ الآيات ١٠ إلى ٢٦.

(٢) انظر سفر التكوين، الإصحاح ٩، الآيات ٢٠-٢٧. الإصحاح ٩



كتابه (من تراثنا اللغوي القديم - ما يسمّى في العربية بالـدخيل)، حيـث يناقش فيه مصطلح (الأقوام السامية) لشلوتزر بناء علـى سِـفر التكـوين، فيقول: "ولذلك، فهي [يقصـد التـوراة] ليسـت تأريخًـا معتَمَـدًا. وإذن، فبماذا نسمّي أولئك الأقوام؟ وموجز الإجابة على ذلك أنه بالاسـتناد إلى الرأي الذي أصبح حقيقـةً مُجمَعًـا عليهـا بـين البـاحثين الآن، وهـي إنّ الجزيرة العربية كانت مهد أولئك الأقوام الذين شملتهم تسـمية السّـاميين وأبرزهم الأكديون والكنعـانيون، والعموريـون والآراميـون والعبرانيـون والفينيقيون وغيرهم، فالاسم الصـحيح مـن الناحيـة التأريخيـة والقوميـة والجغرافيـة هـو أن نُطلـق علـيهم (أقـوام الجزيـرة) أو (الجزيـريين) أو (الجزريين) أو (الأقـوام العربيـة القديمـة)، فقـد هـاجروا مـن الجزيـرة بموجات مختلفة منذ أبعد من العصور التأريخية إلى الأجزاء المختلفة من الوطن العربي، بحيث يَصحُّ القول: إنّ الأصول العربية فيها تَطغـى علـى تركيب سكّانها وعلى لغاتها".[1] فالنظرية السائدة في الدراسات (السـامية الحامية) ـ وسوف نستعمل من الآن فصاعدًا مصطلح (اللغات الجزيريـة) بمشتقاته ـ أن أصل تلك اللغات من الجزيرة العربية، وأن المتحدثين بهـا هاجروا منها بعد أن تصحرت بداية الألفية الخامسة قبل الميلاد، فقصدوا مواطن الماء والكلأ على ضـفاف دجلـة والفـرات والعاصـي في العـراق والشام.

كانت حركة هجرة الأقوام الجزيريـة مـن الجزيـرة في بدايـة الألفيـة الرابعة قبل الميلاد، حيث خرجت قبائل مـن الجزيـرة العربيـة إلى مصـر والمغرب الكبير، واختلطت بالسكان الأصـليين في الشـمال الإفريقـي،

(١) انظر باقر طه، ١٩٨٠: ١٧.



فنتج عن هذا الاختلاط القبائل التي كونت الشعوب الجزيرية الغربية وأهمها قدامى المصريين والأمازيغ. فالشعب المصري القديم، والشعب الأمازيغي، تولدا من اختلاط القبائل الجزيرية الشرقية المهاجرة إلى شمال إفريقيا، بالقبائل الأصلية فيها. أما الهجرة الثانية فكانت في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، وهي هجرة الأكاديين إلى بلاد الرافدين. أما الهجرة الثالثة فكانت هجرة الأوغاريتيين إلى غربي سورية في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد. ويغلب الظن أن الأوغاريتيين كانوا عربًا استعمروا غربي سورية، وكانت حاضرة ملكهم في رأس شمرا غربي سورية. ثم تلت بعد ذلك هجرة الآراميين والكنعانيين إلى بلاد الشام بداية الألف الثاني قبل الميلاد. والكنعانيون هم: الفينيقيون والمؤابيون والعبران. ثم هاجر نفر من عرب الجنوب إلى إفريقيا بداية الألف الأول قبل الميلاد واختلطوا بالسكان الأصلين ونتج عن ذلك الاختلاط الحبشة ثم الإثيوبيون والصوماليون والإريتيريون وغيرهم فيما بعد.

ونتحدث عن أسرة لغوية عندما تكون ثمة قرابة لغوية ثابتة ومطردة المجالات الأربعة التالية: (١) الصوتيات و(٢) الصرف و(٣) النحو و(٤) المعجم. والقرابة اللغوية بين اللغات الجزيرية مطردة اطرادًا تحكمه قوانين صوتية ولغوية عامة[(١)].

٢. التصنيف

تتكون أسرة (اللغات الجزيرية)، في الحقيقة، من أسرتين رئيستين:

٢,١. أسرة (اللغات الجزيرية الشرقية)

(١) انظر: السليمان عبدالرحمن (٢٠١٢).

تتكون أسرة اللغات الجزيرية الشرقية من الأفرع التالية:

١- الفرع الجنوبي: ويتكون من اللغة العربية البائدة (لغة جنوب الجزيرة العربية أو العربية الجنوبية، بالإضافة إلى الثمودية واللحيانية) والعربية الفصحى (أو العربية الشمالية) والحبشية (الجعزية والأمهرية)؛

٢- الفرع الشمالي الشرقي: ويتكون من الأكادية بلهجتيها البابلية والآشورية؛

٣- الفرع الشمالي الغربي: ويتكون من اللغات الأوغاريتية والآرامية واللغات الكنعانية (الفينيقية والمؤابية والعبرية) وكذلك الإبلية (على اختلاف بين علماء اللغات الجزيرية في تصنيفها).

وهنالك لهجات كثيرة تفرعت عن اللغات الجزيرية المذكورة أعلاه.

٢,٢. أسرة (اللغات الجزيرية الغربية)

أما أسرة اللغات الجزيرية الغربية فتتكون من المصرية القديمة ولهجاتها اللاحقة كالقبطية، ومن اللغة الأمازيغية (الاسم الصحيح للبربرية) والكوشية (لغة محكية في مناطق في تشاد ومالي ما إليهما) وبعض اللهجات الأخرى.

والقرابة اللغوية بين أسرتي اللغات الجزيرية الشرقية والغربية ثابتة علمياً، إلا أنها دون القرابة بين أسرة اللغات الجزيرية الشرقية فيما بينهما نسبةً، ولا تبدو بوضوح لغير المتخصص إلا بعد رد الجذور الثلاثية إلى جذور ثنائية كما نلاحظ ذلك، على سبيل المثال، في الجذر الدال على



الإيمان، فهو في كل اللغات الجزيرية الشرقية: /أمن/ وفي اللغات الجزيرية الغربية:/من/. ومعنى هذا الجذر الأساسي في اللغات الجزيرية الشرقية والغربية هو "صدَّق، ثَبَت، ثبت بالإيمان" كما ترى في /أمِنَ/ في العربية، وفي /آمن/. ومثله في الحبشية: /أَمَنَ/ "ثبتَ (بضم الباء)، وفي الحميرية: /أمنت/ "أمانة"، وفي السريانية: ܐܡܝܢ: أَمِين "ثابت، قوي، سرمدي"، وكذلك في العبرية: אמן: آمِن "آمين" وكذلك אמנם: أُمْنَ(مْ) "حقًا"[1]. ولقد وردت الكلمة في اللغات الجزيرية الغربية التي نذكر منها المصرية القديمة /م ن/ "ثبت، صدق" فقط. ومن هذا الجذر اشتق أيضا اسم الإله المصري القديم "آمون" الذي كان يعبد في "نو" والذي ورد في اسم الفرعون "توت عنخ آمون"[2].

وتعتبر اللغة الأكادية أقدم اللغات الجزيرية الشرقية من حيث التدوين لأنها أول لغة جزيرية دُونت بالكتابة المسمارية التي أخذها الأكاديون عن السومريين. والسومريون هم أقدم الأقوام المعروفين الذين سكنوا جنوب

---

(١) والكلمة العبرية الأخيرة منصوبة على الحال بالميم وهو من بقايا الإعراب في اللغات الجزيرية الشرقية الذي كان فيها بالميم ثم أصبح في العربية بالنون (التنوين).

(٢) ربما رد بعض الناس كلمة "آمين" إلى اللغة المصرية القديمة، مثلما ردوا التوحيد الذي دعا إليه النبي موسى عليه السلام، إلى ديانة إخناتون، وفي ذلك نفي لأصلها السماوي. ومن الجدير بالذكر أن ديانة إخناتون لم تكن توحيدية كما زعم فرويد وغيره لأنها كانت تعتبر إله الشمس "رع" الأله الأكبر دون نفي وجود الآلهة الآخرى، بينما تقوم عقيدة التوحيد لدى المسلمين والنصارى واليهود على الإيمان بالإله الواحد خالق السماوات والآرض وما بينهما، الذي عرف البشرية بذاته العليا بواسطة الوحي إلى الأنبياء والرسل، عليهم السلام. فديانة إخناتون كانت مشوبة بالشرك، وتسمى "التوحيد المشوب بالشرك" (Henotheism)، بعكس "التوحيد" المطلق (Monotheism).

بلاد الرافدين وبنوا فيه أول حضارة في تاريخ البشرية. اخترع السومريون الكتابة المسمارية، وهي أول كتابة في التاريخ أيضًا. ومن المعروف أن اختراع الكتابة كان الحد الفاصل بين الحقبة التاريخية وحقب ما قبل التاريخ، وهذا من إنجازات السومريين العظيمة.

وتعتبر اللغة العربية الفصحى أو الشمالية (لغتنا الحالية) آخر لغة جزيرية دونت. أما العربية الجنوبية (لغة ممالك سبأ وقتبان وحضرموت وحمير) فقد سبق تدوينها تدوين العربية الشمالية بقرون كثيرة، وتسمى الكتابة التي كتبت بها بخط (المسند) وهي أبجدية مكونة من تسعة وعشرين حرفًا، وهي أبجدية مجهولة الأصل ولا نعرف مراحل تطورها الأولى.

وعلى الرغم من أن العربية الشمالية آخر اللغات الجزيرية تدوينًا إلا أنها احتفظت بجل خصائص اللغة الجزيرية الأم، كالإعراب الذي اختفى من كل اللغات الجزيرية باستثناء الأكادية. واللغة الجزيرية الأم هي لغة افتراضية تُوُصل إليها بعلم اللغة المقارن (أي مقارنة اللغات الجزيرية ببعضها بعضًا). ويعلل ذلك بسبب العزلة النسبية التي عاشت فيها القبائل العربية التي بقيت في الجزيرة العربية، بينما تأثرت لغة القبائل الجزيرية المهاجرة باللغات الأخرى غير الجزيرية التي اتصلت بها وأخذت منها وأعطتها، الشيء الذي أدى إلى حدوث تغيرات لغوية أبعدتها من الأصل الجزيري وهذا ما وقع للأكادية والعبرية والحبشية وغيرها.

ويوجد إجماع بين دارسي اللغات الجزيرية مفاده أن معرفة العربية شرط رئيس لمعرفة اللغات الجزيرية، بما في ذلك العبرية والسريانية.



واللغة الجزيرية الأم، وهي لغة افتراضية توصل إليها بمقارنة اللغات الجزيرية على المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والمستوى النحوي والمستوى المعجمي كما تقدم، تبدو للباحث وكأنها العربية، بل إنها في حقيقة الأمر ليست إلا العربية تقريبًا .. فلقد أثبت البحث العلمي في علم اللغة المقارن أن العربية ـ وحدها، وبعكس كل اللغات الجزيرية ـ احتفظت: ١. على المستوى الصوتي: بكل الأصوات الجزيرية الأصلية إلا حرفًا واحدًا احتفظت به الحميرية؛ ٢. على المستوى الصرفي: بكل الأبنية الجزيرية الأصلية بناءً ولفظًا وكذلك بصيغ الأفعال (أضافت العربية إليها صيغ المجهول باطراد وهذا تطور مخصوص بها)؛ ٣. على المستوى النحوي: بالإعراب (بالتنوين وأصله بالتمِّيم ما عدا في المثنى فأصله بالتنوين)؛ ٤. على المستوى المعجمي: بكل الجذور الجزيرية الأصلية تقريبًا.

والناظر في اللغات الجزيرية وفي اللغة الجزيرية الأم كما تم تصورها وإعادة بنائها في كتب بروكلمان ونولدكة ورايت وموسكاتي وغيرهم (وهي الكتب المرجعية في هذا المجال)، يجد أنها لا شيء إلا العربية تقريبًا.

والمتمعن في ذلك يرى بوضوح أن العلاقة التاريخية بين العربية الفصيحة من جهة، وبين اللغات الجزيرية مجتمعة (ما عدا الأكادية في عهودها الأولى أي من حوالي ٢٨٠٠ إلى ٢٠٠٠ قبل الميلاد) من جهة أخرى، ليست أكثر أو أقل من العلاقة الحالية بين العربية الفصيحة من جهة، واللهجات العربية الحالية من جهة أخرى .. وهذه المقارنة مثيرة للاهتمام حقًا، ولقد انتهينا إلى ذلك بعد إجراء مقارنات بين العربية

الفصيحة من جهة، وبين العبرية والسريانية واللهجتين الشامية والمصرية من جهة أخرى، سنعالجها في كتاب منفرد.

وما ينطبق على المقارنة بين العربية الفصيحة والعبرية والسريانية من جهة، وبين العربية الفصيحة واللهجتين الشامية والمصرية من جهة أخرى، ينطبق على كل اللغات الجزيرية (ما عدا الأكادية في عهودها الأولى أي من حوالي ٢٨٠٠ إلى ٢٠٠٠ قبل الميلاد) وكل اللهجات العربية. مثال: الوزن الجزيري الأصلي (فَعْلٌ):

اللغة الجزيرية الأم	الأكادية:	العربية	العبرية	اللهجة الشامية/المصرية
‘abd-um	‘abd-um	‘abd-un	‘ebed	‘abed

والملاحظ أن العربية والأكادية لغتان معربتان وأن الإعراب في الأكادية بالميم (تـمِّيم) وفي العربية بالنون (تنوين).

أما العبرية فأهملت الإعراب مثلما أهملته اللهجتان المصرية والسورية. والنتجية هي التقاء الساكنين (الباء والدال في /عَبْد/) وهذا لا يجوز في كل اللغات الجزيرية. لذلك استغنت اللغات الجزيرية التي أهملت الإعراب من جهة، واللهجتان المصرية والسورية اللتان أهملتا الإعراب أيضا من جهة أخرى، عن مخرج الإعراب (um/un) بإضافة كسرة خفيفة ممالة نحو الـ e بين الباء والدال (‘ebed/ ‘abed) التخلص من التقاء الساكنين.



وتشذ السريانية عن ذلك لجعلها أداة التعريف (وهي ألف المد) آخر الكلمة فيقال: عَبْدا = ʻab-dā مما يلغي مشكلة التقاء الساكنين مع الإشارة إلى أن السريانية ليس فيها إعراب. وقد أدت هذه العلاقة بالمشتغلين باللغات الجزيرية من المستشرقين إلى الاستنتاج بأن جزيرة العرب مهد القبائل الجزيرية وأن العربية حافظت على خصائص الجزيرية الأم حتى كادت أن تكون إياها.

٣. اللغات الجزيرية الحية

٣,١. اللغات الجزيرية الشرقية الحية

لقد اندثر معظم اللغات الجزيرية الشرقية والغربية ولم يبق منها اليوم إلا اللغات التالية:

١. اللغة العربية الفصحى التي لم تتغير أصواتًا وصرفًا ونحوًا منذ تدوينها حتى اليوم. أما الفترة التي سبقت تدوينها، فهي ضاربة في القدم. ولقد رأينا أنها أقدم من الأكادية فيما يتعلق بالخصوصيات اللغوية الجزيرية، علمًا أن تدوين الأكادية يعود إلى مطلع الألف الثالث قبل الميلاد.

٢. العبرية الحديثة: أحياها اللغوي اليهودي اِليعَزَر بن يهودا بداية القرن العشرين، وتبنت ذلك الحركة الصهيونية. ولا شك في أن إحياء العبرية أهم إنجازات الصهيونية العالمية.

٣. اللغة الأمهرية: لغة إثيوبيا اليوم. وتكتب بكتابة مقطعية مشتقة من خط المسند الحميري.

٤. اللهجات الآرامية: ويحدث بها اليوم حوالي ثلاثة ملايين شخص متوزعين كما يلي:

(أ) السريانية: ويتحدث بها اليوم في معلولا وصيدنايا في سورية. ويسمى المتحدثون بها بالمسيحيين السريان.

الكلدانية: ويتحدث بها اليوم في القامشلي والمالكية في شمال شرق سورية وفي شمال العراق في منطقة الموصل وزاخو وبطنايا وفي شرقي تركيا في منطقة حسنة وما جاورها. ويسمى المتحدثون بها بالمسيحيين الكلدان.

(ب) المندعية: ويتحدث بها في شمال العراق، في منطقة وادي لالش. ويسمى المتحدثون بها بالمندعيين/الصابئة.

٣,٢. اللغات الجزيرية الغربية الحية

إذا استثنينا القبطية ـ وهي لغة كنسية ـ فإن اللغة الجزيرية الغربية الوحيدة التي لا تزال حية اللغةُ الأمازيغية المحكية هي في مناطق كثيرة في المغرب والجزائر وتونس وليبيا. وتتوزع اللغة الأمازيغية اليوم على اللهجات التالية:

الجزائر: الأمازيغية، ويتحدث بها في مناطق كثيرة في الجزائر. ومن أشهرها اللهجة الزّْواوِيَّة المحكية في منطقة تِيزِي وِزُّو التي شهدت نشاطًا حركيًا كبيرًا لإحيائها.

الصحراء: القبائلية، ويتحدث بها قبائل الطوارق المنتشرين في الصحراء ما بين المغرب والجزائر.



المغرب: الأمازيغية/السوسية (تَسُوسِيت)، ويتحدث بها في جنوب المغرب. الشِّلحة (تَشِلْحِيت)، ويتحدث بها في جبال الأطلس. الريفية (تَرِيفِيت): ويتحدث بها في شمال المغرب.

أما الكوشية، وهي لهجة جزيرية غربية، فلا تزال مستعملة في بعض نواحي تشاد ومالي.

(ب) الكتابات الجزيرية:

مرت الكتابة عبر تاريخها الطويل في ثلاث مراحل هي:

١ . المرحلة الصُّوَرِيَّة

إن أول كتابة ظهرت في التاريخ هي الكتابة المسمارية التي اخترعها السومريون، وهم شعب مجهول الأصل. وكانت الكتابة المسمارية في الأصل كتابة صُوَرِيَّة بمعنى أنه إذا أراد الكاتب أن يكتب الكلمة الدالة على الرجل في لغة القوم فإنه يرسم هيئة الرجل، تماماً مثلما نرى في الكتابة الهيروغليفية التي هي أيضاً كتابة صورية.

والفرق بين الكتابتين الصوريتين المسمارية والهيروغليفية يكمن في أن أشكال الكتابة المسمارية تطورت بسرعة لتتخذ أشكالاً مجردة هي أشكال المسامير ـ ومن ثمة تسميتها بالكتابة المسمارية ـ بينما حافظت الكتابة الهيروغليفية على أشكالها الصورية البدائية.

وهذا الفرق عائد إلى طبيعة المادة المستخدمة في الكتابة، فلقد استعمل الرافدينيون الطين والماء والقصب في الكتابة، فصنعوا ألواحاً من الطين مربعة أو مستطيلة، واستعملوا في الكتابة أقلاماً من القصب

كانوا يغرزونها في الطين وهو رطب ويخطون بها ما كانوا يريدون تدوينه من النصوص، ثم كانوا يطبخون الألواح الطينية في التنور حتى تشتد وتصلب لتبقى حتى اليوم.

ومن الجدير بالذكر أن غرزة القلم في الطين كانت تكوّن مثلثاً في اللوح أشبه ما يكون برأس المسمار، تتبعه خطوط مستقيمة نحو الأسفل أو اليسار، مما أدى إلى نشوء أشكال تشبه المسامير التقليدية، وهو ما أوحى بتسمية الكتابة الرافدينية بالكتابة المسمارية.

أما قدامى المصريون فلقد استخدموا ورق البردي والمداد في كتابتهم، وورق البردي سهل الاستعمال ولا يفرض استعماله على الكاتب مناورات معينية ولا يؤثر على طبيعة الكتابة، من ثمة عدم تطور أشكالها ومحافظتها على شكلها الصوري البدائي، بعكس الكتابة المسمارية التي أصبحت تختلف كثيرًا عن هيئة مسمياتها التي كانت في البداية صورية بدائية أيضاً.

والكتابة الصورية كتابة صعبة لأنها تفترض وجود صورة لكل مسمى، وهو ما يجعل حفظها واستعمالها بوضوح أمرًا صعباً لكثرة المسميات والأشياء وكثرة الاشتراك في معاني صورها. أضف إلى ذلك أن كتابة المفاهيم الفكرية والمجاز شبه مستحيل في هذه الكتابة لصعوبة تصويرها. وللتمثيل على ذلك أتوقف عند مفهومَي الإله والسيادة في الكتابتين المسمارية والهيروغليفية.

لقد دل الرافدينون على كلمة "الإله" بلغتهم ـ وهي /إلٌّ/ ـ بنجمة. والنجمة تشير إلى السماء، وهذا يعني أن الرافدينيين كانوا يعتقدون أن



الإله إنما يكون في السماء. من جهة أخرى باتت صورة النجمة مشتركة لأنها تدل على ١- النجمة. و٢- السماء. و٣- الإله.

أما قدامى المصريين فعبروا عن مفهوم /السيادة/ في لغتهم برسم صورة أسد رافعًا رأسه بشموخ وعز. وهذا يعني أيضًا أن صورة الأسد في الكتابة الهيروغليفية مشتركة لأنها تدل على معنى حسي هو "الأسد" ومعنى مجازي هو "السيادة". ويطلق على طريقة كتابة المعاني المجازية: الكتابة الرمزية.

إذن أدت كثرة الاشتراك في الصور والرموز وكذلك صعوبة الدلالة على المفاهيم الفكرية والمجاز إلى اختراع طائفة من الرموز في الكتابتين لتحديد المعاني وضبطها حتى يتمكن القارئ من فهم السياق من أول وهلة، وهي الرموز المسماة بمحددات المعاني.

مثلاً: استعمل الرافدينيون النجمة للدلالة على الإله أولاً ثم على كل ما له علاقة بالدين والعبادة ثانيًا. فبمجرد رؤية نجمة في جملة يفهم القارئ منها أن الجملة تفيد معنى دينيًا.

الأمر ذاته ينطبق على الهيروغليفية التي تثبت صورة الرجل للدلالة على أي شيء يشير إلى الإنسان، أو صورة الخشب للدلالة على أي شيء يصنع من الخشب، بما في ذلك القوارب والسفن، مما يؤدي إلى نشوء نظام اصطلاحي يسهل على الكاتب والقارئ أمر الكتابة والقراءة.

ويعقده في الوقت ذاته، مما أدى بالرافدينيين والمصريين إلى البحث عن حلول لمشكلة الكتابة الصورية والرمزية التي باتت غير قادرة عن



التعبير بوضوح عما يريدون تدوينه مع التقدم الفكري والعلمي للحضارتين الرافدينية والمصرية.

ومن الجدير بالذكر أن الكتابة الصينية اليوم لا تزال في المرحلة الصُّوَرية بحيث يجب على الطفل ـ مثلاً ـ أن يكون حافظًا لبضعة آلاف رمز حتى يستطيع أن يقرأ كتابًا من كتب الأطفال.

٢ . المرحلة المقطعية

إذن الكتابة الصورية هي كتابة تصور الأشياء التي يراد كتابتها تصويرًا كما مر معنا. والكتابة الرمزية هي تحمّل الصور الحسية (كصورة الأسد) معاني مجازية (كمعنى السيادة). أما الكتابة المقطعية فهي كتابة صوتية.

والكتابة المقطعية الصوتية تتكون من مقاطع صوتية تبدأ بحرف صامت يتبعه حرف صائت قصير مثل /بَ/، /بُ/، /بِ/، أو يتبعه حرف صائت ممدود مثل /با/، /بُو/، /بِي/.

وأول مَن مارسها أواخر السومريين وأوائل الأكاديين ـ على خلاف في ذلك. وعليه فإن الكتابة المسمارية المقطعية كانت أول كتابة مقطعية في التاريخ تطورت من خلال بحث الرافدينيين عن حل لمشاكل الكتابة الصورية، فأتت "المساميرُ" المفردة والمركبة فيها ليس للدلالة على صور أو رموز مجردة بل على مقاطع صوتية بعينها مكونة من حروف ساكنة وأصوات.

وتمر قراءة الكتابة المسمارية المقطعية بثلاث مراحل هي:

١ . قراءة النص الأكادي ونقل المقاطع الصوتية المسمارية إلى العربية.

٢. تجميع المقاطع الصوتية وتكوين الكلمات.

٣. الترجمة.

مثال (المادة السادسة من قانون حمورابي)(١):

شُمْ – مَ أَ–وِي–لُمنج٢ – جا (= نَمْكُور) دنجير (= إِلِّـم) أُو – إِي–جَل يِشْـ–رِ–قْ، أَ–وِي–لُم شُ –يِدْ–دَ–قَ، و شَ شُ–رْقَ–م إِ–نَ قَا–تِ–شُ يِمْ–خُ–رُ يِدْ–دَ–قَ شُمَّ أَوِيلُم نَمْكُور إِلِّـم وإِيكَلِـم يِشْـرِقْ، أَوِيلُـم شُ يِدَّقْ، أُو شَ شُرْقَم إِنَ قَاتِشُ يِمْخُرُ يِدَّقْ.

"إذا سرق رجلٌ مُلكـًا لإله أو من هيكلٍ، يُقتل ذلك الرجل، ويُقتـل كلُّ مَن استلم من يده [الملكَ] المسروقَ"(٢).

---

(١) النص المسماري منسوخ بخط اليد من نسخ مقررات من أيام الدراسة.

(٢) شرح المفردات الأكادية: / شُمَّ/: حرف شرط. / أَوِيلُم/: "رجل"، اسم نكرة مرفوع، مشتق من الجذر "أول". وكان في المجتمع البابلي ثلاث طبقات: طبقة

ومن الجدير بالذكر: أن الهيروغليفية طـورت، في مرحلـة لاحقـة، كتابة مقطعية أيضـاً، إلا أن الفرق بين الرافدينيين وقـدامى المصـريين أن الأوائل تخلوا نهائيـاً عن الكتابة الصورية والرمزية بعد ما طـوروا الكتابـة المقاطعية، بينما لم يتخل قدامى المصريين عن الكتابة الصورية، وهو ما جعل من الكتابة الهيروغليفية كتابة معقدة جدًا تتكون مـن صـور ورمـوز ومقاطع صوتية ثنائية الأصوات وثلاثية الأصوات وحروف أبجدية!

وهذا عائد إلى المكانة الرفيعة التي كان يتبوؤها الكتاب المصريون في المجتمع المصري القـديم، وهـي المكانـة الـتي جعلتـهم يحولـون دون تبسيطها وبالتالي انتشارها حفاظـاً منهم على مكانتهم العالية والامتيـازات التي كانت ترتبط بتلك المكانة العالية.

وأخيرًا نشير إلى أن الكتابة المقطعية تتكون من ٢٠٠ إلى ٤٠٠ مقطع صوتي حسب أصوات اللغة المستعملة لها. ومـن اللغـات الـتي لا تـزال تستعمل الكتابة المقطعية حتى اليوم: اللغة الأمهرية، وهـي لغـة جزيريـة

الأحرار (أَوِيلُم)، طبقة الفلاحين (مُشْكِينُم) وطبقة العبيد (وَرْدُم من الجذر "ورد"). / نَمْكُور /: "رزق، مال، متاع"، والكلمة سومرية. اسم منصوب مضاف، وتحذف الحركة في المضاف في الأكادية. / إِلّم /: "إله"، ويجانس في العربية "إلّ" بنفس المعنى. (انظر معنى "إلّ" في الآية الكريمة: "لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذِمة" (٩: ١٠). /و/: الواو: حرف عطف. /إيكل/: "هيكل"، من السومرية أيضاً (من: إي "بيت" و: جَل "كبير")؛ والكلمة نكرة مجرورة لأنها مضاف إليه. /يِشْرِقْ/: "يسرق" (الجذر "سرق"): فعل تام. /شُ/: اسم إشارة "ذلك". /شَ/: اسم موصول "الذي". /يدَّقْ/: يُقتل (الجذر "دقق"). /شُرْقَم/: اسم نكرة منصوب "المسروق"، "الشيء المسروق". /إنَ/: "مِن". /قَاتِشُ/: اسم مجرور بحرف الجر، مضاف إلى ضمير "يَدِهِ" (قاتُ: "يد"، شُ: ضمير الملك للغائب المفرد). /يِمْخُرُ/: استلمَ (الجذر "مخر"): فعل تام.



تعتبر امتداداً للجعزية، لغة مملكة أكسوم في الحبشة. فالكتابة الجعزية/الأمهرية هي كتابة مقطعية مشتقة من خط المسند الحميري. وهذا من عجائب اللغات لأن الأحباش أخذوا عن عرب الجنوب الكتابة الأبجدية التي تعتبر آخر مرحلة من مراحل تطور الكتابة، وحولوها إلى كتابة مقطعية، فأداروا بذلك عقارب الساعة إلى الوراء كما يقال.

المرحلة الأبجدية

٣,١ . النشأة

المرحلة الثالثة والأخيرة من تاريخ الكتابة هي المرحلة الأبجدية التي سميت هكذا نسبة إلى ترتيب الحروف في الأبجدية الجزيرية الأولى وهي (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ)، وهو الترتيب الذي غيره في العربية أبو الأسود الدؤلي عند تنقيط الحروف إلى الترتيب الحالي الذي يقال فيه أيضاً إن الخليل بن أحمد هو الذي صنع ذلك.

كانت النظرية السائدة أن الأبجدية الفينيقية اشتقت من رسوم الكتابة الهيروغليفية في منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد، إلا أن اكتشاف أبجدية أقدم منها بخمسة قرون، وهي الأبجدية الأوغاريتية، التي تستعمل أشكالاً مسمارية لا علاقة لها بصور الكتابة الهيروغليفية، ألغى هذا الرأي تماماً. فالأوغاريتيون استوحوا أشكال أبجديتهم الأوغاريتية، التي تحتوي على كل الأصوات الجزيرية القديمة (وهي ثمانية/تسعة وعشرون صوتاً)، من الكتابة المسمارية، ولكننا لا نعرف على وجه التحديد كيف اختزلوا الكتابة المقطعية إلى الكتابة الأبجدية، بينما نستطيع أن نتابع ذلك الاختزال في الأبجدية الفينيقية، حيث قام الفينيقيون

باستعمال الصور الدالة على مسميات بعينها (مثلاً: صورة الثور للدلالة على الثور؛ صورة العين للدلالة على العين؛ صورة المربع للدلالة على البيت؛ صورة الموج للدلالة على الماء وهلم جرًا) ليس للدلالة على تلك المسميات، بل للدلالة على الأصوات الأولى لتلك المسميات كما سيتضح أدناه.

يسمى "الثور" في اللغة الجزيرية الأم: /أَلْفٌ/ ـ بلفظ التنوين تَمِّيماً ـ و"البيت": /بَيْتٌ/ و"العين": /عَيْنٌ/ وهلم جرًا.

في بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد بدأ الفينيقيون يستعملون الصورة الدالة على "الثور" ـ وهي صورة رأس ثور مثلث الشكل بقَرنَيْن وعينَيْن ـ ليس للدلالة على كلمة /أَلْفٌ/، بل للدلالة على الصوت الأول من كلمة /أَلْفٌ/ فقط، وهو حرف الألف. ثم استعملوا الصورة الدالة على "البيت" ـ وهي صورة مربع ـ ليس للدلالة على كلمة /بيتٌ/، بل للدلالة على الصوت الأول من كلمة /بيتٌ/ فقط، وهو حرف الباء. ثم استعملوا الصورة الدالة على "العين" ـ وهي صورة العين ـ ليس للدلالة على كلمة /عَينٌ/، بل للدلالة على الصوت الأول من كلمة /عَينٌ/ فقط، وهو حرف العين، وهكذا دواليك حتى أتوا على أصوات لغتهم، وهي اثنان وعشرون صوتاً فقط، فجعلوا لكل صوت حرفًا.

ثم رتب الفينيقيون الأبجدية مبتدئين بحرف الألف ثم الباء ثم الجيم ثم الدال إلى آخر ترتيب أبجد هوز. ونحن لا ندري بالضبط لم رتبوا أبجديتهم هكذا، أي لم بدؤوا بالألف ولم يبدؤوا بغيره؟ وقد يكون لذلك علاقة بالمعتقدات الدينية لقدامى الكنعانيين حيث كان الثور يرمز عندهم إلى كبير آلهتهم بعل. وقد يعني "البيت" للجزيريين ذوي الأصول البدوية



لا شيء أكثر من "المعبد" الذي يعبد فيه إلههم، ولكن هذه مجرد تكهنات.

ثم أخذ الإغريق في أوائل الألف الأول قبل الميلاد الكتابة الأبجدية عن الفينيقيين وحاولوا كتابة لغتهم فيها إلا أنهم اكتشفوا أن الأبجدية الفينيقية لا تحتوي على كل الأصوات اليونانية من جهة (خصوصاً الحركات)، وأنها تحتوي على أصوات غير موجودة في اللغة اليونانية مثل حروف الحلق من جهة أخرى. فاستعمل اليونانيون حروف الحلق للدلالة على الأحرف الصائتة في اليونانية لأن الأبجديات الجزيرية لم تكن تحتوي على أحرف صائتة فيها، فاستعمل اليونان حرف العين الفينيقي للدلالة على الـ o، وحرف الحاء للدلالة حلى حرف الإيتا (وهيئته في اليونانية: η وهو مثل حرف الـ i ولكنه أكثر مداً منه) وهلم جراً. ثم سمى اليونانيون نظام الكتابة التي أخذوها عن الفينيقيين بـ ἀλφάβητος أو alfabetos، وهي "الألفباء" في العربية. أما الـ Abecedarium في اللاتينية، فهي ترجمة حرفية لـ "أبجدية"(١).

وأخيراً نشير إلى أن الأبجديات الجزيرية لا تحتوي إلا على حروف ساكنة. إلا أن لثلاثة منها ـ وهي الألف والواو والياء ـ استعمالين اثنين

(١) وللثور وظيفة أخرى تتعلق بالكتابة .. فالثور يفلح الأرض من اليمين إلى اليسار ثم من اليسار إلى اليمين وهلم جراً. ومن طريقته في فلاحة الأرض اشتقت الكلمة للدلالة على طريقة الأوائل (ومنهم اليونان وعرب الجنوب) في الكتابة، أي من اليمين إلى اليسار ثم من اليسار إلى اليمين، وهي Boustrophedon، من اليونانية (βουστροφηδόν) ومعناها "كفلاحة الثور". إن أكثرية النقوش اليمنية المدونة بخط المسند مكتوبة هكذا "كفلاحة الثور".

الأول هو استعمالها أحرفًا ساكنة والثاني هو استعمالها أحرف مد للدلالة على الحركات الطويلة. وهذا يعني أن للغة الجزيرية الأم ثلاث حركات فقط ترد قصيرة ويعبر عنها بالفتح والضم والكسر، وطويلة ويعبر عنها بالألف والواو والياء.

والعلة في عدم ورود الحركات القصيرة على شكل أحرف كما هو الحال عليه بالنسبة إلى حروف المد، هو القاعدة الجزيرية العامة التي تحول دون ابتداء كلمة جزيرية بحركة أو بحرف ساكن.

وإذا عرفنا أن الأبجدية الجزيرية اشتقت من الأصوات الأولى لكلمات جزيرية بعينها كما أبنا أعلاه، فهمنا جيدًا السبب في عدم احتواء الأبجديات الجزيرية أحرفًا تدل على الحركات الثلاث القصيرة لأن ذلك غير موجود في أوائل كلامهم.

٣,٢. الأبجديات الجزيرية حسب الترتيب الزمن

الأبجدية الأوغاريتية: هي أقدم كتابة أبجدية جزيرية ظهرت إلى الوجود بداية الألفية الثانية قبل الميلاد غربي سورية. اشتق الأوغاريتيون أشكال أبجديتهم من الكتابة المسمارية. ويتعتقد اعتقادا قويًا أن الأوغاريتيين كانوا عربًا.

خط المسند: لا ندري على وجه التحديد متى تم وضع خط المسند، ولا يعرف شيئًا عن مراحل تطوره، ويعتقد أنه أقدم كتابة أبجدية جزيرية على الإطلاق. فهو أقدم من الأبجدية السينائية (١٥٠٠ ق.م.)، وقد يكون أقدم من الأبجدية الأوغاريتية (٢٠٠٠ ق.م.).



وثمة في الواقع اختلاف شديد بين مؤرخي الأبجديات بخصوص تاريخ خط المسند. زد على ذلك أن هنالك لغزًا محيطًا بهذا الخط هو عدم تشابهه مع أي من الكتابات القديمة باستثناء تشابه جيمه مع الجيم في الأبجدية اليونانية /Γ/. فنحن نستطيع أن نتابع تطور الكتابة الفينيقية، المشتقة من الكتابة الهيروغليفية، ولكنا لا نستطيع ربط خط المسند بأية من الكتابات القديمة.

الأبجدية الفينيقية: اشتقت الأبجدية الفينيقية من الكتابة المصرية القديمة، الهيروغليفية، اشتقها الفينيقيون وطوروها في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. ويعتقد عالم الآثار اليهودي أولبرايت أن الذين طوروا الأبجدية الفينيقية بناء على الصور الهيروغليفية كانوا "عبيدًا ساميين" كان الفراعنة استعبدوهم واستخدموهم في مناجم صحراء سيناء، وذلك دون تحديد هويتهم لأن ذلك غير ممكن. وربما أراد أولبرايت ربط اختراع الأبجدية الفينيقية برواية الخروج التوراتية من مصر. ومهما يكن، إن اكتشاف الأبجدية الأوغاريتية في غرب سورية ـ وهي أقدم من الفينيقية بقرون ـ ألغى فكرة أولبرايت التي لم يأخذ بها أحد من علماء اللغات الجزيرية وتاريخ الكتابة.

تتكون الأبجدية الفينيقية، شأنها في ذلك شأن الأبجديات الكنعانية، من اثنين وعشرين حرفًا فقط، بعكس الأبجدية العربية والسبئية والأوغاريتية التي تتكون من ثمانية/تسعة وعشرين حرفًا تحتوي على جميع الأصوات الجزيرية الأصلية.

الأبجدية الآرامية: اشتقت الأبجدية الفينيقية من الأبجدية الفينيقية، اشتقها الآراميون وطوروها في القرن العاشر عشر قبل الميلاد.

ومن الجدير بالذكر أن الأبجدية الآرامية القديمة انتشرت انتشارًا كبيرًا في الشام والعراق (بعد سقوط الدولة الآشورية في القرن السادس ق.م.) واستعملها أقوام كثيرة لذلك يختلط الأمر على غير المتخصصين بشأن تسميتها.

ونميز فيها الكتابات التالية: (أ) الكتابة الآرامية القديمة: وأول من استعملها هم أصحابها الآراميون، ثم أخذها عنهم السامريون في القرن الثامن قبل الميلاد وعدلوها تعديلاً طفيفًا ودونوا فيها بعض نقوشهم القديمة، لذلك تسمى هذه الأبجدية أحيانًا بالأبجدية السامرية وهذه التسمية غير دقيقة.

ثم استعمل العبران في القرن الثامن قبل الميلاد أيضًا هذه الأبجدية الآرامية/السامرية ودونوا فيها بعض نقوشهم القديمة، لذلك تسمى هذه الأبجدية أحيانًا بالأبجدية العبرية القديمة، وهذه التسمية غير دقيقة أيضًا.

فهذه الأبجدية التي استعملها الآراميون والسامريون والعبران هي الأبجدية الآرامية القديمة. (ب) الأبجدية الآرامية المربعة: تعرف هذه الأبجدية بالكتابة اليهودية أو الكتابة المربعة نظرًا لأشكال حروفها التي تشبه كثيرًا المربعات المجردة.

أما اليوم فتسمى بالكتابة العبرية أو اليهودية لأنها كتابة اليهود. لم يطور اليهود أبجدية مخصوصة بهم بل أخذوا عن الآراميين كتابتهم ودونوا فيها ـ ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد ـ أسفار العهد القديم (٨٠٠ – ٥٠٠ ق.م.) ثم المشناة (القرن الميلادي الأول) ثم التلمودين البابلي والمقدسي (القرن الثاني حتى السادس الميلادي).



تتكون الأبجدية العبرية ـ شأنها في ذلك شأن كل الأبجديات الشمالية الغربية ما عدا الأوغاريتية ـ من اثنين وعشرين حرفًا فقط كلها حروف صامتة. استعار اليهود والسريان عن العرب نظامَيْ الإعجام والحركات وضبطوا بهما أصوات لغتهم في القرن ولهذه الكتابة ثلاثة خطوط متباينة: الخط المربع المستعمل في الطباعة فقط، وخط اليد ويستعمل في الكتابة اليدوية فقط (مثل الرقعة عندنا)، وخط الحبر راشي الذي استعمله في تدوين تعليقاته وشروحه على أسفار العهد القديم.

الأبجدية النبطية: الأنباط المنسوب إليهم هنا هم قبيلة عربية كانت تشتغل بالتجارة بين الجزيرة العربية والشام، وكانت عاصمة دولتهم "التجارية" في سلع المعروفة اليوم بالبتراء في الأردن. (البتراء ـ Πετρα ـ هي الترجمة اليونانية لكلمة سلع العربية وتعني الصخر).

اشتقت الأبجدية النبطية من الأبجدية الآرامية كما توحي بذلك أشكال الحروف، وظهرت إلى الوجود في القرن الثاني قبل الميلاد.

اتخذ بعض حروفها أشكالاً قريبة من كتابتنا العربية كما ظهرت في النقوش التي عثر عليها عشية ظهور الإسلام وبداية العصر الإسلامي. وهذا أمر طبيعي لأن الأنباط هم الذين طوروا كتابتنا العربية الحالية. فكتابتنا العربية الحالية من تطوير الأنباط وهم عرب أقحاح كما هو معلوم، ولا علاقة لهم بمن كان مؤرخو العصر العباسي يسمونهم بالنبط والنبيط أي أهل السواد.

الأبجدية السريانية: ظهرت الأبجدية السريانية إلى الوجود في بداية القرن الثاني للميلاد، وهي أبجدية مشتقة من الآرامية القديمة.

وتعرف الأبجدية السريانية التي ظهرت في القرن الثاني للميلاد باسم "كتابة الإسطرانجيلو"، وهي تسمية يونانية تعني "الكتابة المستديرة"، أطلقت على هذه الكتابة التي استعملها المسيحيون السوريون في كتاباتهم الدينية وخصوصاً في ترجمتهم أسفار الكتاب المقدس المعروفة باسم "بْشِيتا"، أي "الترجمة البسيطة"، والتي سميت هكذا لحرفية النقل عن العبرية، ـ وذلك لتمييز كتابة الإسترانجيلو من "الكتابة المربعة" التي استعملها اليهود في تدوين أسفارهم.

بعد افتراق السريان في القرن الخامس للميلاد إلى يعاقبة ونساطرة، وهروب النساطرة من البيزنطيين إلى بلاد فارس، تفرع عن كتابة الإسترانجيلو كتابتان: "كتابة السِّرْطا" (وتعرف اليوم باسم "كتابة السِّرْطو") التي يستعملها اليعاقبة، و"الكتابة النسطورية".

ومن الجدير بالذكر أنه لم يكن لكتابة السرطو نظام حركات لتشكيل الكلمات وضبط الأصوات، وأن السريان استعاروا عن اليونانيين أحرفهم الصوتية لضبط أصوات لغتهم.

الأبجدية العربية الشمالية: إن الأبجدية العربية الشمالية، أبجديتنا الحالية، هي آخر الأبجديات الجزيرية ظهورًا. اشتقها عرب الشمال من أبجدية إخوانهم الأنباط، الذين اشتقوا أبجديتهم من الأبجدية الآرامية القديمة كما أبنا أعلاه، وذلك في القرن الخامس الميلادي. كانت الأبجدية العربية تتبع ترتيب أبجد هوز، إلا أن إضافة نظام الإعجام إليها في القرن السابع للميلاد أدى إلى تغيير ترتيبها إلى الترتيب الحالي.

وقد احتفظ العرب بالترتيب الأول الذي يستعملونه في حساب الجمل المعمول به أيضًا في سائر الأبجديات الجزيرية (أ = ١ ، ب = ٢ ، ج = ٣، د = ٤ ، هـ = ٥ وهلم جرًا).

الأبجدية العربية الشمالية هي الأبجدية الجزيرية الوحيدة التي استعملت حروف العلة للدلالة على الحركات الطويلة باطراد لأن ذلك نادر في العبرية والسريانية اللتين لم تكونا تثبتان الحركات الطويلة كتابةً إلا نادرًا. أما الحركات القصيرة، وهي الفتحة والضمة والكسرة، بالإضافة إلى علامة السكون والشدة، فقد أضيفت في القرن السابع أيضًا ليتم بذلك تطوير الأبجدية العربية نهائيًا، وهو ما أوحى لليهود والسريان بتطوير أبجدياتهم المستعملة نهائيًا أيضًا، فأخذوا عن العرب نظامَي الإعجام والحركات كما أبنا في دراسة منفصلة[١].

وغني عن القول أن الأبجدية العربية أكثر الأبجديات الجزيرية انتشارًا، فهي أكثر الأبجديات انتشارًا في العالم بعد الأبجدية اللاتينية، وأن حروفها اتخذت أشكالاً كثيرة حسب موقعها من الكلام، وأن العرب طوروا فن الخط العربي ليصبح من أهم الفنون الإسلامية بسبب جمالية الخط العربي الذي يعتبر أجمل خط في العالم.

٣,٣. الكتابات الجزيرية الغربية

الكتابتان الجزيريتان الغربيتان الوحيدتان هما الكتابة الهيروغليفية وكتابة التيفيناغ.

---

(١) انظر السليمان عبدالرحمن (٢٠١٣).

٣,٣,١ . الكتابة الهيروغليفية :

تتكون الكتابة المصرية من خمسة مكونات رئيسية لها هي: ١. الكتابة الصورية؛ و٢. الكتابة المقطعية المكونة وحداتها الصوتية من صوتين اثنين؛ و٣. الكتابة المقطعية المكونة وحداتها الصوتية من ثلاثة أصوات؛ و٤. الكتابة المركبة و٥. الكتابة الأبجدية، بالإضافة إلى مكملات صوتية ورمزية ومحددات للمعاني كثيرة لا يتسع المجال لذكرها كلها في هذا الملخص.

٣,٣,٢ . كتابة التيفيناغ :

إن كتابة التيفيناغ هي الكتابة التي دونت فيها النقوش الأمازيغية القديمة في المغرب الكبير. وتوحي التسمية (تفييناغ = [الكتابة] الفينيقية) بأن الأمازيغ أخذوها عن الفينيقيين في قرطاجة (قرطاجة: من الفينيقية /قرت/ "مدينة") وهي كبرى مستعمرات الفينيقيين في المغرب الكبير، إلا أن شكلها يوحي بأنهم ربما كانوا أخذوها عن خط المسند.



المراجع

- باقر طه (١٩٨٠). من تراثنا اللغوي القديم؛ ما يُسمّى في العربية بالدّخيل. بغداد.
- الترجمة الكاثوليكية = الكتاب المقدس. منشورات دار المشرق ش ش م. بيروت، ١٩٨٣.
- ترجمة فانديك = الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، وقد ترجم من اللغات الأصلية وهي اللغة العبرانية واللغة الكلدانية واللغة اليونانية. انتشر على يد جمعية التوراة البريطانية والأجنبية. طبع في بريطانيا العظمى. بدون تاريخ.
- السليمان عبدالرحمن (٢٠١٢). **في ضرورة توظيف علم اللغة المقارن في تأليف المعجم التاريخي للغة العربية**. مجلة ترجمان الصادرة عن مدرسة الملك فهد العليا للترجمة – جامعة عبدالمالك السعدي في تطوان. المجلد ٢١، العدد ٢، أكتوبر ٢٠١٢. الصفحة ١١-٦٤.
- السليمان عبدالرحمن (٢٠١٣). الدراسات الجزيرية المقارنة في العصر الوسيط: أسبابها الثقافية وبواعثها الدينية. مجلة ترجمان الصادرة عن مدرسة الملك فهد العليا للترجمة – جامعة عبدالمالك السعدي في تطوان. قبلت للنشر.
- **Bergsträsser, G. (١٩٩٥). Introduction to the Semitic Languages: Text Specimens and**

Grammatical Sketches. Translated by Daniels P.T. Eisenbrauns.

- Bennett, R. P. (١٩٩٨). Comparative Semitic Linguistics: A Manual. Eisenbrauns.
- Brockelmann, C. (١٩١٣).Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen. ٢ vols. Berlin, Reuther and Reichard.
- De Lacy, O. (١٩٢٣).Comparative Grammar Of The Semitic Languages. London, Trubner's Oriental Series.
- Moscati, S. (١٩٦٤). An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages. Phonology and Morphology. Wiesbaden, Otto Harrassowitz.
- Nöldeke, Th. (١٩٨٢). Beiträge und neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft. Neudruck. Amsterdam, APA – Philo Press.
- Wright, W. & Smith W. (٢٠٠٢). Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Languages. Cambridge University Press ١٨٩٠. Reprint.



لغة أهل العراق في المعجمات العربية القديمة

د . عليّ خلف العُبيدي

لا غرابة في الأمر أن نركز في هذا المقام على لغة أهل العراق في المعجمات العربية لأن العراق هو ارض المعجمات والمعجميين منذ شهد ظهور بوادر الحركة اللغوية زمن الخليل بن أحمد الفراهيدي وقبله وبعده.

وقد رأيت بحث من أستاذنا العالم الإنسان سعادة الدكتور عبد العزيز بن علي الحربي أن أكتب في هذا المضمار الذي هو مضماري وتخصصي، فوقع الاختيار على رصد بعض كلام أهل العراق في معجم العين لكون أول معجم في العربية ألفه أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، كما لا يخفى على المتتبع لغة العرب التي دونتها معجمات العربية قد تضمنت كثيرا من لغات أهل الامصار العربية القديم وهذا يعكس المنحى الاجتماعي اللغوي لجمهرة من أصحاب المعجمات حين لم يغفلوا الالتفات إلى مستويات الأداء اللهجي.

وقد حفلت المعاجم العربية القديمة بقدر وافر من لغة أهل العراق لأن ولادة المعجم ونشأتها عراقية بامتياز، وقد عمدت إلى تدوين نماذج من لغة أهل العراق التي تداولتها معجمات العربية ونصت عليها، ذكرا مواضع ورودها في تلك المعجمات.

وقد بدأت بهذا المشروع على شكل حلقات متوالية عسى أن يفيد منه الباحثون والدارسون للهجات العربية، والمعجمات.

فأقول:

- جاء في العين: لعز: اللَّعْزُ: ليس بعربية محضة. لَعَزَها: فعل بها ذاك ومن كلام أهل العراق: لَعَزَها لعزا: باضعها (العين: ١/٣٥٥)
- رجلٌ مُصَلْمِعٌ مُصَلْفِعٌ مُقْفِعٌ مُدْقِعٌ. صُلْمِعَ رأسُه وصُلْفِعَ: إذا استؤصِلَ شَعَرُه. بلغة أهل العراق. (العين: ٢/٢٣٨)
- ورجل قَحْطِيٌّ: أكْولٌ لا يُبقي على شَيءٍ من الطعام من كلام أهل العراق دون أهل البادية، أي كأنَّه نَجَا من القَحْط (العين: ٣/٣٩).
- الخرنوب والخروب [شجر] ينبت بالشام، له حب كحب الينبوت، يسميه أهل العراق القثاء الشامي، وهو يابس أسود. (العين: ٤/٣٣٧)
- قال أبو الدقيش: قُنْبُرتُها: التي على رأسها. والقُنَيْبِرُ: نبات يسميه أهل العراق: البقر، فيمشي كدواء المشي. (العين: ٥/٢٦٤).
- بركن: البَرْنَكانُ: كساء أسود بلغة أهل العراق.(العين: ٥/٤٣٢)
- ستج: الإستاجُ والإستيجُ من كلام أهل العراق، وهو الذي يُلفُّ عليه الغزلُ بالأصابع، (العين: ٦/٩٤)
- أصي: وأَصاةُ اللسان: حَصاتُه أي رَزانته، ويروَي لطرفة:



وإن لسان المرء ما لم تكن لـه أصـاةٌ علـى عَوْراتِـه لـدَليلُ

ويُروَى: حَصاة. وطائر يُسَمِّيه أهل العراق: ابن، آصَى، فَعْلَى وهـو شـبيه بالباشـق، إلاّ أنّـه أطـول جناحًـا وأخبـث صـيدًا، وهـو الحِدَأ.(العين: ٧/١٧٧).

- التَّطْفيلُ من كلام العرب: أن يأتيَ الرَّجـلُ وليمـة أو صـنيعا لم يُـدْع إليه، فَكُلٌّ من فَعَل فِعْلَهُ نُسِبَ إليه، وقيل: طُفَيليٌّ، (فيما روي عن العين في التهـذيب ١٣/٣٤٩: مـن كـلام أهـل العـراق). (العـين: ٧/٤٢٩).
- برن: البَرْنيُّ: ضَرْبٌ من التَّمْر أَحْمَرُ مُشْرَبٌ صُـفْرة، كـثيرُ اللَّحـاء، عَذْبُ الحَلاوة، ضَخم. والبَرانيّ بلغة أهل العراق: الدّيكـة الصِّـغار أوّل ما تُدْرك، الواحدة: بَرْنيّة، (العين: ٨/٢٧٠)
- (الثُّفَّاءُ...كغراب (: الخَرْدَلُ) المُعالَج بالصِّبّاغ (أَو الحُرْفُ)، وَهِـي لُغَة أَهل الغَوْر، وَهُوَ حَبُّ الرَّشادِ بلغَة أَهل العراق (وَاحِدَتُه بِهَاء)، وَمِنْه الحَدِيث (مَاذَا فِي الأَمَرَّيْنِ مِنَ الشِّـفَاء: الصَّـبِرُ والثُّفَّـاء) (تـاج العروس: ث ف أ)
- الحَبْحَبَـةُ (: البَطِّـيخُ الشَّـامِيُّ الَّـذِي تُسَـمِّيهِ أَهْـلُ العِـرَاقِ الرَّقِّـيَّ، والفُرْسُ) تُسَمِّيهِ (الهِنْدِيَّ) لِمَا أَنَّ أَهلَ العرَاق يأْتيهم من جِهةِ الهِنْدِ، أَو أَن أَصلَ مَنْشَـئه مـن هنـاكَ، قَـالَ الصـاغانيّ: وبعضُـهم يُسَـمِّيهِ الجَوحَ. قلتُ: ويُسمِّيه المَغَارِبَةُ الدُّلاَّعَ، كرُمَّـانٍ (ج حَبْحَـبٌ) (تـاج العروس: ح ب ب)

- (خرنب)، ذَكَرَ الأَزهريّ فِي الرباعيِّ الخَـرُّوبَ والخُرْنُـوبَ: شَـجَرٌ يَنْبُتُ فِي جبَال الشَّأْم لَهُ حَبٌّ كحَـبِّ اليَنْبُـوتِ يُسَـمِّيهِ صِـبْيَانُ أَهْـلِ العِرَاقِ القِثَّاءَ الشَّامِيَّ، وَهُوَ يابسٌ أَسْوَدُ(تاج العروس: خ ر ن ب)
- المُسَيِّبُ بن حَزْن بن أَبِي وَهْب المَخْزُومِيّ (كمحَدِّث: وَالِد) الإِمـام التَّابعِيّ الجَلِيل (سَعِيد) لَهُ صُحْبَةٌ، رَوَى عنهُ ابنُه (ويُفْتَح). قَالَ بَعْضُ المُحدِّثين: أَهْل العِرَاق يَفْتحُون، وأَهْل المَدِينَة يَكْسِرُون، ويَحْكُون عَنْه أَنه كَانَ يَقُول: سَيَّب اللهُ مَنْ سَيَّبَ أَبِي، والكَسْر حكَـاهُ عِيَـاض وابْن المَدِيني، قَالَه شَيخنَا(تاج العروس: س ي ب).
- (لَولَبٌ)، وَجمعه لوَاليبُ. قَالَ أَبو منصور: وَلَا أَدْري أَعَرَبيّ هُوَ، أَم مُعَـرَّب؟ غـيرَ أَنّ أَهـلَ العِـراق أُولِعُـوا باسْتِعْمَالِ اللَّوْلَـب، وَقَـالَ الجوهَرِيُّ فِي تَرْجَمَةِ لوب: وأَمّا المِرْوَدُ، ونَحْوُهُ، فَهُـوَ المُلَوْلَـبُ، على مُفَوْعَل، (تاج العروس: ل ب ب)
- (وأَبُو حُدَيْجٍ، كزُبَيْرٍ: اللَّقْلَقُ) بلغةِ أَهلِ العِرَاق (ح د ج).
- (الإِسْتاج والإِسْتِيج، بكسرهما) من كَلَام أَهلِ الْعرَاق: وَهُوَ (الَّـذِي يُلَـفّ عَلَيْـهِ الغَـزْلُ بالأَصـابع ليُنْسَـج)، تسـمِّيه العـربُ أُسْـتُوجَةً وأُسْجُوتَةً. قَالَ الأَزهـريّ: وهمـا مُعَرّبـانِ.(وأَسْتَجَةُ: د بـالمَغْرِب) بالأَندلس، من أَعمال قُرْطُبَةَ (تاج العروس: س ج ج).
- (والفَيْجُ): رَسُـولُ السُّـلطانِ علـى رِجْلِـه، فارسـيّ (مُعَـرَّبُ بَيْـك) وَالْجمع فُيُوجٌ، ومثلُه فِي معرّب ابنِ الجَوالِيقيّ وزادَ: وَلَيْسَ بعـربيّ صحيحٍ. وَفِي النِّهاية: الفَيْج: المُسْرِعُ فِي مَشْيِه الَّذِي يَحْمِلِ الأَخبـارَ من بَلدٍ إِلى بَلدٍ. وَفِي العُبَاب:! الفَيْج: الَّـذِي يُسـمِّيه أَهـلُ العـراق الرِّكاب والسَّـاعِي؛ نَقَلـه الطِّـيبيّ أَوّلَ البقـرةِ، نَقلـه شَـيخنَا.(تـاج العروس: ف و ج).



- حَبُّ الرَّشَادِ: الحُرْفُ)، كَقُفْلٍ، عِنْد أَهل الْعراَق، (سَمَّوْهُ بِهِ تَفاؤُلاً، لأَن الحُرْفَ مَعْناه الحِرْمَانُ)، وهم يَتطيَّرون بِهِ. (تاج العروس: ر ش د)

- الصُّرَد لَا تَراه إلّا فِي شُعْبَةٍ أَو شَجَرَةٍ، لَا يَقْدِر عَلَيْهِ أَحدٌ. قَالَ سُكَيْنٌ النُّمَيريُّ: الصُّرَد صُرَدَانِ، أَحدُهما يُسَمِّيه أَهلُ العِرَاق: العَقْعَقُ، وأَمّا البَرِّيُّ فَهُوَ الهَمْهَام، يُصَرْصِرُ كالصَّقْر. ورُوِيَ عَن مُجَاهِدٍ: وكُره لَحْمُ الصُّرَدِ وَهُوَ من سِبَاعِ الطَّيْرِ. (أَو هُو أَوَّلُ طائِرٌ صَامَ لِلهِ تَعَالَى) (تاج العروس: ص ر د).

- الجَرْجَرُ: (الفُولُ)، فِي كَلَام أَهلِ الْعراَق. (ويُكْسَرُ)، كَذَا فِي كتاب النَّبات(تاج العروس: ج ر ر)

- الزَّجْر، بالفَتْح كَمَا هُوَ مُقْتَضَى سِيَاقه، وضَبَطَه الصَّغَانيّ بالتَّحْرِيك: (سَمَكٌ عِظَامٌ) صِغَارُ الحَرْشَفِ، (ويُحَرَّكُ، ج زُجُورٌ)، هكذا تتكلّم بِهِ أَهْلُ العِرَاق.(تاج العروس: ز ج ر).

- السَّعْتَرِيُّ: الشّاطِرُ، بلُغَة أَهل العِراق، والكَرِيمُ الشُّجَاعُ، وبعضُهُم يكتُبُه بالصّادِ، وهكذا فِي كُتُبِ الطّبّ لئلاّ يَلْتَبِس بالشَّعِيرِ، وَهُوَ بالصّاد أَعْلَى (تاج العروس: س ع ت ر).

- لَطَزَها، كَمَنَع، هَكَذَا فِي سَائِر النُّسَخ بالطاءِ، وَهُوَ غلطٌ، والصوابُ لَعَزَها بالْعينِ المُهملَة، كَمَا فِي اللِّسان والتكملة، ومثلُه فِي تَهْذِيب ابنِ القَطّاع، وَأَهْمَلَهُ الجَوْهَرِيّ وَنَقله الصَّاغانيّ عَن اللَّيْث، قَالَ: لَعَزَ فلانٌ جارِيَتَه، إِذا جامَعَها. قَالَ: وَهُوَ من كَلَام أهل الْعراَق، وَقَالَ

غيرُه: لغةٌ سُوقِيَّةٌ غيرُ عربيّةٍ. وقَالَ ابنُ دُرَيْد: اللَّعْزُ: كِنايةٌ عَن النِّكاح، يُقَال: باتَ يَلْعَزُها. فِي لغةِ قومٍ من الْعَرَب: لَعَزَت الناقةُ فَصيلَها، أَي لَطَعَتْه بلسانها، كَمَا فِي تَهْذِيب ابْن القَطّاع.(تاج العروس: ل غ ز)

- الرَّفْشُ، أَهْمَلَه الجَوْهَرِيّ وقَالاللَّيْثُ: هُوَ بالفَتْح، والضَّمِّ، لُغَتَان، سَوَادِيّة، وَهِي المِجْرَفَةُ يَرْفَشُ بهَا البُرُّ رَفْشًا، كالمِرْفَشَةِ، يُسَمِّيها بَعْضُهم هكَذَا. وقَوْلُهُم للرَّجُلِ يَشْرُفُ بَعْدَ خُمُولِه أَو يَعِزُّ بَعْدَ ذِلَّةٍ: مِنَ الرَّفْشِ إِلى العَرْشِ. أَيْ قَعَدَ عَلَى العَرْشِ بَعْدَ ضَرْبه بالرَّفْشِ، كَنّاسًا أَو مَلاَّحًا، وَفِي التَّهْذِيب: أَي جَلَسَ عَلَى سَرِيرِ المَلْكِ بَعْدَما كَانَ يَعْمَلُ بالمِجْرَفَةِ، وَهَذَا من أَمْثَالِ أَهْلِ العِرَاقِ. (تاج العروس: ر ف ش)

- الكَدّاشُ، ككَتّانِ: المُكَدِّي، بلُغَةِ أَهْلِ العِرَاقِ، وهوَ الشّحّاذُ.(تاج العروس: ك د ش).

- البَطِيطُ بلغَة أهلِ العِراق رَأْسُ الخُفِّ يُلْبَسُ. وَقَالَ كُراع: البَطِيطُ عِنْد العامَّةِ خُفٌّ مقطوعُ، قَدَمٌ بِلَا ساق، قالَ أَبو حِزامٍ العُكْلِيُّ: (بَلَى زُؤْدًا تَفَشَّغَ فِي العَوَاصِي... سأَفْطِسُ مِنْهُ لَا فَحْوَى البَطِيطِ) (تاج العروس: ب ط ط).

- يُقَالُ قَوْزَعَ الدِّيكُ، ولَا يُقَالُ قَنْزَعَ، قالَ البُشْتِيُّ: يَعْني تَنْفِيشَه بُرَائِلَهُ، وهِيَ قَنَازِعُه، قَالَ الأَزْهَرِيُّ وَقد غَلِطَ فِي تَفْسيرِ قَوْزَعَ بمَعْنَى تَنْفِيشهِ قَنَازِعَه، ولَوْ كانَ كَما قالَ لجازَ قَنْزَعَ، وَهَذَا حَرفٌ لَهِجَ بِهِ العَوامُّ من أَهْلِ العِرَاقِ، تَقُول: قَنْزَعَ الدِّيكُ: إِذا هَرَبَ من الدِّيك الَّذِي يُقاتِلُه. (تاج العروس: ق ن ع).



- اللَّصَفُ، مُحَرَّكَةً: لُغَةٌ فِي الأَصَف الواحِدَةُ لَصَفَةٌ، قَالَه اللَّيْثُ، وَهِي ثَمَرَةُ حَشِيشَةٍ، لَهُ عُصارةٌ يُصْطَبَغُ بهَا، يُمْرِئُ الطَّعامَ، وَقَالَ أَبو زِيادٍ: مِنَ الأَغْلاثِ اللَّصَفُ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ أَهلُ العِراق الكَبَرَ، يعظُمُ شَجَرُه، ويَتَّسِعُ، ومَنْبَتُه القِيعانُ وأَسافِلُ الجِبال، أَو هُوَ أُذُنُ الأَرْنَب، ورَقَه كورَق لِسان الحَمَلِ، وأَدَقُّ وأَحْسنُ، زَهْرُه أَزْرَقُ فِيهِ بياضٌ، وَله أَصْلٌ ذُو شُعَبٍ، إِذا قُلِعَ وحُكَّ بِهِ الوَجْهُ حَمَّرَه وحَسَّنَه. (ل ص ف).
- الوسْقُ بالفَتْح: ستّون صَاعا وَهُوَ ثَلثمائة وَعِشْرُونَ رِطْلاً عِنْد أهلِ الحِجاز، وأرْبَعمائة وَثَمَانُونَ رِطْلاً عِنْد أهلِ العِراق على اختِلافِهم فِي مِقدار الصّاعِ والمُدّ. وَالْجمع ﴿أوسُقٌ،﴾ ووُسوق (تاج العروس: و س ق)
- الواقَة: من طيْرِ الماءِ عِنْد أهلِ العِراق، (تاج العروس: و هـ ق).
- والشُّوَيْلاَءُ، بالضَّمِّ مَمْدُودًا: نَبْتٌ مِنْ نَجِيلِ السِّباخِ، قالَ أَبُو حَنِيفَةَ: وَقد ذَكَرَها الأَصْمَعِيُّ ولَم يَحُلَّها، وَهِي من العُشْبِ، قالَ: ومَنابِتُها السَّهْلُ، يُتَداوَى بِهِ قالَ الصَّاغَانِيُّ: وَقد رَأَيتُها، وهِيَ غَبْرَاءُ، تَنْبَسِطُ على وَجْهِ الأَرْضِ، لَا شَوْكَ لَها، والمالُ حَرِيصٌ عَلَيْهَا، وَقد يُقَالُ لهُ: الشُّوَّيْلُ: كَقُبَّيْطٍ، فِي لُغَةِ بَعضِ أهلِ العِرَاقِ.(تاج العروس: ش و ل).
- القَرْقَلُ، كجَعْفَرٍ، ويُشَدُّ لامُه لُغَةٌ فِي التَّخفيفِ، حَكَاهَا ابْن الأَعْرابِيّ فِي نوادره: قَمِيصٌ لِلنِّساء، بلَا لِبْنَةٍ، قَالَه أَبو تُراب، وَنَقله الأَزْهَرِيُّ عَن الأَمَوِيِّ. أَو ثَوْبٌ لَا كُمَّيْ لهُ، ج: قَراقِلُ، قَالَ

الجَوْهَرِيُّ: وَهُوَ الَّـذِي تُسَـمِّيه العامَّـةُ قَرْقَـرٌ، وَفِـي التَّهـذيب قَـالَ الأَمويُّ: ونساءُ أَهلِ العِراقِ يقولونَ قَرْقَرٌ، وَهُوَ خَطأٌ، وكلامُ العربِ القَرْقَلُ باللامِ. (تاج العروس: ق ر م ل).

- (والمُوشانُ، بالضَّمِّ وكغُرابٍ وكِتاب):) نَـوْعٌ (مِـن) التَّمْـرِ، ورَوَى الأَزْهرِيُّ بسَنَدِه عَن عُثْمان بن عبْدِ الوَهابِ الثَّقفيّ، رحِمَه اللَّهُ تَعالَى قالَ: اختَلَفَ أَبِي وأَبو يوسُفَ عنْدَ هارُون فقالَ أَبو يوسُفَ: (أَطْيَـبُ الرُّطَب) المُشانُ، فقالَ أَبي: أَطْيَبُ الرُّطَبِ السُّكَّرُ، فقـالَ هَـارُون: يُحْضَرَانِ، فلمّا حَضَرا تَنَاوَلَ أَبو يوسُفَ السُّكَّرَ فقلْتُ لَهُ: مَـا هَـذَا؟ قالَ: لمَّا رأَيْت الحقَّ لم أَصْبر عَنهُ.

ومِن أَمْثالِ أَهْلِ العِراقِ: بعلَّـةِ الوَرَشـانِ تأْكُـلُ الرُّطَـبَ المُشـانَ. (تـاج العروس: م ش ن).

- (وابنُ! آصِي: طائِرٌ شِبْه البَاشَق إلاَّ أنَّه أَطْـول جنَاحـا وَهُـوَ الحِـدَأُة يُسَمّيه أَهْلُ العِراقِ ابْن آصَى، (تاج العروس: آ ص ي).

هذا بعض ما التقطته من كلام أهل العراق في معجم العـين أمـلا في لإكمال هذه السلسلة في موقعنا المبارك موقع مجمع اللغـة العربيـة علـى الشبكة العنكبوتية، لأن في معجمات العربية كـثيرا مـن مسـتويات الأداء اللغوي التي رصدتها معجمات العربيـة ومنـها العـين، ممـا يـدل دلالـة واضحة على أن ما يعرف بالعاميات فيها كثير من الكلم الفصيح هذا مـن جهة، ومن جهة أخرى أيضا له دلالـة علـى أن أصـحاب المعجمـات لم يتخلوا عن رصد كلام الطبقات الاجتماعية الأخرى عـدا منظـوم العـرب ومنثورهم، مما يؤدي إلى القول: إن العاميات آنذاك كانت تدون ولم يكن



النظر إليها على أنها من الكلام الساقط المرذول لأنه درج على ألسنة عوام الناس وصاروا يتداولونه في حياتهم اليومية وكأنهم أرادوا للغة أن تقف بلا نمو أو تنمية أو تطور وهذا يتغاير تمام التغاير مع الطبيعة الاجتماعية للغة التي تقتضي نواميسها وقوانينها التطور والتجدد والانبعاث عبر الأعصر والأزمنة.

أقول: شاع عند المعجميين القدامى استعمال بعض المصطلحات للدلالة على لغة أهل العراق ومنها مصطلح (لغة سوادية) وهم يعنون غالبا بهذا المصطلح لغة أهل العراق لأن العراق كان يسمى أرض السواد لكثرة كلأه وشجره ونخله فيبدو ذلك من شدة الإخضرار كأنه سواد، ومما التقطته من معجمات العربية القديمة دالة على ذلك هو:

- القاشي: الفلس الرديء، لغة سوادية.(العين: ٥/١٨٣)٢
- الحاربُ المُشَلِّح هُوَ الَّذِي يُعَرِّي الناسَ ثِيَابَهُمْ؛ قَالَ ابْنُ الأَثير عَنِ الْهَرَوِيِّ: هِيَ لُغَةٌ سَوادِيَّة. (لسان العرب: ش ل ح)
- الكُرَاخيَّةُ (: الشُّقَّةُ من البَوَارِي)، لُغة (سَوَادِية)، (تاج العروس: ك ش م خ)
- الصَّفّارَةُ، كجَبّانَةٍ: الإِسْتُ)، لغةٌ سَوَادِيّة.(ص ف ر)
- الشُّقْدُفُ، كقُنْفُذٍ: أَهْمَلَهُ الجَمَاعَةُ، وَهُوَ مَرْكَبٌ م مَعْرُوفٌ بالْحِجَازِ، يَرْكَبُه الحُجَّاجُ إِلَى بَيْتِ الله الحَرَامِ، وَهُوَ أَوْسَعُ مِن العماري، وأَعْظَمُ جِرْمًا، والجَمْعُ: شَقَادِفُ. وأَمَّا الشِّقِنْدَافُ، بالكَسْرِ، فَلَيْسَ مِن كَلاَمِهِمْ، بل هِيَ لُغَةٌ سَوَادِيَّةٌ، وسَمِعْتُ بعضَ مَشَايِخِي يقول:

إنَّهُ مَرَّ رَجُلٌ عَلَى عِرَاقِيٍّ، فَقَالَ لَهُ: مَا تُسَمُّونَ هَذَا عِنْدكم فَقَالَ: الشِّقِنْدَافُ، فَقَالَ: أَلَيْسَ هُوَ الشُّقْدُفُ قَال: لَا، أَلا تَدْرِي أَنَّ زِيَادة البِنَاءِ تَدُلُّ على زِيادَةِ المَعْنَى، وَهَذَا أَعْظَمُ من شَقَادِفِكُم، وأَوْسَعُهَا جِرْمًا (تاج العروس: ش ق د ف)

- الدُّبَاكَةُ، كثُمامَة أَهْمَلَهُ الْجَوْهَرِي والصاغانِيُ، وقالَ أَبو حَنِيفَة: هِيَ الكرنافَةُ لغةٌ سَوادِيّةٌ (تاج العروس: د ب ك)
- والرَّوْشَم: الرَّوْسَم، اسْم (للطَّابَع) الَّذِي يُخْتَم بِهِ كُدْس البُرّ، لُغَة سَوَادِيَّة (تاج العروس: ر ش م
- الماذِيانُ: النَّهْرُ الكَبِيرُ، وَقد جاءَ ذِكْرُه فِي حدِيثِ رافِعِ بنِ خَدِيجٍ، وَهِي لُغَةٌ سَوَادِيَّةٌ (تاج العروس: م ذ ي ن)

هذه مقتطفات من معجمات متنوعة تنتمي لمدارس معجمية مختلفة رصدت فيها بعض الألفاظ التي تعزى إلى أهل العراق وقد جاءت تحت مصطلح يدل على تلك اللغة الا وهو قولهم (لغة سوادية)، ولا يراد بقولهم لغة سوادية أنه يتكلم بها عامة الناس بل يراد بها أنها من لغة أهل العراق حصرا، ولعل هذا الموضوع ينال عناية بعض الدارسين في استقصائه وتتبعه ورصد ما فيه من ظواهر لغوية.



التقديم والتأخير في ألفية ابن مالك .. رؤية نصية

أ. د. عبد السّلام حامد

ليس من شك في أن ألفية ابن مالك أو أية منظومة علمية أخرى، يمكن أن تدرس وفق المنهج الأسلوبي وعلم النص؛ بهدف بيان سماتها وكيفية بنائها وعوامل نجاحها أو إخفاقها وعدم انتشارها. ورغم أن منهج علم النص يقدم نظرية أكثر تقدمًا وجِدّة وشمولاً من علم الأسلوب - يمكن الاتكاء على النظريتين معًا في هذا العمل بشكل تكاملي، يجمع إلى كلية نظرية علم النص وإحكامها، بعضَ التفاصيل والإجراءات المهمة من علم الأسلوب خاصة منهجه الإحصائي. ولا بد في هذا الإطار من الاستناد على عدة مبادئ وأسس، منها مبدأ الاعتماد على العيّنات المُغنية عن غيرها، عندما يكون النص طويلاً كما هو الحال في ألفية ابن مالك، وكذلك مبدأ التركيز على ما يبدو لنا من "الانحراف" أو المتغيرات الأسلوبية الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية ضمن ما يعرف "بأسلوبيات المقال" (١).

وسوف يكون مجالُ التطبيق والعيّنة الأساس - فيما نعتمد عليه من ألفية ابن مالك - أبياتَ الإضافة التسعة والثلاثين في الألفية (٢) مع أمثلة أخرى متفرقة، وسنستعين في الإحالة إلى هذه الأبيات بالإشارة إلى

(١) انظر في تفاصيل هذه الأسس والمبادئ: في النص الأدبي – دراسة إحصائية، للدكتور سعد مصلوح ٢٢ – ٥٢.

(٢) انظر: شرح ابن عقيل ٤١/٢ – ٨٧.

أرقامها المسلسلة من واحد إلى تسعة وثلاثين. ونستطيع الآن إذن أن نقدم التحليل من خلال التفصيل الآتي:

إن ظاهرة التقديم والتأخير من الخصائص التركيبية التي تبدو جلية في ألفية ابن مالك؛ فقد أحصينا لها في العيّنة المشار إليها خمسة عشر موضعًا [(١)]، بعضها يدور في فلك تقديم الجار والمجرور أو الظرف على عامله ومتعلَّقه، كما في البيت الرابع (فعن تنكيره لا يُعزَلُ):

وإن يُشابِهِ المضافُ يَفعلُ وصفًا فعن تنكيرِه لا يُعْزَلُ (٤)

والبيت الثامن عشر (وقبلَ ... أعرِبْ):

وقبلَ فعلٍ معربٍ أو مبتدا أَعرِبْ ومَن بَنى فلن يُفنّدا (١٨)

والبيت الثاني والثلاثين (به يتصلُ):

ويُحذَفُ الثاني فيبقى الأولُ كحالِهِ إذا به يتصلُ (٣٢)

وكما في البيت العشرين الذي يستغرق فيه التقديم والتأخير البيت كله:

لمُفْهِمِ اثنين مُعرّفٍ بلا تفرُّقٍ أُضيفَ كلتا وكلا

وكما في تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ المعرفة في قول ابن مالك:

(١) – انظر الأبيات: ١- ٢ – ٤- ٩- ١٨- ٢٠ – ٢٢- ٢٥ – ٢٦- ٣١- ٣٢ – ٣٣ – ٣٤ – ٣٦ – ٣٩.



أو تنوِ الاجْزا واخصُصَـنْ بالمعرفـةْ موصولةً أيًّا وبالعكسِ الصفةْ (٢٢)

وثمة مواضع ثلاثة قُدّم فيها المفعول به على الفعل، وهي قـول ابـن مالك:

نونًـــا تلـــي الإعـــرابَ أو تنوينـــا ممّا تُضيفُ احْـذِفْ كطـورِ سِينا(١)

والثـانيَ اجـرُرْ وانْـوِ مِـنْ أو في إذا لم يَصلُـح الا ذاكَ والـلامَ خُـذا (٢)

فصْـلَ مضـافٍ شـبْهِ فعـلٍ مـا نَصَـبْ مفعولاً او ظرفًا أَجِـزْ ولم يُعَـبْ (٣٤)

واثنان من هذه المواضع قُدّم فيهما المفعول به على فعله وأدى ذلك إلى الفصل بينهما بغير قليل من الكلام، حتى نرى المفعول في أول البيت والفعل الناصب له قبل آخره بقليـل، ويصـدق هـذا علـى البيـتين الأول والثالث مما سبق.

ومـن خـلال ذلـك يتـبين لنـا أن بعـض مواضـع التقـديم والتـأخير المذكورة – خاصة ما كان من قبيل تقديم الجار والمجرور على متعلّقه - يمكن التغاضي عنها؛ لأنها تعد من قبيل الاختيارات الأسلوبية الهينة التي يمكن وقوع نظائرها في النثر [١]، فضلاً عن كونها من أيسـر الضـرورات الشعرية إذا نظرنا إليها بهذا المقياس. وتبقى سبعة مواضع أخرى تُعـدّ في رأيي حجة بالغة على كونها مـن أهـم خصـائص أسـلوب ابـن مالـك في نموذج الإضافة، بدليل أن الأبيات التي وردت فيها هذه المواضع السبعة تمثل نسبة تزيد عن ١٧% من مجموع أبيـات الإضـافة. ولتوضـيح ذلـك ننظر في هذا الجدول:

(١) انظر: لغة الشعر، دراسة في الضرورة الشعرية، للدكتور محمد حماسة ٢٩٠.



نوع التقديم والتأخير	مواضع التقديم والتأخير بحسب أرقام الأبيات
تقديم الجار والمجرور أو الظرف على المتعلَّق	٤- ... فعن تنكيره لا يُعْزَلُ ×
	١٨- وقبلَ فعلٍ معربٍ أو مبتدا أعربْ ... √
	٢٠- لمُفْهِمٍ اثنين مُعرّفٍ ... أُضيفَ √
	٢٥ – ومعَ، معْ فيها قليل ونُقِلْ ... ×
	٢٦- واضْمُمْ بناءً ان عدِمْتَ ما له أضيفَ ... ×
	٣١- لكن ... لما عليه قد عُطِفْ ×
	٣٢- ويُحذَفُ ... كحاله إذا به يتّصلُ ×
	٣٣- ... مثلِ الذي له أضفتَ الأوّلا ×
تقديم المفعول به على الفعل	نونًا تلي الإعراب .. احذف .. √
	والثانيَ اجْرُرْ ... √
	٩- ... سبيلَه اتّبِعْ ×
	٣٤- فصلَ مضاف ... أجزْ √
	٣٦- آخِرَ ما أُضيفَ لليَا اكْسِرْ إذا √
	٣٩- وألِفًا سَلِّمْ ... √



تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ	٢٢- ... وبالعكس الصفةْ ×

وإذا انتقلنا إلى محاولة النظر إلى التقديم والتأخير في ألفية ابن مالك، من زاوية علم النص ومبادئه السبعة، فإننا نشير أولاً إلى أن هذه المبادئ هي: السبك أو التماسك (Cohesion) والحبك أو التناسق (Coherence) والقصد والقبول والإعلامية ورعاية الموقف (أو المقامية) والتناص. والسبك والحبك معياران يتعلقان بالنص في ذاته، والقصد والقبول يتعلقان بمستعمل النص منتجًا كان أو متلقيًا، والمعايير الثلاثة الباقية (الإعلامية ورعاية الموقف والتناص) تتعلق بالسياقين المادي والثقافي المحيطين بالنص. وهذه المبادئ كلها تتحقق في الألفية بشكل ملحوظ وكبير.

وإذا كانت الرتبة والتقديم والتأخير مما يتعلق بالسبك ومن خصائصه، فمن أقرب هذه المبادئ للتقديم والتأخير أيضًا في نظرنا "الإعلامية" ؛ لأنها – كما بين أستاذنا الدكتور سعد مصلوح –كيفية استقبال النص لدى المتلقي، وحكمه على طريقة عرض المحتوى، ومدى الجدة والتوقع وتحقيق منعطفات أو إغراب وطرافة [١].

(١) انظر: النص والخطاب والإجراء، ١٠٣-١٠٥، وفي اللسانيات العربية المعاصرة، للدكتور سعد مصلوح ٢١٨-٢٣٥، وفي البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، للدكتور سعد مصلوح ٢٢٦-٢٢٨.

وهذا في رأينا لا يغيب عن الألفية في مواضع عديدة. من ذلك ما تثيره الأبيات الآتية - وكلها يمثل مطالع أبواب وبدايات مسائل- من دهشة وطرافة؛ لما فيها في المقام الأول من تقديم وتأخير ظاهرين:

يقول ابن مالك في أول باب "الابتداء":

مبتدأٌ زيدٌ وعاذِرٌ خَبَرْ   إن قُلْتَ: زيدٌ عاذِرٌ مَن اعتذَرْ

الطرافة والدهشة هنا سببهما أولاً التقديم والتأخير المفطور منهما البيت؛ لأن الترتيب المفترض الأصلي: إن قُلْتَ: زيدٌ عاذِرٌ مَن اعتذَرْ، (فـ) زيدٌ مبتدأ وعاذرٌ خبر، ثم المفاجأة أيضًا ببدء الباب بالمثال – وهو بهذه الصورة – دون التعريف النظري بالجملة الاسمية، والتمهيد للحديث عنها بأي شكل آخر مُتوقّع.

وجاء في أول الحديث عن لا النافية للجنس:

عمَلَ "إنّ" اجْعَلْ لـلا في نكرةْ   مفردةً جاءتكَ أو مُكرّرةْ

وفي أول الكلام عن إعمال المصدر قال:

بفعلِه المصدرَ ألحِقْ في العملْ   مُضافًا او مجردًا أو معَ " أل "

فبغض النظر عن الجار والمجرور الأخيرين (في العمل)، نلحظ هنا أنه قدم الجار والمجرور الأولين (بفعله)على الفعل والمفعول - مع تقديم المفعول - بحيث إننا لو قارنا بين التركيب بعد التقديم والتأخير وقبلهما، سنرى ترتيبًا هابطًا وآخر صاعدًا، كما يتضح من خلال ما يأتي :



المنطوق والحاصل: بفعلِه (٣) - المصدرَ (٢) - ألحقْ (١).

الأصل والمفترض: ألحقْ (١) - المصدرَ (٢) - بفعلِه (٣).

أما إذا أدخلنا الجار والمجرور الأخيرين (في العمل)، فسيكون العنصر المقدَّم أولاً والمبدوء به هو الرابع، وستكون المقارنة بهذا الشكل:

المنطوق والحاصل: بفعلِه(٤) - المصدرَ(٢) - ألحقْ(١) - في العمل(٣).

الأصل والمفترض: ألحقْ(١) - المصدرَ(٢) – في العمل(٣) - بفعلِه(٤).

وقد ترتب على تقديم الجار والمجرور هنا أيضًا عود الضمير على متأخر عنه في اللفظ.

وجاء في أول فصل الحديث عن تابع النداء:

تابعَ ذي الضمّ المضافَ دون "أل" ألْزِمْهُ نَصْبًا كأزيدُ ذا الحِيَلْ

وفي صدر الحديث عن الترخيم:

ترخيمًا احذِفْ آخرَ المنادى كيَا سُعا، فيمن دعا سُعادا

وفي أول العدد [1]:

(١) انظر: المواضع المختلفة لأبيات الألفية المكورة في شرح ابن عقيل ومتن الألفية.

ثلاثـــةً بالتـــاء قُـــلْ للعَشَـــرةْ في عـــدّ مـــا آحـــادُهُ مُـــذكَّرَةْ

إن كل هذه الأمثلة للتقديم والتأخير وغيرها، تحقق الإعلامية بما فيها من طرافة وإغراب وتعجيب، وهي أيضًا تضاف إلى ما ذكرنـاه مـن قبـل لأمثلة التقديم والتأخير وتؤكدها.

والخلاصة التي نستطيع أن نخرج بها من ذلك كله، أن تغيير الرتبـة بالتقديم والتأخير يعد ظاهرة من أهم خصائص ابـن مالـك الأسـلوبية في ألفيته.



الكَميان أو (الكمي) بدل التدخين

أ. د. عبد القادر سلامي
جامعة تلمسان – الجزائر

ملخص :

تسعى هـذه الدراسـة إلى إلقـاء الضـوء علـى مصـطلح "الكَمْيَـان"و منه"الكَمْي" الذي أصبح مألوفاً لـذا العامّـة قبـل الخاصّـة للتـدليل علـى ممارسـة شـائعة في المجتمعـات كلّهـا هي""التـدخين"أو (fumer) الفرنسية، أو (To smoke) الإنجليزية،دون أن يأخـذ في الحسـبان مـا يعكس الضَرَر الحقيقي الذي يحدّق بمتعاطي التّبغ ،الإيجابي والسّـلبي، على النّحو الذي يعكسه "الكَمْيان"،أو"الكَمْي" ،والـتي انـزوت في ركـن سحيق من المعجم العربي الفصـيح لأسـباب نتبـيّن واقعيتـها اللغويـة في الدراسة الموالية.

Abstract:

This study seeks to shed light on the term "Alkamian" and then the concept of “AL-Kamy” which has become a common term used almost by everyone in a given nation. This is mainly done to simply demonstrate the common practice in all societies i.e., “smoking”; (fumer) in French, or (To smoke) in English,

without taking into account the real damage caused by the tobacco, being positive or negative as the term may denote. This latter “Alkamian", or "Kamyo" has just settled in a very dark corner of the Arabic lexicon for a set of reasons which we will try to explore its linguistic and realistic situation in the present paper.

من التدخين إلى الكَمْيان أو الكَمْي :

للتدخين (fumer) في اللغة الفرنسية معان منـها: تخصـيب الأرض الفلاحية بالسماد قصد تحسين مردودهـا، وتنـاثر الـدُّخَان (la fumée) في الهواء نتيجة احتراق الحطب أو التبغ ، أو غيرهما(١).

أمّا ما يقابل الاسم والفعل في حاضر لغة العرب، فالسـائد منـه هـو الدُّخَانُ: "يتصاعدُ عن النّـار مـن دقـائق الوقـود غـير المحترقـة وبمعـنى "التَّبْغ"، و" التدخين" تفعيل لذلك. وعلى هذا فــ "دخَّـنَ التَّبْـغَ": أحرَقَـهُ متعاطياً إيّاه" و"دخَّن على الشَّجر أو على الثَّـوْب: طهَّـرَهُ ببَخُـور خـاصّ ليقتُلَ ما به من الآفات". وهو مما أقرّه مجمع اللغة العربية بالقاهرة(٢).

فعلى أيّ أساس تمَّ له ذلك؟ ونحن نعلم أن القياس يستلزم وجود لغة حديثة مقيسة على لغة قديمة من باب موازنة كلمـات بكلمـات أو صـيغ

(١)- Le Petit Larousse,p ٤٥٦.

(٢) - إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت،٢٧٦/١، مادة (دخن).



بصيغ أو استعمال باستعمال أو معنى بمعنى[٣] ؛ قياس لا يتمّ إلاّ بطريقة منطقية كونه يساعدنا على صياغة ألفاظ جديدة و اشتقاقات قد تكون شائعة في اللغة القديمة، وقد تكون نادرة فيها أو قد تكون غير موجودة إطلاقاً فما بالك والمعاني بعدُ ليست قائمة إلاّ على سبيل التوهّم؟ والإنسان لا يقوم مقامَ النَّار بأيّ حال من الأحوال. ففي المعجم العربي ما يدلّ على أنَّ الدُّخَان: "ما يكون عن الوقُود. يُقالُ: دَخَنَت النَّار تدخُنُ ودخَّنَتْ وادَّخَنَتْ: إذا ارتفع دُخَانُها، ودَخِنَتْ تَدْخَنُ: إذا أُلْقِيَ عليها حَطَبٌ فأُفْسِدَتْ حتَّى يَهيج لذلك دُخانٌ. ويُقالُ دَخَنَ الغُبَارُ: ارتَفَعَ. والدُّخْنَةُ من الألْوان: كُدْرَةٌ في سَواد. والدُّخْنَةُ: بَخُورٌ يدخَّنُ به البَيْت"[٤].

فالدّخان يكون عن نار وقودها الحَطب أو البَخور أو التَّبْغ الذي يستحيل، على اعتبار ما سيؤول إليه، دُخاَناً يُكْمى (يُسْتَرُ) في الصّدر وما احتزمَ عليه، فيهيجُ، ثمَّ يُخرِجُ جلُّه أو جزءًا منه بالطريقة المعهودة عند مُتعاطي التَّبغ؛ ولا بأس بعد ذلك أن يُطلَق الدُّخانُ على التَّبغ على سبيل المجاز ووفق المآل، وهو ما لا ننكره على الخاصّة والعامّة.

من ذلك لفظ" كَمَى" الذي نعدُّه وجهاً صالحاً من وجوه المقابلات الموضوعية لما في (عملية التدخين) بمفهومها الحديث. فهو في أصل الوضع" يَدلُّ على خَفَاءِ شَيءٍ. من ذلك: كَمَى فُلانٌ الشّهادة: إذا

(٣)- ينظر: ابن جني : الخصائص، ٣٥٨/١ و السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو، ص٩٦، وابن هشام: شرح خمل الزجاجي، ص٣٥٥.

(٤)- ينظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ٣٣٦/٢، مادة (دخن) والفيروزآبادي: القاموس المحيط، ٢٢٣/٤، مادة(الدخن).



كَتَمَها...ولذلك سمِّيَ الشُّجاعُ: الكمِيُّ. قالوا: هو يتَكَمَّى في سلاحه، أي: يتَغَطَّى به. يقالُ: تكَمَّتِ الفِتْنَةُ النَّاسَ: إذا غَشِيَتْهُم"[٥].

والجدير بالذكر أنَّ عامّة أهل المغرب العربي لا زالوا يصرُّون على الفعل " كَمى" في مقابل (دَخَّن) و"المصدر" الكَمْيان" في مقابل (التدخين) وكأنّه من(باب ما تنكره الخاصّة على العامّة وليس بمنكر)[٦].

فإذا كانت مادة "كَمَى"، ومنها "الكَمْيان" ما زالت تحظى بمثل هذا التداول ،وقد انحسر مداها في الدلالة على كتمان السرّ والشهادة الذي كانت تضطلع به جنباً إلى مع مادة "كتَم" [٧] فما أحوجنا اليوم إلى دلالتها المحسوسة التي انزوت في ركنٍ صغيرٍ من أركان الدلالة الأصلية، وعثرنا عليها في بعض النصوص القديمة في صورة اللفظ نفسه أو بعض مشتقّاته، وارتكزنا فيه أساسًا على مبدأ التوسُّع في قبول ما نطقت به العامّة وكان جارياً على لهجة عربية معروفة [٨] ، تتّصل بالفصحى بأكثر من سبب، وينتظر الإقرار الطّوعي من المجتمع العربي في مشرقه بعد أن لقيَه في مغربه.

(٥)- ابن فارس معجم مقاييس اللغة،١٣٧/٥، مادة(كمى)، وينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٣٨٦/٤، مادة (كمى).

(٦)- وهو عنوان جعله ابن مكّي الصقلي (ت٥٠١هـ) لأحد أبواب كتابه، حاول فيه إنصاف العامة فيما ذهبوا إليه. ينظر: ابن مكي الصقلي: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، ابن مكي: ثقيف اللسان وتلقيح الجنان، ص١٨٦-١٩٣.

(٧)- "الكاف والتاء واللام أصل صحيح يدلُّ على إخفاءٍ وسَتْرٍ". ابن فارس:معجم مقاييس اللغة١٥٧/٥، مادة(كتم).

(٨)- ينظر في هذا الصدد: عبد العزيز مطر: لحن العامة في ضوء علم اللغة الحدي، ،ص١٦٩.



خلاصة :

بعيداً عن التشكيك في قدرة المجامع اللغوية العربية، ومنها: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الذي نشهد له بالرّيادة، على عقد الصّلة بين موروث الخلَف والسّلف من الألفاظ الكفيلة بسدّ النقص المصطلحي الحاصل في لغة العرب في مقابل ما يفد علينا من مصطلحات أجنبية وممارسات تنحسب علينا تبعاتها. بعيدًا عن كلّ ذلك فإننا نهيب بهذه المجامع أن تداوم التنقيب والتنقير في كتب اللغة ومعاجمها بحثاً عن مقابلات موضوعية تغنينا عن اللّهث وراء العديد من الترجمات على النحو الذي حظيت بها كلمة "المَنَامَة" في مقابل كلمة"pyjama (s)" التي عملت بعض المجامع اللغوية جاهدة على ترجمتها دون أن تلقى أيّ من الترجمات المقترحة القبول[٩]. والمصطلح في تراث العرب يحمل أسباب انبعاثه.

المراجع

العربية :

١- ابن جني، أبو الفتح عثمان :الخصائص، تحقيق محمد علي النجّار، ط٢، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت.

٢- ابن فارس، أبو الحسين أحمد : معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

(٩)- ينظر:علي القاسمي: مقدمة في علم الترجمة، ص٨٨-٨٩.



٣- ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين: شرح جمل الزجاجي. دراسة تحقيق علي محسن عيسى مال الله، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٤- ابن مكي الصقلي: أبو حفص عمر بن خَلَف: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ، قدّم له وقابل مخطوطاته وضبطه مصطفى عبد القادر عَطَا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٥- أنيس، إبراهيم ومنتصر عبد الحليم والصوالحي عطية، وخلف الله أحمر محمد: المعجم الوسيط، طبعة حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين، دار الفكر.

٦- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن: الإتقان في علوم القرآن، وبهامشه إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.

٧- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، لبنان.

٨- القاسمي علي :مقدمة في علم المصطلح، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٩- مطر، عبد العزيز: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ط١ ، دار المعارف بمصر، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

الأجنبية :

١٠- Le Petit Larousse-Larousse-Paris-Cedex٠٦،٢٠٠٣.



القسم الرابع:

أنت تسأل .. والمجمع يجيب



١٥ . السائل (أبو أحمد الزهرانيّ) يسأل عن راء المبرِّد، أهي مفتوحة أم مكسورة؟

الجواب :

أبو العباس، محمد بن يزيد المبرّد الأزديّ، صاحب الكامل والمقتضب. قيل له: المبرَّد (بفتح الرّاء) لحُسن وجهه، يقال: رجلٌ مبرَّدٌ، ومقسم الوجه. ومن قال: المبرِّد (بالكسر)، قال: معناه: المثبِّت للحقّ، لقَّبه به شيخه المازنيّ.

وقد لقيت هذه الرّاء حظًّا كبيرًا من الخلاف والجدل، كما فصّل ذلك الشيخ عبد الخالق عضيمة في تحقيقه لكتاب (المقتضب)، حتى قال أحد علماء شنقيط:

والكسر في راء المبرِّد واجبٌ   وبغير هذا ينطق الجُهلاءُ

ولا أنصحكَ بتضييع الوقت في تحقيق ذلك، فليس في هذا وأمثاله كبير فائدة، ويكفي أن تعلم ورود الوجهين، كما رُوي الوجهان في (المسيّب)، والد كبير التّابعين سعيد بن المسيّب، ونظيره في القراءات: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ بفتح القاف وكسرها، وفي السنَّة الميمُ في قوله ﷺ: «فقَمَِنٌ أن يستجاب لكم»، وفي أسماء الأنبياء سين (يوسف)، ونون (يونس) مع الضمّ، وفي الصّحابة دال (دحية الكلبي)، وفي الملائكة جيم (جبريل)، وفي الشّياطين خاء (خنزب)، وهو شيطان الصّلاة، وفي ألفاظ الآخرة قوله عليه الصلاة والسلام عن جسر جهنّم: «دَحضٌ مزلة» بفتح الدّال وكسرها، وفي ألفاظ البرزخ (جنازة)، وفي الأزمنة قاف (ذي

القعدة)، وحاء (ذي الحجّة)، وفي الأمكنة (البصرة)، وفي ذوات الأربع (اللّقحة)، وفي الطّير دال (دجاجة)، وفي الجماد فاء (ذو الفقار)، وتاء (الخاتم)، وفي الأفعال سين (عَسَيِت)، وفي الأموال صاد (الصّداق)، وفي الآنية طاء (الطست)، وفي الأعضاء حاء (الحقو)، وفي أبواب الفقه جيم (الجعالة)، وفي الأنساب (الكشي) بفتح الكاف مع الشِّين، وبكسرها مع السِّين، وفي أسماء العلوم طاء (الطّب)، وفي أوصاف العلماء حاء (الحبر).

وأمّا ما روي عن سعيد بن المسيّب أنّه قال: (سيّب اللهُ من سيَّب أبي)؛ فهي إن صحّت عنه، دعوة لا يُستجاب لها، ولا ذنب على من نطق بما ثبت له، وهي - أي: الدّعوة المذكورة - تحتمل الدّعاء له والدّعاء عليه، ولا يُظنّ بصالحي المؤمنين إلاّ خيرًا.

د. عبد العزيز الحربي



١٦ . السائلة (أم دعاء - المدينة)، قالت : أسأل عن كلمتي (العَصْلَجة، واللّحْلَحَة)، وهما من الألفاظ الشائعة لدينا في الحجاز، يقال : الشيء تَعَصْلَج، ويا فلانُ تَلَحْلَحْ ؟

الجواب :

في اللّغة العربية ألفاظ يدلّ لفظها على معناها، وهذه الدلالة يدركها العربيّ بذوقه؛ لأن نظائرها بحروفها المشبهة تضع له ميزانًا يقيس به الأصوات وإيقاعها ثم معناها، ومن ذلك هاتان اللّفظتان، لا سيما (عَصْلَج) التي عدّها المجمعيّون في القاهرة من المحدثات، وهي الألفاظ التي لم تنقل عن العرب في عصر الاستشهاد ومن بعدهم إلى العصر الحديث.

ويظهر لي أنّ الألفاظ المحدثة نوعان، أحدهما: ما لا أصل له في مادته بترتيب حروفها، فهذا محلّ بحث ونظر وتفصيل، لا يكفي هذا الحيز لذكره وبيانه. والثاني: ما لم يستعمل في الإطلاق الحديث، ولكن مادته استعملت في معنى آخر بنسق حروفه على وزن آخر، ومن هذا (العَصَلَّج)، وهو: الرجل المعوجّ الساق، كما في (تاج العروس). فانظر - الآن - إلى استعمال المحدثين للعَصْلَجة بمعناها الذي هو التعسّر، وستجد روعة الاشتقاق في هذا الإطلاق، ولا تحتاج إلى ذكر الجامع بينهما، إذا لوحظ أن مُعوجَّ الساق متعسِّر المشية.

وكثيرًا ما تكون هذه الألفاظ (عَصْلَج) ونحوها من الأفعال الملحقة بالفعل الرّباعي مازجة بين فعلين مزجًا يشبه النّحت، كما قيل في (بَعثَر)،



أصلها: بَعثَ وعَثَر. و(عثر) من العثير، وهو الغبار. وكذلك هنا يمكن أن يقال: أصل (عَصْلَج) عصى ولَجَّ. ومن اللغويين من يقول: لا يكاد يجتمع الصاد والجيم في كلمة واحدة في لغة العرب.

وأمّا (اللّحْلَحَة) فالمعاجم تقول فيها: خبزة لَحْلَحة، أي: يابسة. ومكان لَحْلَح، أي: ضيّق. ويقال: رجلٌ مُلَحْلَح، أي: سيّد. وهذا هو مربط الفرس الذي نمسك به، ونقول: استعمال الحجازيّين اليوم (التّلحْلُح، واللّحْلحة) فعلاً ومصدرًا استعمالٌ منطلقٌ من هذا المعنى، فإنها تستعمل في مقام الإيقاظ، وتحريك الهمّة، والتنبيه إلى معالي الأمور، وتلك هي السيادة، أيها السّادة.

د. عبد العزيز الحربي



١٧ . السّائل (عبد الرؤوف عماد) : قوله تعالى : ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]**، هل الفعل ﴿تَوَلَّوْاْ﴾ مضارع أم ماضٍ ؟ أفتوني في ذلك، جزاكم الله خيرا.**

<u>الجواب :</u>

غير خاف عليك وعلى الملّمين بقواعد العربية أنّ المضارع لا يكون أوّله إلا أحد حروف (نأتي). وأما الماضي فكل حرف من حروف الهجاء قابل لأن يكون أوّله، فإذا جاء في الكلام ما أوّله ألف أو تاء أو نون أو ياء وقَبِلَ أن يكون معناه ماضيا مع صحة أن يكون مضارعا فلا مانع من حمله على الوجهين، ومن ذلك هذه الآية، فإنها تحتمل أن يكون الفعلِ فيها مضارعًا، وحذفت تاؤه للتخفيف، ومعلوم أنَّ الفعل إذا كان مبدوءاً بالتاء ودخلت عليه تاء المضارعة صار في اجتماع التاءين ثقل في النطق.

ولما كانت العربية تسارع إلى التخفيف تصرفت العرب في مثل هذا على نوعين من التخفيف، أحدهما: إدغام التاء في التاء، وبذلك قرأ الإمام ابن كثير المكي من رواية البزّيّ في مواضع في القرآن، ليس هذا الموضع منها، وتعرف عند القراء بتاءات البزي، ومن ذلك: ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾، و﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾، و﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، و﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾.

وأما لفظ ﴿تَوَلَّوْاْ﴾؛ فقد ورد في القرآن في عشرين موضعا، أكثرها من قبيل الماضي، وفيها خمسة مواضع تحتمل أن تكون من قبيله أو من قبيل المضارع، وقرأ البزي في أربعة منها بالإدغام على أنه أفعال مضارعة، منها موضعان في سورة (هود، الآية: (٣، ٥٧)، وموضع بسورة (الأنفال، الآية: ٢٠)، ورابع بسورة (النور، الآية: ٥٤).

والموضع الذي سألتَ عنه لم يقرأ فيه بالإدغام، بل جعله كسائر الأفعال الماضوية، مع احتماله أن يكون مضارعا، كما جزم بذلك غير واحد من المفسرين والمعربين، بل إنّ السّياق يرجحه، ولكن القراءة مبنيةٌ على التّوقيف، وعدم قراءته بالإدغام لا يمنع أن يكون مضارعًا.

وأمّا النّوع الثّاني من أنواع التّخفيف في الأفعال التي اجتمع فيها تاءان؛ فهو الحذف، وهو الذي عناه ابن مالك بقوله في آخر (ألفيته المباركة):

وَمَا بِتَاءَيْنِ ابْتُدِي قَدْ يُقْتَصَرْ فِيهِ عَلَى تَا كَتَبَيَّنُ العِبَرْ

ولله درّ الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي، ودرُّ صنيعه في (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن)؛ إذ جمع المواضع العشرين كلَّها، ثم أعاد ما يحتمل الوجهين، على غير عادته، رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن الباحثين خير الجزاء.

د. عبد العزيز الحربي



١٨ . السائل (أبو مصطفى الحضرمي) : في (الآية ٢٧)، من سورة (لقمان) في قوله تعالى : ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ ، وجدتني منساقا إلى معنى لم أكن استحضره من قبل أثناء قراءة هذه الآية وهو أنّ ﴿يَمُدُّهُۥ﴾ بمعنى : يجعله مدادًا، أي حبرًا؛ لأنه بمعنى الإمداد والمعاونة، ووقع في نفسي أنّ صيغة الفعل ﴿يَمُدُّهُۥ﴾ للدّلالة على التصيير، كقولنا : «هذا الفعل يجرِّمه القانون»، بمعنى يعدّه جرمًا .. أرجو التّكرم ببيان المعاني المتعددة لغةً لهذه اللّفظة.

الجواب :

أحسنتَ في السّؤال وفي الاستنباط، يا أبا مصطفى، وإنَّ من أحسن ما يُهدى إليه متدبر القرآن، أن يعمل فكره في معاني ما يقرأه أو يسمعه من كلام الله سبحانه، قبل أن ينظر إلى ما قاله المفسرون، فلعله يُهدى إلى معنى لم يذكره أحد من المفسرين، فالقرآن لا تنقضي عجائبه، وفيه ما لا يفسر آياته الدالة على آيات الكون والأنفس والآفاق إلا العصور المتلاحقة، ولا يختص بفهم آيات القرآن عند التدبّر العلماء ومن قاربهم، بل العطاء الرباني القرآني مبذول لكل أحد، على قدر ما يبذله من نظر وفكر، وعلى قدر ما أوتي من أسباب ذلك ومن توفيق الله له، غير أنه لا يجوز لمن دلّه فهمه على معنى من المعاني الخفية أن يعجل بتقرير فهمه إلا أن يكون له برهان من السمع أو اللغة أو العقل أو الحسّ، فإن كان له برهان يعتقده على جهة الظنّ، فإنه لا يجوز له أن يجزم بما كان مبنيا على دليل متجلبب بلباس الظّنّ في ثبوته أو معناه، وقنوات الفضاء اليوم فيها من عجائب التعالم ما يؤلم القلب.

هذه مقدمة أَعُدُّها من جوهر الجواب عن سؤالك، والآن أمدّ المقدمة بما يجيب عن سؤالك .. مادة (مَدَدَ) تدلّ على البسط والزّيادة، قال ابن فارس: «أصلٌ يدلّ على جرِّ شيء في طول واتصال شيء بشيء في استطالة». ثم ذكر طائفة من معانيها، ومنها: «مددتُ الدَواة وأمددتها، والمدَّة: استمدادك من الدَّواة مُدَّة بقلمك».

والمتأمّل في القرآن يجد أن المَدَّ أو الإمداد بمعنى الإمهال، كقوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾. وبمعنى الإعطاء، كقوله سبحانه: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾. وبمعنى الإغاثة، كقوله جل شأنه: ﴿مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾. وبمعنى مدّ الدواة بالمداد، كهذه الآية.

فهذه أربعة معان، وكلّها تعود إلى معنى واحد هو الزّيادة، وهذا العَودُ إمّا أن يكون عَوْدًا مباشرًا كما في المعاني الأربعة الأولى، وإمّا أن يكون غير مباشر كما في المعنى الرابع، والمفسرون أكثرهم لا يذكرون هذا المعنى، ولكنه معنى صحيح تؤيّده اللّغة، ويشهد له سياق الآية، شُبِّه فيه البحر الأوّل بالدّواة التي تملأ بالحبر، والأبحر السّبعة تزيده مدادًا؛ لأنها هي المداد، وقد علمنا أن من أساليب العربية: مدَّ الدّواة وأمدّها: إذا صبّ فيها المداد.

والحاصل: أنَّ كلاً من المعنيين صادق على معنى المدّ، ويمكن حمل اللّفظ على كلا المعنيين من باب حمل المشترك على أكثر من معنى .. والله أعلم.

د. عبد العزيز الحربي



١٩ . السائل (أبو الفضل) : ما قول المحققين في كلمة (ابن) إن جاءت بين علمين ، أتثبت أم لا ؟! حيث ذكر الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد - رحمه الله - : أن عدم إثباتها لا تعرفه العرب، ولا يوجد في شيء من معاجم العربية، بل هي من التّأثر بالغرب! و ما جناه المستشرقون على أمتنا. فالعرب تقول : محمد بن عبد الله، ولم تقل أبدًا : محمد عبد الله !! وذكر مثل ذلك ابن الأمير الكبير في (ثمر الثّمام شرح غاية الإحكام في آداب الفهم والإفهام)، بتحقيق الشيخ عبد الله العتيِّق، فقال : «بقي أنّ هذا التركيب كثر في كلام المُوَلّدين، و لا أعلمه في كلام العرب الآن». وكان يتكلم عن تركيب : محمد عبد اللطيف الطّحلاوي. أفيدونا مأجورين !

الجواب :

إنّ الأصل في الأسماء العربية المركبة من الولد والأب والجد: أن يُنعَتَ الأولُ ببنوَّته للثاني، وبأنه حفيدٌ للثالث.

فالإتيان بكلمة ابن أو ابنةٍ يبيّن نسبةَ الأوّل إلى الثاني، وإلحاقَه به على سبيل النّسب والوصفيّة، وإذا أسقطْنا كلمة ابن وابنة، خَفِي وجه نسبة الأسماء بعضها إلى بعض، فيظنّ السّامعُ حينئذٍ أنها أسماءٌ لمُسمّى واحد، كقولهم اليومَ: محمد زيد، وأحمد بدر، ومحمد ياسين، وغير ذلك من الأسماء المركبة التي اصطنعَها القومُ اليومَ وسَمّوا بها المُسمّى الواحدَ.

فمن الخطأ: إسقاط كلمة ابن وابنة الواقعة بين عَلَمين والواقعة صفةً لما قبلَها والرابطة ما بعدَها من الأسماء بما قبلَها، وكلما طالَت نسبة

الاسم إلى الآباء والأجداد وتعَدّدت تعدد الوصف بالابن، كَما في ترجمَة: أبي الحسين محمد بن عبد الله بن علي بن عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[١].

وهكذا، إذا ورَدَ العلَمانِ خاليينِ من ابن أو ابنة، أي: لم يتوسّطهُما ابن أو ابنَة، فإنّ السامعَ يلتبسُ عليه الأمرُ: أيريدُ المتكلّم بالتركيب مسمًّى واحدًا دُلّ عليْه باسمَيْن متتاليين؟ أم يُريدُ به مُسمًّى منسوبًا إلى أبيه من غير أن يوسّطَ بين العَلَمَيْن [ابن أو ابنة]. فإذا وسّطْنا صفة الابن أو الابنة؛ ارتَفَعَ اللَّبْسُ[٢].

أمّا في الإعراب؛ فيأتي ابن صفةً للاسم قبلَها، نحو قولنا: هذا زيْد ابنُ أحمدَ، فابنٌ صفَةٌ لزيد، وقد يأتي ابنٌ خبرًا لمبتدأ، نحو قول ابن مالكٍ الأندلسيّ في مطلع (ألفيته):

قالَ مُحمدٌ هو ابنُ مالك أحمدُ ربّي اللهَ خَيرَ مالك

فابنٌ جاءَت خبرًا للمبتدأ [هو].

أ. د. عبد الرحمن بو درع

(١) كَما ورَدَ في كتاب الإكمال لابن ماكولا، وغيره من كتب الأنساب والتراجم، وكتب تصحيح تصحيف الأسماء، وكتب المؤتلف والمختلف.

(٢) انظرْ: كتبَ التراجم والأنساب، تجدْ أنّ الوصف بالابن والابنة مُتعيّنٌ، ولا يُعرَفُ العَلَم المُترجَمُ عنه إلاّ به.



٢٠ . السائل (رضوان علاء الدين توركو) : بعض الأفعال تحتاج إلى مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبرا، ويكون المفعول به الأول فاعلا لفعل آخر يتناسب مع الفعل المتعدي لمفعولين.

أعطيتُ أحمدَ كتابًا : في هذه الجملة (أحمد) يكون فاعلاً في : أخذ أحمدُ كتابًا، فإذا بدّلنا مكان المفعولين، فهل يجب استخدام حرف الجرّ (ل)، كما يفعل الكثير؟ أي : هل نقول : أعطيتُ كتابًا لمحمدٍ، ولمن أعطيتُ كتابًا؟ وعلَّمت القراءة للتلميذ، ولمن علَّمت القراءة؟

أم نقول : أعطيتُ كتابًا محمّدًا، ومَن أعطيتَ كتابًا؟ وعلَّمت القراءةَ التلميذَ، ومَن علمتَ القراءة؟

بحثت في أحاديث الرسول ﷺ، فما وجدتُ استخدامًا للحرف (ل). وهاكم بعضها :

حدّثني إبراهيمُ بنُ موسى، أخبرَنا هشامُ بنُ يوسُفَ : أنَّ ابنَ جُرَيجٍ أخبرَهم، قال : أخبرَني عبدُ اللهِ بنُ عُبيدِ اللهِ بنِ أبي مُلَيكةَ : أنَّ بني صُهَيب مَولىٰ بني جُدْعانَ ادَّعَوا بَيْتَيْن وحُجْرةً أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أعطىٰ ذٰلكَ صُهَيبًا، فقال مَروانُ : مَن يَشهَدُ لكما على ذٰلكَ؟ قالوا : ابنُ عمرَ. فدَعاهُ، فشهِدَ لأَعطى رسولُ اللهِ ﷺ صُهَيبًا بَيْتَيْن وحُجْرةً، فقَضىٰ مَروانُ بشهادتِهِ لهم.

حدّثَنا محمدُ بنُ مُقاتلٍ، أخبرنا عبدُ اللهِ، أخبرَنا عُبَيْدُ اللهِ، عن نافعٍ، عنِ ابنِ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنّ رسول الله ﷺ أعطى خَيبَر اليهودَ على أن يعملوها ويَزرَعوها، ولهم شطرُ ما يَخرُجُ منها.

أخبرنا عثمانُ بن الهيثَم، حدثنا عونٌ، عن رجلٍ يقال له سليمانُ بن جابرٍ من أهل هَجَرَ، قال: قال ابنُ مسعودٍ: قالَ لي رسولُ اللَّهِ ﷺ: «تَعَلَّمُوا العِلْمَ وَعلِّمُوهُ الناسَ، تَعَلَّمُوا الفرائضَ وعلِّموها الناسَ، تعلَّمُوا القرآنَ وعلِّمُوهُ الناسَ، فإني امرؤ مقبوضٌ، والعلمُ سَيُقْبَضُ، وتظهرُ الفِتَنُ، حتَّى يختلفَ إثنانِ في فريضةٍ، لا يجدانِ أحداً يفصِلُ بينهما».

الجواب:

من الأفعال: ما يَتعدّى إلى مَفعولَيْن أصلُهُما مبتدأ وخَبَرٌ؛ كأفعال القُلوب: نحو علمتُ زيداً قادمًا. وأفعال التحويل، نحو: صيّرَ، وحوّلَ، وجَعَلَ، ووهَب، كقولنا: صَيرتُ العَجينَ رغيفًا، وقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان]، وكقولنا: وَهَبَني الله فِداكَ، أي: صيّرَني وجَعَلَني فداكَ.

ومنها: ما يَتعدّى إلى مَفعولَيْن ليسَ أصلُهُما مبتدأ وخبرًا؛ نحو: أرى المتعدّية بالهمزة: أرى زيدٌ عَمْرًا الدّارَ، و: أعلمَ، بمعنى: عرّف، نحو: أعلمتُ زيدًا الحقَّ. ويُضاف إلى ذلِكَ: فعلُ كَسا، وفعلُ أعطى .. ونحوُهُما، نحو: أعطيتُ زيدًا درهمًا، وكسوتُ زيدًا قَميصًا.

أمّا إذا تَعدّى الفعلُ إلى مفعولين، الثّاني منهما ليس خَبرًا في الأصل؛ فالأصلُ: تقديمُ ما هو فاعل في المعنى، نحو: أعطيتُ زيدًا درهمًا.



فالأصل تقديم زيد؛ لأنّه الآخذُ، وتأخيرُ الدّرهم؛ لأنّه المأخوذُ في المَعْنى.

ويجوزُ تقديمُ ما ليس فاعلاً معنى، على المفعولِ في المَعْنى، أي يجوزُ: أعطيتُ درهمًا زيدًا، وكسوتُ قميصًا عَمْرًا، لكنه خلاف الأصل.

وليسَ من كلامِ العربِ أن نُعدّيَ الفعلَ إلى المفعولِ الأولِ بحرف الجرّ اللاّم، فلا نقولُ: أعطيتُ لزيدٍ درهمًا، ولم يَرِدْ به شاهدٌ، وهذا جارٍ على ألسنةِ العامّةِ ممّا تلقّفته الدّوارِجُ من اللّغات الأجنبيّة.

ولعلّ تقديمَ المفعول الثّاني، الذي هو في الأصلِ مفعولٌ في المَعْنى، على المَفعولِ الأوّل، الذي هو في الأصلِ فاعلٌ في المَعْنى، يحتاجُ إلى قرينة تُرجّحُ جوازَ التّقديمِ، كأن يُعيَّنَ المُقدَّمُ ويُعرَّفَ بما يرجّحُ استحقاقَه التّقديمَ، نحو: أعطيتُ الدّرهمَ زيدًا، وألبستُ القَميصَ عَمْرًا؛ لأنّ التّعيينَ يدلّ ههنا على مَعْنى الحَصر، أي: ما أعطيتُ زيدًا إلّا الدّرهمَ، وإلّا درهمًا، وما ألبسْتُ عَمرًا إلّا القميصَ وإلّا قَميصًا، أي: أعطيتُ زيدًا الدّرهمَ لا الدّينارَ لا أعطيةً أخرى، وألبستُ عَمْرًا قَميصا لا جُبّةً.

ولكن يتعيّنُ تقديمُ المفعولِ في المعنى: إذا اقترنَ بالفاعلِ ضميرٌ يعودُ على المتأخّر، فنقولُ: أعطيتُ الدّرهَمَ صاحبَه، ولا تَقولُ: أعطيتُ صاحبَه الدّرهمَ؛ لئلاّ يعودَ على متأخّر لفظًا ورتبةً.

ويمتنعُ تقديمُ المَفْعول على الفاعلِ: إذا خيفَ اللَّبسُ، كأن يكونَ كلّ واحدٍ منهما صالحًا ليكونَ فاعلاً في المعنى، فلا نقولُ: أعطيتُ زيدًا عَمْرًا، وأنت تريدُ أنّ زيدًا المأخوذُ وعَمْرًا الآخذُ؛ لانتفاء القَرينةِ المبيِّنَة.

أ. د عبد الرحمن بو درع

٢١ . السائل (محمد عبدالكريم) : ما الفرق بين التّمهيد والمدخل والتوطئة في البحوث العلمية، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب :

من خَصائصِ البُحوثِ الطّويلَةِ والمؤلّفاتِ والتّصانيفِ أنّها لا تُدرَك مَقاصدُها وأهدافُها، ولا تُفهَمُ في سياقِها على الوجه المُرادِ، إلّا إذا قُدِّمَ بين يديْها بمقدّمَة أو تمهيد أو مدخلٍ أو توطئةٍ أو غير ذلك من المَداخل والمَوالجِ المَشهورةِ في هذا البابِ، حتّى يتمكّن القارئُ من بُلوغِ مَرامِ الكاتبِ.

وتَدورُ في مُقدّماتِ هذه البُحوثِ والمؤلّفاتِ جملةٌ من المُصطلحاتِ المختلفةِ تتّفقُ أحيانًا في المَعنى وإن اختَلَفَت لفظًا، أو تختلفُ لفظًا ومَعْنًى؛ فمن هذه المصطلحاتِ:

١- **المَدْخَلُ**، وهو: البابُ الذي يُدْخَلُ منه إلى البحث، كأنّ البَحثَ بناءٌ أو دارٌ لَها بابٌ للدّخول، فإن لم يُصنَعْ لَها مدخلٌ فلا سَبيلَ إلى دُخولها ومعرفةِ باطنها، وقَد يعني المَدخلُ الطّريقةَ والمنهَجَ، نحو قولهم: فلانٌ حسَن المَدْخَل والمَخْرَج، أَي: حَسَن الطريقة محمودُها، وكذلك هو حَسَن المَذْهَب.

فمعرفةُ المَنهج والطّريقةِ مدخلٌ إلى البحث؛ وذلكَ لأنّ المدخَلَ الأوّل يتألّفُ من عناصر الموضوع الكبرى وطريقةِ تَناوُله.

٢- **التّمهيدُ**، من المِهادِ، وهو: والفَرْشُ الوَطيءُ السّهلُ الذي يُبسَطُ، والتّذليلُ الذي يُعقَدُ للبَحث، ويُستعانُ به عليْه للانخراطِ فيه، والانتقالِ



من خارجه إلى باطنه، وهو للبحث كالرِّكابِ للرّكوبَةِ، فيُتصوّرُ أنّ البحثَ ذو علوّ وارتفاعٍ، ولا يُتمكّنُ من معرفةِ ما بداخلِه إلّا بما يُذلّلُ صُعوبةَ البُلوغِ ويُوطِّئُها، فالتّمهيدُ تَمكينٌ.

٣- **التّوطئةُ**، توطئةُ الفراشِ تَسهيلُه وتَهييئُه، والوَطيء من كلِّ شيءٍ: ما انخَفَضَ وسهُلَ ولانَ.

وتَوطئةُ البحثِ: العتبةُ التي تطؤُها رِجْلُ الدّاخِلِ قبلَ الوُلوجِ، فالتوطئَةُ مَوْطئُ قَدمِ الدّاخلِ إلى الكتابِ ومُقتَحِمِ عالَمِه الباطِن.

وأنت ترى ههنا: أنّ هذه المصطلَحات تتفقُ دلالاتُها في نصيبٍ من المَعْنى، فهي جَميعًا تَعْني: مَوالجَ الكتابِ ومَداخلَه ومُقدّماتِه التي تُعرِّفُ ببواطنه، ولا يُعقَلُ أن يتسوَّرَ القارئُ حائطَ الكتابِ ما دامَ الكاتبُ قد أعدّ له مدخلاً.

ومن باب التّذكير: أنّ عُلَماءَ الفقه والنّحو والكَلام والأصول .. استعمَلوا هذه المُصطلَحات في عناوين كتبهم، و جَعَلوا كتُبَهُم هذه تمهيداتٍ وتوطئاتٍ ومُقدّماتٍ ومَداخلَ للعلم الذي صَنّفوا فيه، فمن ذلك:

- التوطئة في النحو والصرف، لأبي علي الشّلوبيني الإشبيلي [ت. ٦٤٥ هـ]، المشهور بشارح (الجزولية الكبير)، تحقيق: د.يوسف المطوع، ١٤٠١ = ١٩٨١.

- الموطّأ ، لإمام الأئمة وعالِم المدينَة، الإمام مالك بن أَنَس، علق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م

- المقدمة في الأصول، لأبي الحسَن المالكي، تحقيق محمد السليماني، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ١٩٩٦م

- المقدمة لابن خلدون، دار المعارف، تونس، ٢٠٠٠م

- مقدمة ابن الصلاح في عُلوم الحَديث، تحقيق صلاح محمد عويضة، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٩٥م

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البرّ النَّمَري الأندلسي، مجموعة من المحققين، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب من عام ١٣٨٧ حتى عام ١٤١٢م

- التمهيد في تَخْريج الفُروع على الأصول، للأسنويّ، تحقيق: محمد حسَن هيتو، مؤسسة الرسالة/الشركة المتحدة-بيروت..

أ. د عبد الرحمن بو درع

٢٢ . السائل (أحمد بن عبد الله) : أود الاستفسار عن الفرق بين هاتين الجملتين : هذا غلامٌ أحسنُ منه رجلٌ، وهذا غلامًا أحسنُ منه رجلًا . فقد أعيتني العجمة علي إدراك مقصود الجملتين، وجزاكم الله خيرًا .

الجواب :

تُختَصَرُ مسألة الاختلافِ في أنّ الجملةَ الأولى يُرادُ منها الإخبارُ حيثُ أخبرَ في الأوّل عن المُشارِ إليه أنّه غُلامٌ، ثمّ وصَفَ الخَبَرَ بأنّ رجلًا غيرَه أحسنُ منه، فالإشارةُ: مبتدأ، وغُلامٌ: خَبَره، والجملَة [أحسنُ منه رجلٌ] صفةٌ للخَبَرِ.

أمّا الجملةُ الثانيةُ؛ فيُرادُ منها مَعْنى الحال لا مجرّد الإخبار، أي: فُضّلَ حالٌ للمُشارِ إليه على حال أخرى. ولكنّ القاعدةَ المَشهورَةَ: أنّ أفعلَ التّفضيلِ لا يَعملُ في الحالَ مُتقدِّمةً، ولكن اسْتُثْنِيَ من المَنْعِ، أنْ يُفَضّلَ شيءٌ في حال على نفسه أو غيره في حال أخرى. فإنّ التّفضيلَ يعملُ في حالَيْنِ اثنَيْنِ إحداهما مُتقدمة عليه، والأخرى متأخرة عنه.

أمّا من حيثُ لفظ الحال فقَد وَرَدَت الحالُ في الجملةِ جامدةً، وهو خلافُ الأصلِ؛ إذِ الأصلُ في الحالِ أن تكونَ اسمًا مشتقًا فَضْلَةً منصوبًا يدلّ على هيئةِ صاحبه، ولكنّ الجمودَ في الحالِ يُؤوّلُ بمشتقّ، [هذا غلامًا أحسنُ منه رجلًا].

أمّا المشتقّ في الجملةِ الأخْرى؛ فقولُكَ: [زيدٌ قائمًا أحسنُ منه قاعدًا]؛ فالاسمانِ المَنصوبانِ في حالَتي الاشتقاق والجمودِ منصوبانِ بأفعَل التفضيل (أحسَن).

أمّا العاملُ في الحالِ في الجملَة الثانيةِ؛ فهو اسمُ الإشارَة لِما فيه من مَعْنى الفعلِ أشيرُ.

ولا يَجوزُ عند علماءِ النّحو على أشهرِ الأوجهِ: أن يتقدّمَ الحالانِ مُجتَمِعَيْن أو يتأخّرانِ؛ فلا نَقولُ: هذا غُلامًا رَجلًا أحسنُ منه، ولا: هذا أحسنُ منه غُلاماً رَجلًا[1].

أ. د عبد الرحمن بو درع

(١) يُراجَعُ: بابُ الابتداء، وباب الحال في كتبِ النّحو: سيبويْه والمبرّد وابن السّرّاج، وابن الحاجب وابن مالك وشارحه ابن عَقيل.



٢٣ . **السّائل : سمعتُ أن مجمع اللغة العربية (القاهرة) في الدّورة التاسعة والعشرين عام ١٩٦٣م، أجاز حذف الألف من كلمة (مائة)، وفصّل الأعداد من ثلاث إلى تسع عن (مئة)، فتكتب (ثلاث مئة)، فهلَّا أطلعتمونا على هذه الإجازة؟ وهل نُفِّذت هذه الإجازة في المجال التربوي، أم ينعت مَن يستخدمها بالولوج في الغلط الإملائي؟!**

الجواب :

نعم .. أجاز (مجمع اللغة العربية بالقاهرة) حذفَ الألف من (مائة)، وكتابتها بدون ألف (مئة)، طبقًا للقاعدة: **أنّ الهمزة تكتب على ياء أو نبرة إذا كان ما قبلها مكسورًا**. وينصّ القرار المتخذ في هذا الشأن الذي صدر في الجلسة الثامنة من مؤتمر الدورة التاسعة والعشرين عام ١٩٦٣م: على حذف ألف (مائة)، والتزام فصل هذه الكلمة عن الأعداد من ثلاثة إلى تسعة، فيكتب العدد (٣٠٠) هكذا: ثلاث مئة بدلاً من: ثلاث مائة، ومن ثلاثمائة.

وحُجّة (المجمع) في ذلك - كما ورد في قراره -: أنّ الأصل والقياس في كلّ كلمتين اجتمعتا أن تُكتب كلّ منهما منفصلةً عن الأخرى، كما أنّ الفصل مكتوبٌ به بعض النّصوص القديمة، إضافةً إلى أنّ الإعراب يقع على الجزء الأول من الكلمة كثلاث ونحوها، فالفصل هنا لبيان حركة الإعراب على آخر الكلمة، ورابع الأسباب: أنّ الفصل فيه تيسير على الناشئة[1].

(١) ينظر: مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما (ص ٣١٦)، أخرجها وراجعها: محمد شوقي أمين وإبراهيم الترزي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).

وكان الأستاذ حامد عبد القادر (عضو المجمع) قدّم مجموعةً من الاقتراحات في قواعد الإملاء، ومن بينها: اقتراح فصل الأعداد من ثلاثة إلى تسعة عن (مئة).

وذكر القدماء كابن قتيبة وأبي حيان والسيوطي وتابعهم بعض المعاصرين كالأستاذ عبد السلام هارون: أن (مائة) زيدت ألفُها منعًا لالتباسها بلفظ (منْه) الكثيرة الاستعمال[1].

وهذا التعليل - كما يلاحظ - بعيدٌ متكلّفٌ وغيرُ مقنع !

ومن المعروف: أنّ رسم المصحف يكتب لفظة (مئة) بألف كما في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الصافات].

أمّا العدد ثلاثة فيفصل عن (مئة)، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف].

ومعروف: أنّ الرّسم المصحفي أو الرسم القرآني له خصوصيته في الكتابة الإملائية، ولا يقاس عليه ما هو شائع في الكتابة العادية.

وأمّا تنفيذ قرار (المجمع) في الميدان التّربوي - كما ذكر الأخ السّائل - فـ (المجمع) مؤسسة علمية يصدر قراراته ويوصي بها، ولا يُلزم بتنفيذها، فهو جهة تشريعية - إذا صحَّ القول - وليس جهةً تنفيذية.

---

(١) ينظر: أدب الكاتب (ص ٢٠١)، المكتبة التجارية بمصر، وهمع الهوامع (٣٢٥/٦)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٤٠١هـ-١٩٨٠م، وقواعد الإملاء (ص٦٣)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.



وأحيله في هذا الموضوع لكلام نفيس أورده الأستاذ عبد العليم إبراهيم في كتابه (الإملاء والترقيم، ص١١٠-١١١، مكتبة غريب، القاهرة، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م).

وقضية الخلاف حول الكتابة الإملائية في القديم والحديث، وبين مشرق الوطن العربي ومغربه، وخاصّة في كتابة الهمزة والألف والياء والواو، قضية معروفة لم يحسم أمرها بعد!

وأمّا كتابتها على غير الوجه الذي قرره (المجمع)؛ فأحسب أننا في سَعة من الأمر، وبناءً عليه: لا أرى غضاضةً في كتابتها على أيّ صورة كانت من الصور المتقدمة، وإن كان الأولى كتابتها بحسب ما قرر (المجمع)[١].

أ.د. عبد الرحمن بن حسن العارف

(١) لمزيد من التفصيل والبيان، ينظر: تصحيحات لغوية، عبد اللطيف أحمد الشويرف (ص ٦١٩-٦٢٤)، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٩٧م.

٢٤ . السائلة (شريفة) : ما أصل كلمة (هجولة) ، وهل هي عربية أو معربة أو دخيلة ؟

الجواب :

الـهَجْوَلَةُ: تستخدم حاليًا في بعض اللهجات المعاصرة بمعنى: **الخروج من المكان والسَّير في الأرض دون غاية محددة، أو هدف واضح، أو نتيجة ملموسة.**

ومن مشتقاتها المستعملة: هَجْوَلَ يُهَجْوِلُ، وتَهَجْوَلَ يَتَهَجْوَلُ، على وزن: هَرْوَل وهَرْبَد.

ويبدو أنها مأخوذة من مادة (جال يجول)، ومنها: التّجوال والتّجويل وهو التّطواف الكثير، وجوّل في البلاد: طوّف، والهاء فيه سابقة لزيادة المعنى. وذكر ابن فارس: أنّ الجيم والواو واللام: أصلٌ واحدٌ، يدلّ على الدّوران[١]، وقيل بمعنى طاف بالأرض غير مستقر بها[٢].

وجاء في (المعجم الوسيط) [٣]: أنّ من معاني: الهاجل: الشخصَ الكثيرَ السّفر، وجمعه: هُجُول، ويقال: أهجل القوم فهم مُهْجِلون، أي: وقعوا في الهَجْل، وهي: المفازة الواسعة أو البعيدة ، والهُجُل من الطّرق: غير المسلوك، والهوجل: الأرض التي لا نبت فيها، أو: التي لا معالم بها، والهجول: المرأة البغي. والهجْلة: حيٌ من أحياء مكة،

(١) مقاييس اللغة (١/٤٩٥).
(٢) تكملة المعاجم العربية، دوزي (٢/٣٥١).
(٣) (٢/٤٨٩ : مادة: هجل).



قيل: سُمِّيت بذلك لانخفاضها، أو: لأنها موقع تجمع المياه، وسوق الهجلة: أحد أسواق الطّائف قديمًا.

وهكذا يتّضح: أنّ دلالتها المركزية - حسب رأي ابن فارس - تعني: الدّوران، ثم تفرّعت هذه الدّلالة إلى معان هامشية وثانوية، بحيث أخذت هذه اللّفظة دلالة سَلبية في الاستخدام المعاصر، وهي: التّنقل بين الأمكنة من غير ما طائل.

وليس لهذه اللفظة ذكر فيما بين يديَّ من مؤلفات المعرَّب والدَّخيل.

والله أعلم بالصّواب.

أ.د. عبد الرحمن بن حسن العارف

٢٥ . السّائل من مكة : أجد في شعر المتـنبي قـوةً تضـاهي قـوةَ شـعراء الأمويين، فلماذا لا نستشهد بشعره في اللّغة ؟

<u>الجواب :</u>

بدايةً أحبُّ أنْ أقول: إني من المؤمنين بأن اللغةَ لسـانُ حـالِ أهلـها؛ فهي تلبي احتياجاتهم منها، وذلك بتعبيرها عن كـل جوانـبِ حيـواتهم، وهذا يعني أنها في نموٍّ وتكاثرٍ يمكِّنها بهمةِ أهلها أن تُعبِّرَ عن كلِّ جديـدٍ لأهلها حضارةً أو علمًا أو مصطلحًا وما إلى ذلك.

وإذا كان المعجم هو الكنز الحافظ لِلُغةِ أهله فإنه - لكي يكون شاملاً وكاملاً متكاملاً يعبِّرُ عن مفرداتهم وتراكيبهم في مختلِفِ العصور - ينبغي له أنْ يُسجِّلَ كلَّ إنتاجِ أهلِ لغتهِ في مختلِفِ مجالاتِ الحيـاة، وهـذا هـو المنهجُ القويمُ المعقولُ الذي يجبُ اتباعُهُ في حِفْظِ أيِّ شيءٍ يريدُ الإنسانُ أنْ يحتفظَ به، وهذا منهجٌ قويمٌ يجبُ تطبيقُهُ في مجـالاتِ حفـظِ اللغـةِ، سواءٌ حفظها في المعجمات المكتوبـة أم المـدونات أم الـذخائر اللغويـة المحوسبة.

وقد كان العالمُ المسلمُ ابنُ قتيبةَ مستنيرًا حين خرجَ على فكْـرِ علمـاءِ عصرهِ الذين وقفوا بجمع اللغةِ وأدبهـا، أو إن شـئت فقـل: وقفـوا عنـد اعترافِهم بالفصاحةِ لغةً وشعرًا ونثرًا وحديثًا نبويًا عند حدودٍ بل قيـودٍ أو معاييرَ زمنيةٍ وعِرْقِيةٍ ومَكانيةٍ؛ فما انطبقت عليه هذه المعـاييرُ اعترفـوا لـه بالفصاحة، وما خالفها رفضوه وبهرجوه. قال ابن قتيبة في كتابـه (الشّـعر والشّعراء): «ولم يقصر الله العلم والشّعر والبلاغة على زمـنٍ دون زمـن،



ولا خَصَّ به قومًا دون قوم، بل جعل ذلك مشتركًا مقسومًا بين عباده في كل دهرٍ، وجعل كلَّ قديمٍ حديثًا في عصره»[١].

ظلَّ التقيدُ بهذه المعاييرِ مهيمنًا في مختلِفِ أماكنِ اللغةِ العربيةِ فَأَثَّرَ سلبًا في مجالِ جمعِها وتصنيفِها وحفظِها معجميًا، وإنْ خرجَ عليهِ على استحياءٍ أو وجَلٍ قلةٌ قليلةٌ من علماءِ العربيةِ، حيثُ أثبتت في مصنفاتها بل استشهدت في سياقاتٍ منها بشيءٍ من جديدِ اللغةِ والأدب. ونما هذا الاتجاهُ المحدودُ – عند هذه القلةِ – باطّلاعِ علماءِ العربيةِ المُحْدَثين على مباحثِ علماءِ اللسانيات" Linguists " في نموِّ اللغةِ وتطورِها، وعنايتهم في معجماتهم ودراساتهم الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بتسجيل تغيرات اللغة، وإضافةِ جديدِها في المفرداتِ والتراكيب والدلالات.

وجدنا في هذا السّياقِ في العصر الحديث دعواتٍ مستنيرةً لفكِّ القيودِ، بالخروج على حدود الزمان والمكان والجنس، و وذلك من خلالِ ما تَقَدَّمَ به أصحاب هذه الدعواتِ من مناهجَ وآراءٍ وأفكارٍ ومقترحاتٍ دعَوا فيها إلى جمعٍ جديدٍ للغةِ العربية: قائمٍ على وصفِ اللغةِ قديمِها وحديثِها كما هي، واستقرائها وإحصاءِ استعمالاتِها الواقعيةِ الإحصاءَ العلميَّ الدقيق. وصدرت توصياتٌ ودعواتٌ لتقديمِ دراساتٍ علميةٍ في لغة الأدباء القدامي والمحدثين والمعاصرين تعضد هذا الهدفَ، وتصبُّ في خدمتِهِ، وذلك بما ستقدمُهُ له من معلوماتٍ تكشفُ عن خصائصِ حاضرِ اللغةِ بصفةٍ عامةٍ.

---

(١) محمد عبدالله بن مسلم قتيبة: الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، ومراجعة: د. نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢/ ١٩٨٥م/ ص١٩.

ستقدمُ لنا هذه الدراساتِ وَصفًا موضوعيًا لخصائصِ اللغـةِ الصـوتيةِ والبنيويةِ والتركيبيةِ والدلاليةِ والأسلوبيةِ يكشفُ عمّا وافقَ خصائصَ اللغةِ التراثية، وما تَغَيَّرَ منها، أو جَدّ فيها من وضعٍ جديـدٍ يوافـقُ الخصـائصَ النظاميةَ الموروثةَ أو يخالفها.

وجد هذا الاتجاه قبـولاً عنـد جمهـرةٍ مـن علمـاء اللغـة العربيـة في الجامعات، ومجامع اللغة العربية والعلمية، ولاسيما مجمع اللغة العربية في مصر الذي اتخذ قرارًا بقبول أوضاع المحدثين والسماع منهم، وطبقه في معجماته الكبير والوسيط والوجيز، واتخذ قراراتٍ وتوسـعاتٍ لغويـةً بناءً على ذيوعِ استعمالاتٍ لغويةٍ حديثـةٍ ومعاصـرةٍ وجـدَ لهـا تأييـدًا في استعمالاتٍ سابقة.

جعل هذا المجمعُ العتيدُ مـن معجماتـه اللغويـة- الكـبير والوسـيط والوجيز- مجالاً خصبًا لتطبيق قراراتهِ بشأنِ مدِّ ثروة اللغة العربية بروافـدَ عربيةٍ جديدةٍ، مثل: تكملة فروع المادة اللغوية والاشـتقاق مـن الجامـد والقياس وغير ذلك.

إن مجمع اللغة العربية (مصر) ينظر إلى اللغة نظرةً امتداديةً لا يفضل فيها عصرًا على عصر، أو مكانًا على مكان؛ فاللغـة عنـده" كـل متصـل الأجزاء يرتبط حاضره بماضيه، وهمـا معًـا يعـدان لمسـتقبله، وللعربيـة قديمها الخالد، وحاضرها الحي، ومستقبلها الزاهر، ومن الظلم - كمـا يقول - أن نقف بها عند حدود زمنيـة معينـة، وينبغـي أن يعـبر المعجـم الحديث عن عصور اللغة جميعها، وأن يستشهد فيـه بالقـديم والحـديث على السواء. وهكذا فإن مادة معجمات المجمع لا تقتصر على ما جاء في المعجمات القديمة فقط، وإنمـا وجـدناها تضـيف إليهـا مـا وقـع عليـه



المجمعيون من جديد استعمال الأدباء من القدماء والمحدثين على حد سواء، وكذلك أضافوا إليها المصطلحات والألفاظ الحضارية الجديدة التي أقروها.

في ضوءِ ما تقدم يسْهلُ علينا القول إن المتنبي شاعر العروبة الأول، وهو الذي وأسمع بإبداعه فيه من به صمم، ونظر الأعمى إلى شعره، وروى الدهر قصائده، وسار بشعره من لا يسير مشمرا، وغنى به من لا يغني مغرّدا ت شاعرٌ يمثل قمةَ الفصاحةِ العربية؛ لذا فإننا اليوم نستشهد بشعره في مصنفاتنا، ونستشهد بأحمد شوقي والبارودي وإبراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود ومحمود درويش و(صادق أبو سليمان) و(أنت) إذا ما شهد البلغاء والمتخصصون بالجدارة اللّغوية. والله الموفق والمستعان

أ.د. صادق عبد الله أبو سليمان

٢٦ . السائل (محمد جبر) : تحيّرت في موافقة الألفاظ الآتية لقواعد باب النسب، فأيها موافق لها وأيها استثناء منها؟ هاشميّ، عبَّاسيّ، صحابيّ، أنصاريّ، تابعيّ، مملوكيّ، طالبيّ، طلّابيّ. آمل الإفادة ولكم خالص التقدير.

الجواب :

إنّ الكلمات المذكورة موافقة لقواعد باب النسب في غالبها على ما يأتي:

هاشميّ : موافقٌ، وهو نسبة إلى هاشم، ويقال للمنتسب إلى بني هاشم.

عباسيّ : موافقٌ، وهو نسبة إلى عبّاس، ويقال للمنتسب إلى بني العباس بن عبد المطلب.

صحابيّ: نسبة إلى (صحابة)، وهو اسم يُطلق على جميع من صحب النبيّ ﷺ بحسب التّعريف المشهور، ويُنسب إليه بلفظه؛ لأنّه اسمٌ واحد مطلق على الجميع، ولا يحتاج إلى أن يُردّ إلى مفرده.

أنصاريّ : جمع ناصر، وصار لَقبًا خاصًّا للأوس والخزرج، الذين نصروا النّبيَّ ﷺ، سمّاهم الله به، فصار عَلَمًا عليهم، فهو كالاسم الواحد، ولذلك يُنسب إليه على لفظه دون الرّجوع إلى المفرد.

تابعيّ : نسبة إلى التّابع، على القياس، وصار علَمًا بالغلبة على مَن أدرك الصّحابة ولم يدرك الرّسول ﷺ.



مملوكيّ: نسبة إلى (مملوك)، وهي نسبة صحيحة قياسية، وقد صار عَلَمًا بالغلبة على عصر معيّن، نسبةً إلى حكامه المماليك، والنّسبة إلى واحدهم، وهو (مملوك).

طالبّي : نسبة إلى (طالب)، ويقال للمنتسب إلى (أبي طالب)، وهو القياس.

طلّابيّ : نسبة إلى (طلاب) - جمع تكسير لـ (طالب) - على غير قياس، والقياس أن يُقال(طالبي) فيُرد إلى المفرد، ولكن لم يفعلوا ذلك لأنه يغير المعنى ويوقع في الالتباس بالمنسوب إلى (أبي طالب) كما تقدم، ولذلك اشترط بعض حذاق النحويين كأبي حيان للنسب إلى مفرد الجمع ألا يغير المعنى ويوقع في الالتباس بغيره.

والله أعلم.

د. عبد الله بن محمد بن مهدي الأنصاري

٢٧ . السائل العربي : عندما يذكر (علم البلاغة)، فلا يغيب عن الأذهان اسم لامع (عبد القاهر الجرجاني)، فيا أصحاب الفضيلة (أعضاء مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية) : من الجرجاني ؟ وما النّقلة النّوعية التي أحدثها (عبدالقاهر الجرجاني) في علم البلاغة ؟ وجزاكم الله خيرًا، ونفعنا بعلمكم.

الجواب :

عبد القاهر الجرجانيّ:

هو عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، شافعي المذهب، أشعري العقيدة، ولد في مطلع القرن الخامس الهجري في مدينة جرجان بين طبرستان وخراسان ببلاد فارس، وبها توفي عام ٤٧١ هـ، وفيها تعلم النّحو على يدي عالمها الكبير أبو الحسين الفارسي، والأدب على يدي قاضي قضاتها علي بن عبد العزيز الجرجاني، وكان زاهدًا عابدًا شغوفًا بالمعرفة، ترك وراءه - رحمه الله - عددًا من المصنفات العلمية العظيمة أمثال: (المغني، والمقتصد، والتكملة، والجمل، والعوامل المائة، والرّسالة الشّافية في إعجاز القران)، ولكن شهرته كانت بسبب كتابيه العظيمين اللذين أحدث بهما تحولاً كبيرًا في التفكير النقدي والبلاغي وهما: (أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز).

وقد نسب له مختارات من شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام نشرت في الطرائف الأدبية للميمني، وشرح لديوان المتنبي حُقِّق بالجامعة الإسلامية جزءُ منه، وكتاب (درج الدّرر في تناسب الآي والسّور) الذي يعمل على تحقيقه الشّيخ وليد الحسين.



وهذه الكتب يقطع الأستاذ الدكتور محمود توفيق سعد أستاذ البلاغة العربية بجامعتي أم القرى والأزهر الخبير بمنهج عبد القاهر بعدم صحة نسبتها إليه.

وقد وفّق عبد القاهر في تطوير فكرة الجاحظ التي ذهب فيها إلى أن القران معجز بنظمه، وألّف فيها كتابًا لم يصل إلينا سمّاه: (نظم القران). حيث نجح عبد القاهر في تفكيك هذه الفكرة وإعادة بنائها، وصنع منها نظرية متكاملة لها أسسها وعناصرها وبناؤها العام.

وجوهر هذه القضية: أنّ اللّغة مجموعة علاقات، وأن قيمة اللّغة لا تكمن في كم مفرداتها، ولكن في خصوصية علاقات وحداتها المكونة لها.

والنّظم عنده هو ترتيب الكلمات بحسب ترتيبها في الذّهن، فاللّغة صورة للفكر، وعلامة عليه، والأساليب تختلف باختلاف عقول مبدعيها، ويفضل بعضها بعضًا حتى تصل درجة الإعجاز الذي تنقطع دونه الأطماع، وتعجز عن بلوغه القدرات.

وبهذه النظرية يقدّم الجرجاني منهجًا لقراءة النّصّ يقوم على إدراك جمالي للعلاقات المكونة للنّصّ وخصوصيتها، وإيجاد اللغة العلمية الدّالة على ذلك الإدراك الجمالي، وهو ما ينفي عن العملية النقدية الأحكام الانطباعية، والأهواء وقد نالت هذه النظرية كثيرًا من العناية والاهتمام من الدّارسين لخصوبتها وقدرتها على الانفتاح والتجدد.

أ.د صالح بن سعيد الزهراني

٢٨ . السائل (فيصل عبدالله) : هل من الكلام الفصيح ما يستوي فيه الوجهان في باب الاشتغال ؟

الجواب :

هذا سؤال دقيق، حقيق بإجابة طُولى، ولكني سأوجزها في هذه الفتيا حذرًا من التفريق والتشتيت .. ووجه دقته: أنّ التخيير في الاشتغال بين النصب والرفع شائع لدى النحويين، والتخيير فيه أحد الأحكام الخمسة التي اجتمعت في هذا الباب وهي (وجوب النصب، ومنعه، والكراهة، والاستحباب، والإباحة) هذا بحسب القانون النحويّ الذي يغفل عن معان أخرى يلحظها أهل البيان، بما يقضي أنه لا بدّ من رجحان أحد الوجهين، وأن التخيير لا موضع له في الكلام البليغ، لا سيما في القرآن الكريم.

وأضرب على ذلك مثالين متقاربين في موضعهما في القرآن، كلاهما في أواخر (سورة القمر)، أمّا أحدهما فمنصوب، وهو قوله سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ ، وتقديره عند النحاة: خلقنا كلّ شيء خلقناه.

وقواعد النّحو تجيز الرّفع أيضًا، ولكن لم يقرأه أحد من العشرة بالرفع، ووجه ذلك: أنّ المعنى على النّصب: أنّ كل شيء هو مخلوق لله تعالى، سواء في ذلك الخير والشرّ؛ لأنّ المعنى: خلقنا كلّ شيء، فجملة ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ توكيد وتفسير لـ (خلقنا) السّابقة، وأمّا الرفع فإنّ معناه كذلك غير أنه يزيد احتمال معنى آخر، وهو: أنّ كل شيء خلقه الله ثابت بقدر، وما لم يخلقه ليس كذلك، فيلزم أن يكون ما لم يخلقه الله تعالى لا بقَدر.



فاحتجَّ أهل السنة بالآية في الرّد على من ابتدع القولَ بأن للشّرّ خالقًا آخر، وأنّ الله خالق الخير والشّرّ، ولا يمكن أن يكون ما قالوه على قراءة النّصب.

وهذه الآية يتنازعها القدرية وأهل السنة، فأهل السنة يقرءونها بالنّصب تبعًا لقراء القراءات العشر، والقدرية يقرءونها بالرفع.

وأمّا الثاني؛ فهو في قوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾، لم يقرأ أحد بالنّصب، مع جوازه نحوًا؛ لأن معناه - حينئذ - : فعلوا كلَّ شيء، وهم لم يفعلوا كلّ شيء، بل معناه: كلّ ما فعلوه هو ثابت مكتوبٌ في الزّبر، فهذا هو الفيصل في هذه المسألة.

د. عبد العزيز الحربي

٢٩ . السائل (محمد مهدي) : ما توجيهكم لمن أراد أن يقوي أسلوبه الإنشائيّ في الكتابة والخطابة ؟

الجواب :

لا أحصى عدد من سألني مشافهة أو مكاتبة في هذا المعنى ،وقد يكون لبعضهم جواب أصلَحُ من هذا ، ولكنني أذكر جوابا صالحًا لمتوسطي الملكات، وأوجزُه في عشر جُملٍ:

الأولى: اعرف نفسك ومزاجها، وقُدْها إلى ما تحبُّ ،ولا تقهرْها على ما تكره فيما لم يوجبْه عليك شرع، فإنَّ ظلم النّفس يضرُّها ولا ينفعها.

الثّانية : راقب ملكاتك، فقد يكون طبعك حجريًّا، لا يرقّ للأدب والجمال، وعلاج ذلك أن ترطّبه بالتأمل والخيال ومجالسة الأدباء، وترك مخالطة الثقلاء، وجرئ نفسك بمخاطبتها بما تحب، وعَذْلها فيما تكره، على أني لا أقول بتعدد الأنفس في الذات الواحدة، ولكني أجزم بأنّ للنّفس أثرًا منها عليها.

الثّالثة: ادرس النحو دراسةً متقنة، واعمد إلى أيسر كتاب تراه مناسبًا لك ،وألمَّ بشيء من البلاغة وقواعدها، وأتقن قواعد الكتابة، فكلّ ذلك يورث لك الثّقة وييسر لك الطّريق.

الرّابعة: في دراستك العلوم العربية، احرص على من ينفعك ومن ترى أنه يفيدك بأسلوبه ونصحه وبذل وقته.



الخامسة: لا تظنَّ أنّك تنتفع بالأعلم أكثر من غيره، فهذا أمر يرفضه الواقع والتجربة، فمن يكثر التكرير، ويجوِّد التقرير، ويعلّمك صغار مسائل العلم قبل كبارها ،هو أنفع لك وأقوم.

السّادسة: عليك بقراءة الدواوين الشعرية مترقّيا إلى شعر الشّعراء الجاهليين.

السّابعة: طالعْ بفهمٍ ما يعجبك من التّواليف الأدبية، المتقدمة والمتأخرة، ككتب الرافعي، والمازني، والزّيات، وطه حسين، وزكي مبارك، واليازجيّ، وعلي الطنطاوي، واقرأ كتاب طوق الحمامة، وكتب المقامات، وكتاب صبح الأعشى، وكتب الجاحظ، وكتاب أدب الكاتب، والكامل للمبرّد.

الثّامنة: أمّا الخطابة فاستمع إلى غيرك، ولا بأس بتقليد من يعجبك من الخاطبين أوَّل أمرك، ودرّب نفسك، ولو أن تقف أمام شخوص من الحجارة تنصبها بين يديك.

التّاسعة: القاعدة التي أظن أنّ بارعي الخطباء يتّفقون عليها (الخطيب النّاجح هو من يَرهَبُ لموقف الخطابة، فإذا علا على منبرها انقلبت الرَّهبة إلى رغبة وشجاعة وثبات وثقة).

العاشرة: خذ من كلّ شيء أحسنه (هذه قاعدة تنفعك في الدّين والعلم والحياة).

د. عبد العزيز الحربي

Mağallatu Mağma' El-lughat El-'Arabiyyati 'ala Sh-Shabakat El-'Alamiyyah

(Journal of Online Academy for Arabic Language)

The (Mağallat) is a quarterly journal published by the Online Academy for Arabic Language, administered in Makkah-Saudi Arabia. It is intended for publications of articles in the fields of the Arabic language, linguistics, grammar, lexicography, terminology and related cultural studies. All articles will be refereed. Papers should be written in Arabic.

ISSN: ١٦٥٨-٦٥٣٠

Legal deposito: ٧٢٢٢/٢٠١٣

- Saudi Arabia.٢١٩٥٥ - Makkah ٦٥٠٩Address: P. O. Box

٢٥٤٠٢٩٩٩١٠٠٩٦٦Phone:

Website: www.m-a-arabia.com